(Print) ISSN 2691 - 2619
(Online) ISSN 2691 - 2627

مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal

تحت إشراف

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا / الفرع الرئيس
برئاسة الأستاذ الدكتور جراح محمد محمود الجراح
نائب رئيس الجامعة للشؤون التعليمية و الأكاديمية
مؤسس المجلة و رئيس هيئة التحرير

مجلة علمية محكمة متخصصة

تصدر عن عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا – أمريكا

المجلد - 4 ، العدد - 12 (شهر 7 – 9 ، 2023)
Vol- 4, Iss-12 (July-September, 2023)

مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات
الأكاديمية المحكمة

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic : Reviewed Journal

المجلد الرابع، الثاني عشر 2023 م / 1444 هـ

رئيس الجامعة
أ. د. وليد إدريس المنيسي

مؤسس و رئيس هيئة التحرير
أ. د. جراح محمد الجراح

نائبا رئيس هيئة التحرير
أ.د.صالح فليح المذهان
د. تامر محمد الذيب

هيئة التحرير
د. جهاد سلمان العجالين
د. علي عفيفي غازي
د. وليد أحمد حمود
د. محمد خميس السيد
د. سمية رمضان أبو النور
د. وليد خالد بكليزي
د. عطوة محمد القريناوي
د. علي القضاة
د.رنا عبدالناصر زنون
د. وسام محمود الطيطي
د. سلطان سليمان الجبور
د. اسامه عبدالله عطا
د. محمد حمزة بكّار
د. محمود المنير
د. محمد سعد
د. عطاالله حسونه النفري

أعضاء اللجنة العلمية

أ.د.خولة الزيدي	رئيس اللجنة	العراق
د. سمير العامر	عضو	الأردن
د. يحيى مسعد أحمد	عضو	مصر
د. جاكلين الشربيني عبد الرازق	عضو	مصر
د. جلال إبراهيم الخلايلة	عضو	الأردن
د. عليان محمد حامد الغويري	عضو	الأردن
د. خالد درويش ترتير	عضو	الأردن
د. غالب أحمد النادي	عضو	الأردن
د. وفاء عبد المنعم الشلة	عضو	الأردن
د. معتز أبو فراج حافظ	عضو	مصر
د. سيد عبد العزيز السليماني	عضو	مصر
د. أشرف أبو سبيت	عضو	الأردن
د. سحر طلعت الصمادي	عضو	الأردن
د. أسامة عبد الله عطا	عضو	مصر
د. أيمن أبو مصطفى	عضو	مصر
د. خالد خميس فراج	عضو	الأردن
د. محمد محمود مبروك	عضو	مصر
د. حسن محمد العدوي	عضو	مصر
د. محمد علي الجعيدي	عضو	مصر

ترسل البحوث إلى رئيس هيئة تحرير مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة:

عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا - أمريكا

Email: Journaliumu@gmail.com Tel: +1 972 878 7885

Deanship of Research and Graduate Studies
Website: http://www.iuminnesotausa.com

رقم الدوريات المعياري_الدولي للنسخة الورقية و النسخة الإلكترونية.
International Standard Serial Number(ISSN)
(Print) ISSN 2691 - 2619 الرقم الدولي للنسخة_الورقية للمجلة
(Online) ISSN 2691 - 2627 و الرقم الدولي للنسخة_الإلكترونية للمجلة

أعضاء اللجنة العلمية

د. أحمد السليمان	عضو	سوريا	د. أحمد كُريم بلال	عضو	مصر
د. وفاء عبد المنعم الشلة	عضو	الأردن	د. محمد عبد الحافظ	عضو	مصر
د. محمد البشارات	عضو	الأردن	د. بركات خضرة	عضو	سوري
د. عليان محمد حامد الغويري	عضو	الأردن	د. محمد نصرالدين حساس	عضو	جزائر
د. محمد المطيري	عضو	الأردن	د. شاكر العاروري	عضو	الأردن
د. محمد الرشدان	عضو	فلسطين	د. محمد فوزي حسن نمر السرحي	عضو	فلسطين
د. ياسر الشافعي	عضو	الأردن	د. مالك سيف الدين القواسمي	عضو	الأردن
د. جلال إبراهيم الخلايلة	عضو	مصر	د. حمزة سعيد القمحاوي	عضو	فلسطين
أ. السيد عبد العزيز السليماني	عضو	الأردن	د. أحمد اسماعيل السليمان	عضو	الأردن
د. ياسر طعامنة	عضو	مصر	د. ياسر أحمد محمد الشافعي	عضو	مصر
د. معتز أبو فراج حافظ	عضو	مصر	د. عبد الباقي السيد حسين القطان	عضو	مصر
د. أحمد إسماعيل السليمان	عضو	الأردن	د.عبد الفتاح بن الحسين آيت بلخير	عضو	المغرب
د. محمد عبد النبي مكى	عضو	إيطاليا	د. أبو بكر الصديق عمر الفاروق	عضو	مصر
د. محمد نصر الدين حساس	عضو	الجزائر	د. أحمد محمد علي القضاة	عضو	الأردن
د. خالد محمد أحمد عطية	عضو	السعودية	د. محمد أمين بني سلمان	عضو	الأردن
د. محمد محمود مبروك	عضو	مصر	د. طارق فيصل حسن التميمي	عضو	الأردن
د. ثامر النويران	عضو	السعودية	د. أحمد مكاوي	عضو	مصر
د. باسمة محمد القضاة	عضو	الأردن	د. علي لطفي علي الحجر	عضو	مصر
د. حمزة شاكر إبراهيم	عضو	الأردن	أ.أميرة سعيد أحمد قاسم	عضو	السعودية
أحمد محمود نويران الزيود	عضو	الأردن	د. محمود سمير المنير	عضو	مصري
د. صلاح بسام فياض	عضو		د. سعيد محمد سعيد أبو رحمة	عضو	فلسطين
د. عبد القادر علي حسيني	عضو	الجزائر	د. مروة رشاد حداد مغازي	عضو	مصري
د. الشربيني عبد الهادي السيد	عضو	مصر	د. رونق عبد العزيز صادق	عضو	السعودية
أ.ولاء السيد عثمان	عضو	مصر	أ. حياة تورفا ساما عبد القادر	عضو	تايلاند
أ. ميسون صالح الهواري	عضو	سوريا	د. انتصار السيد محمد منصور	عضو	مصر
د. محمد أحمد محمد مقدادي	عضو	الأردن	إسلام أحمد رخا	عضو	مصر
د. عبد الناصر سند العكايلة	عضو	الأردن	د. ديار سعيد	عضو	كندا
د. حسيب علي فضي الحراحشة	عضو	الأردن	د. حسن المؤقت	عضو	الأردن
د. أمجد محمود محمد درادكة	عضو	الأردن	د. محمود إبراهيم النمر	عضو	مصر
د. ذوقان أحمد سعود عبيدات	عضو	الأردن	د. عبد الرحمن محمد الجراح	عضو	الأردن
د. أحمد محمد الهاشمي	عضو	موريتانيا	د. خالد حسن ذيب	عضو	الأردن
د. شمس العالم كبير أحمد	عضو	بنجلاديش	د. محمد خلف إسماعيل مخلوف	عضو	مصر
د. محمد عودة عناد الحماد	عضو	الأردن	د. معن قاسم محمد الشياب	عضو	الأردن
د. فرحان لافي النويران	عضو	الأردن	أ. مريم عثمان خليل عاشور	عضو	السعودية
أ. رنا وليد غنايم	عضو	الأردن	أ. حياة تورفا ساما عبد القادر	عضو	تايلاند
أ. نجود بنت أيمن بن محمد بن عبد الكريم	عضو	مصر	أ. أميرة سعيد أحمد	عضو	السعودية
د. نجلاء عبد الصبور محمد	عضو	مصر	أ. رئيفة هيثم نصري	عضو	سوريا

قواعد النشر:

تقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة حسب المواصفات الآتية:

- يرسل الباحث المادة العلمية إلى إدارة المجلة بالبريد الإلكتروني للمجلة Journaliumu@gmail.com
- يطبع البحث على برنامج Microsoft word بنوع خط (Arabic Traditional) للغة العربية نمط (18) غامق للعناوين الرئيسية، و (14) للحواشي، بتباعد بين الأسطر بقدر (1)، وللغة الإنجليزية نمط (18) غامق للعناوين الرئيسية، و (14) للعناوين الفرعية، و 18 لباقي البحث بتباعد بين الأسطر بقدر(1) على وجه واحد، على ألا يزيد حجم البحث عن خمس وعشرين صفحة، بما في ذلك المراجع والملاحق والجداول، وبهوامش (1.25 سم كحد أدنى) لكل من أعلى وأسفل وجانبي الصفحة.

عناصر البحث:

يُنظم الباحث بحثه وفق مقتضيات (منهج البحث العلمي) كالتالي:

- كتابة مقدمة تحتوي على: (موضوع البحث، ومشكلته، وأسئلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).
- تبيين الدراسات السابقة – إن وجدت- وإضافته العلمية عليها.
- تقسيم البحث إلى أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث) بحيث تكون مترابطة.
- يكتب البحث بصياغة علمية متقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الدقة في التوثيق.
- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع

- يكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية (عنوان البحث، اسم الباحث الرباعي والتعريف به: القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، الدولة وإيميل الباحث، وإن كان لا يعمل بجامعة: جهة العمل، المدينة، الدولة، وإيميل الباحث).
- ترقم صفحات البحث ترقيمًا متسلسلًا، بما في ذلك الجداول والأشكال والصور وقائمة المراجع.
- لا تقل جودة الصور عن 300 ميجا بكسل.
- لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (250) كلمة، ويتضمن العناصر الآتية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات) مع العناية بتحريرها تحريرا دقيقاً.
- تُذكر الكلمات الدالة (المفتاحية) المعبرة بدقة عن موضوع البحث بعد كل ملخص سواء باللغة العربية كُتب أم باللغة الإنجليزية، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (6) كلمات.
- يجب أن يكون البحث سليماً خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المعتمدة في اللغة المكتوبة، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط الأسلوب ومتانته، مع التركيز على وضوح الفكرة، واستخدام المصطلحات المشهورة، والمقرّة في المجاميع العربية، ويستحسن ما يقابله باللغة الإنجليزية في البحوث المكتوبة باللغة العربية.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقّها في أن تحذف بعض الألفاظ أو الكلمات أو تعيد صياغتها بما يتلاءَم مع أسلوبها في النشر، مع مراعاة المحافظة على الفكرة الأصلية دون المساس بها.
- تعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن ترتب هجائياً حسب عنوان الكتاب أو المقال، متبوعًا باسم المؤلف كاملا، فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو اسم المجلة (في حالة المقال)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب) وتاريخ النشر. أما في حال المقال فيضاف رقم المجلة، أو العدد، والسنة، وأرقام الصفحات.
- يعد البحث مقبولاً للنشر ويزود الباحث بقرار هيئة التحرير بقبوله بعد عرضه على محكّمين من ذوي الاختصاص، لبيان مدى أصالته، وجودته، وقيمة نتائجه، وسلامة لغته، وصلاحيته للنشر، وبعدها لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه إلّا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير.
- يمنح الباحث نسخة إلكترونية من العدد الذي صدر فيه بحثه.
- إذا اعتُذر عن قبول البحث فلا يعاد لصاحبه ولا تلتزم المجلة بتوضيح أسباب الرفض.
- تعبر المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل أصحابها مسؤولية صحة المعلومات والاستنتاجات ودقتها. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكّمة)، وعند قبول البحث للنشر تنتقل ملكية النشر من المؤلف إلى المجلة.
- لا يجوز نشر أيّ جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على موافقة مسبقة من رئيس التحرير، وما يرد فيها يعبر عن آراء أصحابه ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو سياسة الجامعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

الرقم	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
1	عناصر التميز في السنة النبوية النظافة انموذجاً	أ. د. بشار أكرم جميل داؤد	6–38
2	أثر الدعوة إلى الشذوذ الجنسي على الأسرة المسلمة	أ.أميمة محمد نعمان قراقع	39–61
3	إعمال النظر المقاصدي في نوازل الأسرة بالمجتمعات الغربية بين الانضباط والتسيب قضايا منهجية ونماذج تطبيقية	د. عبد الحليم القبي	62–91
4	اقتصاد الأسرة ودور المرأة التنموي "رؤية إسلامية"	د .عبد الهادي محمود الزيدي د. مريم مجيد عبد الله حاجي	92–116
5	السلم بين مقاصد الشريعة والمواثيق الأممية	د. طاهر محمد خليفة	117–147
6	البعد الإنساني للنوازل الفقهية المتعلقة بالأسرة–	د.منال عبدالله على أحمد	148–168

	الأصول والمقاصد		
7	يكون أو لا يكون: خيار المدارس الإسلامية في مواجهة مشاكل التعليم لأبناء مسلمي بريطانيا	د. أحمد إبراهيم عيسى	169–204
8	إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة " دراسة فقهية دعوية "	د. رجاء محمد صالح أحمد	205–220
9	بناء الأسرة بين القيم القرآنية والتحديات المعاصرة (مساهمة في حل معضلة التحولات القيمية)	د. حنان خياطي	221–236
10	دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الأردن في التوفيق بين الزوجين والتقليل من آثار الشقاق بينهما (دراسة فقهية تطبيقية)	د. اسماعيل محمد طلب السعيدات د. طارق محمد عسود أبو تايه	237–261

11	البصمة الوراثية وأثرها في نفي حكم اللعان	د. عبد الناصر عبد الصمدوف	262–276
12	فقه النوازل في تحديد سن الزواج	أ.زينب السر محمد عثمان	277–296

Bashaar 'Akram Jamil Dawud; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 6-38

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal

A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota /USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

عناصر التميز في السنة النبوية

النظافة انموذجاً

Elements Of Excellence In The Sunnah

Exemplary Cleanliness

الأستاذ الدكتور بشار أكرم جميل داؤد

قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق

bashar.a.j@uomosul.edu.iq

Original Research Article

*Corresponding author
Bashaar 'Akram Jamil Dawud

Article History
Received: 10.07.2023
Accepted: 20.08.2023
Published:.29.09.2023

الملخص :

أسهمت النظافة في بناء المجتمع الإسلامي بشكل كبير وواضح ، وميزته من غيره من الشعوب والحضارات على مر العصور ، فقد تميز بالدعوة للنظافة أمام قذارة المجتمعات، وفي مقدمتها الأوربية التي كانت تحارب النظافة على مر العصور ، ففي فرنسا مثلاً صاحبة أرقى العطور كان المجتمع يعج بالقذارة والنتانة ، وما اشتهارهم بصناعة العطور إلا ردة فعل على تلك القذارة التي وقفت معها وروجت لها الكنيسة في أوربا والتي كانت تحارب الاستحمام وتنهى عنه ، ومن يطلع على التأريخ الأوربي يلاحظ أن الكثير من الملوك والأباطرة لم يغيروا ملابسهم أو يستحموا طوال حياتهم .

وتلك الدعوة للنظافة كانت المفتاح للدعاة المسلمين ، ففي الكثير من المناطق التي دخلها الإسلام وفي مقدمتها تلك التي دخلها سلماً ، كأفريقيا جنوب الصحراء كان لنظافة التجار الدُعاة دور كبير في انتشار الإسلام ، فحالما يصل التاجر إلى أفريقيا كان يتوضأ ثم يصلي كلما حان موعد فرض من الفرائض ، كما كان يرتدي ملابس محتشمة ونظيفة ، وهنا كان تساؤل الأفارقة للتاجر الداعية عن سبب الاحتشام والنظافة والوضوء ؟ فيجيب إن الإسلام أكد على النظافة ، فكانت النظافة بحد ذاتها داعية للإسلام .

الكلمات المفتاحية : النظافة / الإسلام / المجتمع / القرآن/ الحديث

تراكم القاذورات وما يتبعها من أمراض تنشأ لذلك السبب وقد تؤدي في بعض الأحيان إلى انتشار مرض يؤدي للموت .

و تلك المشاكل كلها التي نعاني منها اليوم في حياتنا ونحن في القرن الحادي والعشرين كانت السنة النبوية الشريفة قد عالجتها عبر توجيهات الرسول محمد والتي التزم بها الجميع للوصول إلى مجتمع شعاره النظافة في الملبس والمسكن والمسجد والشارع والمدرسة وهكذا ، كما يدعو قبل كل هذا وذاك إلى نظافة الباطن وتنظيف القلب من كل حسد وحقد وضغينة وعنف ضد الآخر وهكذا .

أهداف الدراسة :

إن هدف الدراسة المرجو تحقيقه يتمثل في تبني المجتمع الإسلامي لقيمة إسلامية عالية ميزته عن باقي الشعوب والديانات ، إذ لم تركز معظم الديانات السماوية والوضعية على مسألة النظافة وجعلها المحور الأساسي في التدين لدى أصحاب تلك الديانات ، وتم التأكيد على ذلك الموضوع في الإسلام من خلال استحضار الأحاديث النبوية التي دعت إلى تنظيف جسم الإنسان ظاهره وباطنه ، وتنظيف المسكن ومكان العبادة وبمن ثَمَّ المدينة وصولاً للأمة الإسلامية ككُل ، وكذلك استحضار الحوادث التاريخية التي قيلت من أجلها تلك الأحاديث النبوية الشريفة ليتمكن القارئ من فهم

المقدمة :

تمتع الرسول محمد بصفات بشرية عديدة كباقي البشر فضلاً عن خصائص نبوته ، فهو يحب ويعلن حبه هذا للآخرين وهو مافعله حينما أجاب أم المؤمنين عائشة عن سبب حبه وتذكره للسيدة خديجة الكبرى على الرغم من وفاتها وتقربه من عشيرتها ومحبيها ، فأجاب عليه الصلاة والسلام : " إني رُزقت حُبها " ، كما إن من خصاله البشرية الكرم فهو كريم جداً حتى في حالات الفقر والعوز ، ومن بين الخصائص البشرية حبه للنظافة وللطهارة عموماً وتأكيده لها في الكثير من أحاديثه الشريفة .

فللنظافة دور كبير في تقدم وازدهار الأمم ونموها ، فكلنا يعمل جاهداً على نظافة بيته والحي الذي يسكن فيه ومن ثَمَّ مدينته من الأتربة والتخلص من الفضلات بجمعها وإخراجها من المنزل ، إذ إننا نرغب في حي نظيف خالي من القاذورات ، ومن ثَمَّ بمدينة نظيفة مرتبة يرغب الجميع بالسكن فيها .

وربما نعاني اليوم من مسألة تكاد ترهق الكثير من الناس من خلال توجيه اللوم على الجار الذي يرمي فضلات الطعام والأوساخ قريباً من دار جاره ، أو نعاني من عدم انتظام الخدمات البلدية ، ونبحث دائمًا عن حلول لها ، وقد تكون بعض الدول الفقيرة الأكثر عرضة للأمراض بسبب

الإسلامي ، فمن الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع بحث بعنوان (أثر السنة النبوية في الطب الوقائي والعلاجي المعاصر) للدكتور (محمد عبد الرزاق أسود) وهو بحث تمت مشاركته في مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة بجامعة اليرموك بأربد في المملكة الأردنية الهاشمية ، وقد تناول المؤلف في بحثه سنن الفطرة وما فيها من فوائد جمة تسهم في وقاية الجسم من الكثير من الأمراض ، ويذكر الباحث في بحثه فائدة كل سنة من تلك السنن على الجسم حتى يعود ليذكر فائدة الوضوء الصحية وما تحمله من نظافة دائمة للجسم تجب صاحبها أمراض عدة ، كما تناول الحديث عن نظافة الطعام والشراب .

ودراسة أخرى تتمثل في كتاب (النظافة من الإيمان) للكاتبة (الدكتورة سلوى عزازي) التي تحدثت فيه عن النظافة بمعناها العام مستعرضة الآيات القرآنية التي تناولت الموضوع ، فضلاً عن ذكر الأحاديث النبوية التي تناولت النظافة .

فضلاً عن ذلك فإن معظم الدراسات السابقة لا تتناول موضوع النظافة بحد ذاته لكنها تفرد صفحة أو أكثر له أو أن تعالجه ضمن صفحات الدراسة بشكل منفصل ، فمثلاً هناك رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية في جامعة أم القرى بعنوان (نماذج من منهج الرسول في التعامل مع منهج الرسول الكريم في ذلك المجال ، فضلاً عن إبراز عناصر التميز الموجودة في السنة النبوية والتي جعلتها تنفرد بها وتتميز من بقية الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية والتي لم تكن لتدعو إلى النظافة بل على العكس لم يكن للنظافة دور يذكر في حياة الفرد المنتمي لتلك الديانات .

اسئلة الدراسة :

تحاول الدراسة الإجابة عن عدد من الأسئلة وفي مقدمتها : هل التزم الإسلام بقيمة النظافة بعد أن اقتبسها من ديانات سابقة له ، أم أنه انفرد بعرضها وتحقيقها ؟ والتساؤل الثاني يدور حول هل كانت النظافة بالمفهوم الإسلامي مقتصرة على نظافة البدن فقط أم شاملة لمسائل أشمل ؟ كما تمثلت تلك الأسئلة في الإفادة من تلك القيمة الإسلامية في قضايا مهمة كقضية الدعوة ، وهل نجح الإسلام في تحقيق ذلك ؟ والسؤال الأخير يتمثل في مدى التزام المسلمين في تطبيق تلك القيمة الإسلامية حتى تاريخنا المعاصر ؟

الدراسات السابقة : على الرغم من أن هناك عدداً من الدراسات السابقة لهذه الدراسة تناولت موضوع النظافة ، إلا أن هذه الدراسة انفردت في تناول تأكيدات النبي محمد على هذا الموضوع الحيوي ذي المساس بحياة الناس في المجتمع

وإصلاح أهم جزء غير ظاهر من الجسم وهو القلب بقوله : (ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب) . [2]

ولم تكن دعوة الرسول للنظافة آنية أو جاءت باجتهاد دون الرجوع إلى الدعوة الموجهة للمسلمين جميعاً من قبل خالق الكون تعالى وفي أكثر من آية قرآنية ، كقوله تعالى (وأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوْرًا)[3] والذي بين فيه أهمية الماء في النظافة وإزالة الأقذار ، كما جاءت الدعوة الآلهية إلى الرسول الكريم لتطهير بيت الله الحرام من كل شيء يسيء لقدره ونظافة كالأصنام وقذارات الجاهلية بقوله (وَطَهِّرْ بَيْتِيَ للطَّائِفِيْنَ وَالْقَائِمِيْنَ وَالرُّكَّعِ السُّجُوْدِ)[4] ، فضلاً عن ذلك فإن في سورة المائدة درساً كبيراً للمسلمين في مجال النظافة وإزالة

(قبرص:1987) ، ج1 ، ص80 .

[2]) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع المُسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، تحقيق : محمد ابن زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، ط1 ، (د.م/1422هـ) ، رقم الحديث (52) ، ج1 ،ص20

[3]) سورة الفرقان ، الالآية (48) .

[4]) سورة الحج ، الالآية (26) .

الأسرة وتطبيقاتها التربوية) للطالبة تهاني بنت أحمد عبد العزيز) للعام الدراسي (1430–1431هـ) ، إلا أنها لم تشر لموضوع النظافة سوى بشكل سريع جداً .

وأتمنى من دراستي هذه أن تكون قد كونت لدى القارئ صورة واضحة عن النظافة ودورها في ازدهار المجتمع المسلم ، والصورة العظيمة التي قدَّمها الرسول لصحابته الكرام عن النظافة من خلال تميز الدين الإسلامي من بقية الديانات السماوية من خلال دعوته المباشرة للتنظف والتزين بدون تكبر وخيلاء .

(1) منهج الرسول في الدعوة للنظافة:

إن أول ما يفكر به المرء هو نظافة جسده والمكان الذي يسكنه وما إلى ذلك ويعمل من أجل ذلك ملياً ، وربما تكون مسألة النظافة فطرية؛ لأن من عظمة الله تعالى أنه قد عمل على إبراز الجزء النظيف من جسدنا أو ما يمكننا تنظيفه بأنفسنا وستر ما هو غير نظيف ولم يظهره للآخرين ، (فأول ستره تعالى على العبد أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه مغطاة بجمال ظاهره) [1]، وقد دعا الرسول إلى تنظيف

[1]) أبو حامد بن محمد الغزالي الطوسي ، المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحُسنى ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، نشر : الجفان و الجابي ،

للصلاة ونغتسل للجنابة ونستنجي بالماء . قال (فهو ذاك فعليكموه)[8] ، وكان عليه الصلاة والسلام مثالاً رائعاً للنظافة يقتدي به الجميع ، فيصفه أنس بن مالك قائلاً (ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ولا شممت ريحاً قط أو عرفاً قط أطيب من ريح أو عرف النبي .[9](وقد كرَّم الله تعالى الإنسان بمسألة النظافة كما في غيرها من المسائل عن بقية مخلوقاته ، فالحيوان لا يعرف النظافة ولا اللباس ولا ترفيه المضجع والمأكل ولا حسن كيفية الطعام والشراب ، لذلك جاءت الدعوة إلى النظافة تكريماً للإنسان وليس عباً عليه ، والنظافة نوعان الأول: نظافة السرائر وتتمثل في تطهير القلب والصدر من الأخلاق المذمومة مثل الكذب والحقد والحسد ، والثاني: نظافة الظاهر مثل نظافة الجسم بالاغتسال وتقليم الأظافر والحلق ونظافة الثوب ونظافة الأسنان وغيرها الكثير [10].

كل قذارة من البدن والملبس ولاسيما أن أهم ركن من أركان الإسلام يحتاج لتلك النظافة وهو الصلاة كما في قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)).[5]

كما عد الرسول محمد النظافة ومنها الطهور شطر الإيمان فقال : (الطهور شطر الإيمان) [6]، وحينما نزلت الآية الكريمة ((لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ))[7] قال رسول الله (يا معشر الأنصار أن الله قد أثنى عليكم في الطهور . فما طهوركم ؟) قالوا : نتوضأ

---

[8]) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن أبن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكُتب العربية ، (بيروت:د/ت) ، رقم الحديث (355) ، ج1 ، ص127 .

[9]) الجامع المُسند ، البخاري ، رقم الحديث (3561) ، ج4 ، ص189 .

[10]) علي بن نايف الشحوذ ، الخلاصة في أصول التربية الإسلامية ، ط1 ، بهانج _ دار المعمور ، (ماليزيا:2009) ، ص264 .

[5]) سورة المائدة ، (الآلآية 6) .

[6]) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التُراث العربي ، (بيروت:د/ت) رقم الحديث (223) ، ج1 ، ص203 .

[7]) سورة التوبة ، الآية (108) .

الأقذار والأوساخ من خلال تطهير الثياب والأبدان من الغائط والبول والمني والمذي والقيح وما إلى ذلك ، ومن النظافة أيضاً التطيب وإعفاء اللحية وتحسين الهيأة والمتمثل بقص الشارب لكي لا يدخل في الطعام عند الأكل فيوسخه وينغص الأكل[13]، فعن ابن عباس قال كان رسول الله يقص من شاربه ويقول (إن إبراهيم خليل الرحمن كان يفعله)[14] ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل شملت وصايا الرسول الكريم نظافة شعر الإنسان وضرورة الاهتمام به فقال : (من كان له شعر فليكرمه) [15]، وكانت السيدة عائشة تقول (

ومن بين صفات الله تعالى أنه نظيف يحب النظافة[11] لقول الرسول محمد (إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود تجمع الأكناف في دُورها). [12]

ومن محاسن الأخلاق ومكارمها التي دعا لها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة النظافة والتنزه عن

---

11)) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، ط7 ، (القاهرة:1957) ، ص465

12)) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، الجامع الصحيح أو سنن الترمذي ، رقم الحديث (2799) ، ج4 ، ص409 . وقد ضعفه الشيخ الالباني . وورد (نظفوا أفنيتكم فأن اليهود انتن الناس) ينظر : أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي ، الزهد ، حققه وقدم له وخرج أحاديثه : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، مكتبة الدار ، ط1 ، (المدينة المنورة:1404هـ-1984م) ، رقم الحديث (293) ، ج1 ، ص560 ، صحيح مُرسل ، وحكم الشيخ الالباني عليه أنه ضعيف . ينظر حديث رقم (1616) ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ، ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، أشرف على طبعه : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الجديدة والمزيدة والمنقحة) ، ص334 .

13)) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي ، (القاهرة:د/ت) ، ج1 ، ص444 .

14)) سنن الترمذي ، ج5 ، ص93 . إلا أن الشيخ الالباني حكم عليه بأنه ضعيف الإسناد .

15)) أبو داؤد سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ، سنن أبي داؤد ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، (بيروت:د/ت) ، رقم الحديث (4163) ، ج4 ، ص76 (وقد قال عنه الشيخ الالباني حديث حسن صحيح) ؛ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي ، شرح السنة ، تحقيق : شُعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط2 ،

إنَّ هـذَا اليَوم جَعله اللَّه عيدًا للمسلمين فاغتسلوا ومَـنْ كَـانَ عنـدهُ طِيـبٌ فَـلاَ يَضُـرّه أن يمُّـسّ منـه وعليكم بالسِّواكِ. [18])

كما أكد الرسول محمد أن تكون الملابس التي يرتديها المسلم –ولاسيما– يوم الجمعة نظيفة طاهرة ، امتثالاً لقول الله تعالى (خُذُوا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) [19]، كما يقع على المقتدر المالك للمال أن يجعل ثوب الصلاة مع الجماعة غير ثوب العمل ، وهو ما نصح به الرسول أصحابه بقوله : (ما على أحدكم إن وجد أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته) [20]، والحديث ورد في البخاري أن أبا هريرة قال ، سأل سائل رسول الله عن الصلاة في ثوب واحد ، فقال رسول الله ((أولكلكم ثوبان)) (أي أوليس لكم ثوب آخر) [21] ، وقد أوصى الرسول صحابته بارتداء الثوب الأبيض وهم في بيئة حارة بقوله : (ألبسوا ثياب كُنت أرجل رأس رسول الله وأنا حائض)[16] ، وفي ذلك إشارة إلى مدى أهمية الأمر لدى رسول الله ليخرج للناس وهو نظيف ومرتب .

ولقد اهتم الإسلام بوسائل النظافة كلها الحسية والمعنوية المتعلقة بالفرد والمجتمع في الثوب والبدن والقلب والمسكن والشارع ، كما اهتم بوسائل النظافة من السواك والطيب والاغتسال في عدة مناسبات ما بين واجب وفرض ومستحب للحد الذي جعل الرسول محمد يعدُ اغتسال الجمعة حقاً لله على كل مسلم فعن أبي هريرة أن النبي قال (حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده). [17] وقال في أهمية النظافة في يوم الجمعة (يا مَعْشَرَ المسلمينَ

---

[18]) أبو عبد الله محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، مسند الإمام الشافعي رتبه على الأبواب الفقهية : محمد عابد السندي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت:1951) ، : 133/1 .

[19]) سورة الأعراف ، الآية (31) .

[20]) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن أبن ماجة ، ج1 ، ص348 . وقد صححه الالباني .

[21]) الجامع المُسند ، البخاري ، ج1 ، ص81 .

(دمشق – بيروت : 1983) :84/12 .

[16]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (295) ، ج1 ، ص67 . والترجل والترجيل : تعني تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه . ينظر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني أبن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، (بيروت:1399هـ) ، باب الراء مع الجيم ، مادة (رجل) ، ج2 ، ص203 .

[17]) الجامع المُسند ، البخاري ، رقم الحديث (897) ، ج2 ، ص5 ؛ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجاً وأسلوباً ، ص75 .

وقد حث الرسول محمد على النظافة والتزين ، فهو يرغب رؤية أصحابه والمسلمين عامة بمظهر جميل نظيف ، فقد روى زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله في غزوة (أنمار) فبينما أنا نازل تحت شجرة إذ مر رسول الله فقلت يا رسول الله هلم إلى الظل ؟ فنزل ، فقمت إلى غزارة لنا فوجدت فيها جرو قثاء فكسرته ثم قربته إلى رسول الله وعندنا صاحب لنا قد ذهب يرعى ظهراً ، فرجع وعليه بُردان له قد خلقا ، فنظر إليه رسول الله فقال لي أما له ثوبان غير هذين ؟ فقلت بلى له ثوبان في العيبة ، فقال هلا كسوته إياهما ، فدعوته فلبسهما ثم ولى فذهب فقال رسول الله : ما له ضرب الله عنقه أليس هذا خيراً ، فسمعه الرجُل فقال يا رسول الله قُل في البياض فأنها أطهُر وأطيُب) [22]، وقال في حديث آخر : (عن سلمان الفارسي قال ، قال رسول الله لا يغتسل رجُل يوم الجمعة ويتطهر بما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ، ثم يروح إلى المسجد ، ولا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كُتب له ، ثم ينصت للإمام إذا تكلم ، إلا غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى) . [23]

وكانت نظافة ثياب الرسول محمد وحُسن وجهه مضرباً للأمثال وأنموذجاً يحتذي به الناس وسبيلاً للتمسك بالإيمان ، فعن أبي قرصافة قال: ذهبت أنا وأمي وخالتي فأسلمن، وبايعن رسول الله ، وصافحنه، فلما بايعن رسول الله ورجعن من عنده منصرفين قالت لي أمي وخالتي: يا بني ما رأيت مثل هذا الرجل، ولا أحسن وجهاً منه، ولا أنقى ثوباً، ولا ألين كلاماً، ورأين كأن النور يخرج من فمه)) . [24]كما قال ((من كرامة المؤمن على الله تعالى نقاء ثوبه ، ورضاه باليسير)) . [25]

السقا ، مؤسسة الرسالة ، ط5 ، (بيروت:1981م) ، ، ج13 ، ص618 .

[25])) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المكتبة التجارية الكبرى ط1 ، (القاهرة:1356هـ) ، رقم الحديث (8258) ، ج6 ، ص16 . وحكم الشيخ الالباني عليه أنه ضعيف جداً . يُنظر : ضعيف الجامع ، رقم الحديث (5309) .

[22])) سنن أبن ماجة ، رقم الحديث (3567) ، ج2 ، ص1181. وقد صححه الالباني .

[23])) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (883) ، ج2 ، ص3-4 .

[24])) علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق : بكري حياني – صفوة

جر ثوبه خيلاء) [29]، ولم يقتصر الأمر على التنبيه من خلال الحديث الشريف، بل كان النصح للصحابة يتم خلال اليوم الواحد في المسجد والسوق وكل مكان ، فعن عبيد بن خالد قال : (كُنت أمشي وعلي بُرد أجره فقال لي رجُل : أرفع ثوبك فأنه أبقى وأنقى فنظرت فإذا هو النبي فقلتُ إنما هي بردة ملحاء ، فقال : ما لك فِي أسوة ؟ قال فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقيه) . [30]

ولم يكن الرسول محمد لينسى تنبيه أصحابه على مسألة تطهير وتنظيف (النعل) إذا ما اتسخ ، فعن أبي هريرة أن رسول الله قال (إذا وطأ أحدكم بنعله الأذى فأن التراب له طهور) [31]، أي أن يمسح بالتراب من خلال الدلك حتى يتنظف . وقد علمت السنة النبوية الشريفة الصحابة الكرام المحافظة على القدم من كل سوئ وقذارة قد تصيبها ، فعن جابر قال سمعت رسول الله يقول في غزوة غزوناها ((استكثروا من النعال ، فإن الرجُل سبيل الله ، قال في سبيل الله فقُتل الرجل في سبيل الله) . [26]

كما أن الرسول نهى عن النوم بالثوب ؛لأن ذلك سيقصر من عمر ذلك الثوب ويجعله متسخاً من النوم ، غذ ستكثر فيه هوام بدنه [27]، وقد حثنا الرسول الكريم على أن نرتدي الثياب النظيفة لما فيها من جمالية وتقبُل من قبل الله تعالى ومن ثَمَّ الناس ، وقالت أم سلمة إن امرأة سألتني (إني أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر ؟ فقلت لها : قال رسول الله (يُطهره ما بعده) . [28]

وعملية تطهير ذيل الثوب بالتراب تلك لا تنطبق على الرجال ، بل على العكس فقد نبه الرسول أصحابه إلى ضرورة تقصير الثوب وجعله فوق الكعبين لضمان عدم ملامسته الأرض وجمعه الأوساخ ، فضلاً عن كون الثوب الطويل يدل على الخيلاء التي حُرمت على المسلم ، فعن ابن عمر قال قال رسول الله (لا ينظر الله إلى من

---

[29]) الجامع المُسند ، البخاري ، رقم الحديث (5783) ، ج7 ، ص141 .

[30]) مسند أبي داؤد الطيالسي ، أبو داؤد سليمان بن داؤد بن الجارود الطيالسي ، رقم الحديث (1286) ، ج2 ، ص514 .

[31]) سنن أبي داؤد ، رقم الحديث (385) ، ج1 ، ص105 . وقد صححه الالباني .

[26]) صحيح ابن حبان ، رقم الحديث (5418) ، ج12 ، ص236 . (إسناده صحيح على شرط الشيخين) .

[27]) المدخل ، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي الشهير بابن الحاج ، ج2 ، ص183 .

[28]) سنن أبي داؤد ، رقم الحديث (383) ، ج1 ، ص104 . وقد صححه الشيخ الالباني .

الليل يشُوصُ فاه بالسواكِ) [34]، ففي السواك فوائد عديدة أهمها إزالة التغير الحاصل نتيجة السكوت ، فقد كان الرسول محمد لا يتكلم وهو يمشي في الطرقات بين المسجد والدار [35]، كما أن المضمضة بالماء سوف تساعد مع السواك في نظافة الفم بشكل دائم لقوله (بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً) [36]. كما دعا الرسول محمد إلى ضرورة الابتعاد عما يسبب خروج رائحة كريهة من الفم ولاسيما في الأماكن المزدحمة التي يتجمع فيها الناس كالصلاة في المسجد مثلاً ، فنهانا عن أكل الثوم والبصل والذهاب للصلاة في المسجد بقوله (من أكل الثوم أو البصل من الجُوع أو غيره فلا يقربن مسجدنا) لما فيه من أذى ورائحة كريهة على المصلين [37] ، وكانت مسألة الابتعاد عن أكل الثوم والبصل قبل الذهاب للمسجد مسألة محسومة بالنسبة للرسول ، بل في بقية الأوقات لا يزال راكباً ما انتعل)) [32]، ومعنى ذلك أنه ما دام مرتدياً نعلاً في قدميه فسوف لن يتعرض في الطريق للأذى وخشونة الأرض والشوك . ولم تقتصر توجيهات الرسول بالنظافة مقتصرة على نظافة الثوب وبقية الملبس بل شملت وضع الطيب والسواك ولاسيما في صلاة الجمعة ، إذ يكثر في ذلك اليوم الزحام وتتأكد فيه النظافة بالبعد عما يتأذى منه الناس من الروائح الكريهة لقوله صلى اللَّه عليه وسلم : ((لولا أن أشقُ على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كُل صلاة) .[33] وبسبب الفوائد الكثيرة والكبيرة للسواك وانعكاس ذلك على نظافة الفم ولاسيما الأسنان ، فقد كان الرسول يستعمله بكثرة حتى حينما يقوم الليل ، فعن حذيفة قال (كان رسول الله إذا قام من

---

[34]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (245) ، ج1 ، ص58 .

[35]) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري : 395/1 .

[36]) سنن أبو داؤد ، رقم الحديث (2366) ، ج2 ، ص308 . وحكم الالباني عليه أنه صحيح .

[37]) الجامع المسند ، رقم الحديث (852) ، ج1 ، ص170 .

[32]) المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (2096) ، ج3 ، ص1660 .

[33]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (887) ، ج2 ، ص4 . وقد ورد الحديث في سنن أبن ماجة ونصه (عليكم بالسواك فنعم الشيء السواك ، يذهب بالخفرة ، وهو صفرة تعلو الأسنان ، ويقرعُ البلغم ، ويجلو البصر ، ويشدُ اللثة ، ويذهب بالبخر ، ويُصلح المعدة ، ويزيدُ درجات الجنة ويحمد الملائكة ، ويرضي الرب ، ويُسخط الشيطان فلولا أن أشق على أمتي) إلا أن حكم الشيخ الالباني عليه أنه ضعيف .

النبي شرب لبناً فدعا بماء فتمضمض وقال إن له دسماً) .[41]

فضلاً عن ذلك فإن النظافة لا تقع على السامع المتلقي للسنة النبوية بل يجب أن يكون الداعي لها أفضل حالاً من الجميع حسن المظهر وذا ذوق رفيع؛ لأن ذلك جزء أساسي من عمله ولو ظهر متسخاً لا يطبق السنة في ذلك الأمر فسوف ينفر الناس ولا يستطيع إقناع أحد [42] ، وربما تكون هيأة سيدنا جبريل حينما نزل سائلاً الرسول عن الإيمان والإحسان مثالاً رائعاً لنظافة الملابس وحُسن الهيأة لتكون درساً يُتبع من المسلمين ، فقد جاء وصفه أنه : (شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر) [43]، ووصفه في رواية أخرى (أحسن الناس وجهاً وأطيب الناس ريحاً ، كأن ثيابه لم يمسها دنس) [44]. وفي ذلك دليل على النظافة وحُسن الهيأة .

كانت زوجاته عليه الصلاة والسلام ينتبهن إلى مسألة التقليل منه في الطعام وهو ما كانت تحرص عليه السيدة خديجة الكبرى .[38]

وقال النبي (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) [39] ، وعن أبي أيوب الأنصاري قال خرج علينا رسول الله فقال : حبذا المتخللون من أمتي ، قال وما المتخللون يا رسول الله ؟ قال المتخللون في الوضوء ، والمتخللون من الطعام ، أما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع ، وأما تخليل الأسنان فمن الطعام ، إنه ليس أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبها وهو قائم يصلي) [40] ، كما دعا الرسول إلى المضمضة بعد أكل أو شرب شيء دسم ، فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبن عباس أن

---

[41]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (211) ، ج1 ، ص53 ؛ المسند الصحيح ، رقم الحديث (358) ، ج1 ، ص274 .

[42]) سلوى عزازي ، النظافة من الإيمان ، ص4 .

[43]) المسند الصحيح ، رقم الحديث (8) ، ج1 ، ص37 .

[44]) سنن النسائي ، النسائي ، رقم الحديث (4991) ، ج8 ، ص101 . وقد صححه الشيخ الالباني .

[38]) مضامين تربوية مستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة ، تهاني بنت عبد القادر بن عثمان يماني ، ص165

[39]) الجامع المسند ، رقم الحديث (1933) ، ج3 ، ص31 .

[40]) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الالباني ، ج7 ، ص34 . إلا أن حكم الالباني عليه أنه ضعيف ؛ خُلق المُسلم ، محمد الغزالي ، دار نهضة مصر ، طبعة الأولي ، ص138 .

كما علمنا رسول الله كيف ننظف أنفسنا بعد الخروج من الخلاء من خلال رد سيدنا سلمان الفارسي على السائلين له بقولهم (قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟) فقال سلمان ((نعم نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ، أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم)) [48].

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : (أتى النبي الغائط فأمرني أن أتيه بثلاثة أحجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم أجده ، فأخذت روثة فأتيته بها فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال هذا رجس) [49]

وفي حالة توفر الماء فإنه أصلح للاستنجاء فعن أنس قال : (كان رسول الله يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام إداوة من ماء وعَنَزَةً يستنجي بالماء) [50]، ويقول سعيد بن الحويرث أنه سمع ابن عباس يقول : (إن النبي قضى حاجته من الخلاء

وفي باب الابتعاد عن النجاسات وتنظيف ما تعرض لها من جسم وملابس ، فقد أمر الرسول محمد صحابته الكرام بالتنزه من البول بقوله ((أكثر عذاب القبر من البول)) [45]، وعن ابن عباس قال مر رسول الله بقبرين (فقال إنهما ليُعذبان وما يُعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة) قالوا : يا رسول الله لما فعلت هذا ؟ قال : (لعله يُخفف عنهما ما لم ييبسا)[46] ، وقد أثبت العلم الحديث صحة الحديث وصلته المباشرة بالصحة العامة من خلال الفحوص المخبرية التي أثبتت أن عدم تنظيف بقايا البول من خلال الغسل أو الاستنجاء يسبب تراكم الميكروبات والجراثيم على الجهاز البولي مما يصبه بالالتهابات والاحتقان والدمامل وربما تنتقل إلى الزوجة مؤدية إلى العقم الدائم . [47]

---

[45]) سنن أبن ماجه ، رقم الحديث (348) ، ج1 ، ص125 ؛ الالباني ، صحيح الجامع ، حديث رقم (3002)

[46]) الجامع المسند ، رقم الحديث (218) ، ج1 ، ص53 .

[47]) أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء ، أبو أسحق العراقي ، ص35 .

[48]) المسند الصحيح ، حديث رقم (262) ، ج1 ، ص233 .

[49]) الجامع المسند ، البخاري ، كتاب الوضوء ، الحديث (156) ، ج1 ، ص43 . وكلمة ركس تعني نجس .

[50]) الجامع المسند ، رقم الحديث (152) ، ج1 ، ص42 .

بقوله : ((لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه)). [55]

على الرغم من أن الديانات السماوية قد دعت للنظافة إلا أن الإسلام ينفرد بكونه قد نظم تلك المسألة تنظيماً كبيراً ، فهو يدعو للاغتسال في حالة الدخول فيه وقبل النطق بالشهادتين ، كما أنه يدعو لذلك يوم الجمعة وفي صباح العيدين ، وبعد كل مباشرة جنسية ، وللمرأة بعد أن تكمل المحيض ، فضلاً عن تحفيز الرسول محمد لأصحابه لأن يتوضئوا بين الجماعين بل أنه يُسن الغُسل أو الوضوء بينهما لما فيه من نظافة وتنشيط للجسم كما في قوله عليه الصلاة والسلام : ((إذا أتى أحدكم أهله ، ثم أراد أن يعود فليتوضأ)) . [56]

وفي حديث أبي رافع أن النبي محمد طاف على نسائه في ليلة ، وكان يغتسل عند كل واحدة منهن ، فقيل له يا رسول الله الا تجعله غُسلاً واحداً ؟ فقال (هو أزكى وأطيب وأطهر) [57]، لا بل أن فقُرب إليه طعام فأكل ولم يمسس ماء ، فقالوا إنك لم تتوضأ ؟ ، قال (ما أردت صلاة فأتوضأ) . [51]

وفي مجال الطهارة من البول ودرء مظاهره ذكرت السيدة عائشة أنه (من حدثكم أن الرسول كان يبول قائماً فلا تصدقوه ، ما كان يبول إلا قاعداً) [52]، وقد أكد العلم الحديث صحة ذلك الفعل على المسلم ، فللبول قاعداً فوائد منها التخلص من الإمساك ، والوقاية من مرض غشي التبول الذي يؤدي إلى الإغماء . [53]

كما نبه الرسول محمد إلى ضرورة المحافظة على نظافة الطريق وطرح الفضلات من الغائط والبول في مكانهما الصحيح لكي لا يؤذيان بمنظرهما ورائحتهما المارة فقال عليه السلام : (اتقوا اللاعنين قالوا وما اللاعنان ؟ قال الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم) [54]، فضلاً عن دعوته عليه الصلاة والسلام لأصحابه لعدم التبول في الماء

---

[55]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (239) ، ج1 ، ص57 .

[56]) سنن أبن ماجة ، رقم الحديث (587) ، ج1 ، ص193 . وقد صححه الالباني .

[57]) سنن أبن ماجة ، رقم الحديث (590) ، ج1 ، ص194 . وقد قال عنه الشيخ الالباني (حسن) ؛ سنن أبو داؤد ، رقم الحديث (219) ، ج1 ، ص56 . وقد قال عنه الشيخ الالباني (حسن) .

[51]) المسند الصحيح ، رقم الحديث (374) ، ج1 ، ص283 .

[52]) سنن الترمذي ، رقم الحديث (12) ، ج1 ، ص17 . وقد صححه الالباني .

[53]) الأعجاز العلمي في السنة النبوية ، د.صالح بن أحمد رضا ج1، ص478 .

[54]) سنن أبي داؤد ، رقم الحديث (25) ، ج1 ، ص7 . وقد صححه الألباني .

فضحكت أم سلمة فقالت : تحتلم المرأة ؟ فقال رسول الله (فبم يُشبه الولد) [60]، وقد ذكرت السيدة عائشة الطريقة التي كان يتبعها الرسول في غُسل الجنابة فقالت : (كان رسول الله إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ثم يفرغ يمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه في أصول الشعر حتى إذا رأى أنه قد استبرأ حفن على رأسه ثلاث حفنات ، ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه) [61]. وعن عائشة أن رسول الله كان إذا أراد أن ينام وهو جُنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة) [62]، وعن قيس بن عاصم (قال لما أسلمتُ أمرني النبي أن أغتسل بماءٍ وسدرٍ) [63]

رغبة الرسول محمد صلى وحكمته في أن يكون المسلم نظيفاً طوال حياته ، فقد ذكرت الأحاديث النبوية الشريفة ما يقرب من أحد وعشرين غُسلاً منها غُسل الجنابة ، والحيض ، والنفاس ، والولادة ، والجمعة ، والعيدين ، والاستسقاء ، والخسوف ، والكسوف ، والغُسل من غسل الميت ، والكافر إذا أسلم ، والمجنون والمغمي عليه إذا أفاق ، وعند الإحرام بالحج ، ولدخول مكة المكرمة ، ولدخول المدينة المنورة ، وللوقوف بعرفة ، وللمبيت بمزدلفة ، ولرمي الجمار الثلاث ، وللطواف . [58]

ولكي تستقيم نظافة المؤمن ، فقد كان لغُسل الجنابة دور كبير في ذلك الجانب فعن الغُسل الواجب جاء عن أبي هريرة أن النبي محمد قال (إذا جلس بين شعبها الأربع ، ثم جهدها فقد وجب الغُسل) [59]، ويشير الرسول محمد في هذا الحديث إلى ضرورة الغُسل بعد الجنابة ، كما يجب الاغتسال عند الاحتلام إذا صاحب ذلك خروج المني ، فعن أم سلمة أن أم سليم قالت : يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق ، فهل على المرأة الغُسل إذا احتلمت ؟ قال : نعم إذا رأت الماء ،

---

60)) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (3328) ، ج4 ، ص132 .

61)) المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (316) ، ج1 ، ص253 .

62 ((الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (288) ، ج1 ، ص65 ؛ وفي سنن النسائي ورد الحديث (كان إذا أراد أن ينام وهو جُنب توضأ وإذا أراد أن يأكل غسل يديه) . ينظر : النسائي ، ج1 ، ص139 ، وحكم الألباني أنه (صحيح) .

63)) سنن أبو داؤد ، رقم الحديث ، (355) ، ج1 ، ص98 . وصححه الالباني .

58)) أثر السنة النبوية في الطب الوقائي والعلاجي المعاصر ، محمد عبد الرزاق أسود ، ص11 .

59)) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (291) ، ج1 ، ص66 .

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود أن الرسول قال ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)) فقال رجُل (إن الرجُل يُحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة) قال ((إن الله جميل يُحب الجمال ، الكبر بطُر الحق وغمطُ الناس)) [66]، وعن خالد بن معدان قال : ((كان لا يفارقه في الحضر ولا في السفر خمس، المرآة والمكحلة والمشط والسواك والمدرى)) [67] ، كما وصف أنس بن مالك الرسول بقوله (كان رسول الله أزهر اللون ، كان عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ ، ولا مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ، ولا شممت رائحة مسك ولا عنبر أطيب رائحة من رسول الله . [68])

وكانت المواقف التي تصادف الرسول محمد تُتخذ دروساً وعبراً من قبل الصحابة الكرام من خلال تعلم طريقة تعامل الرسول معها والحلول التي وضعها لها ، فعن زيد بن أسلم قال إن عطاء بن يسار أخبره أنه حينما (كان رسول الله في

ولم تكتفِ السنة النبوية الشريفة بتحفيز المسلمين على نظافتهم وهم أحياء ، بل اهتمت بنظافة المتوفى أيضاً ، فعن أم عطية الأنصارية قالت (دخل علينا رسول الله حين توفيت ابنته ، فقال : أغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماءٍ وسدرٍ ، واجعلن في الآخِرة كافوراً أو شيئاً من كافور ، فإذا فرغتن فآذنني) . [64]

وعلى الرغم من أن الإسلام لا يقبل بالتكبر والغرور حتى في الملبس إلا أنه دعا للبس الملابس الجميلة والنظيفة والتزين والخروج بالمظهر اللائق فهو ينظر في المرآة ويسرح شعره ، ويلبس بطانة الثوب الخشن من الداخل وظاهره الحسن إلى الخارج ، وقد روى مكحول عن عائشة عنها أنها قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم ، وفي الدار كوة فيها ماء ، فجعل ينظر في الماء ويسوي لحيته ورأسه ، فقلت يا رسول الله ، وأنت تفعل هذا ؟ قال : ((نعم إذا خرج الرجُل إلى أخوانه فليهيئ من نفسه ، فإن الله جميل يحب الجمال)) . [65]

---

66)) المسند الصحيح ، رقم الحديث (91) ، ج1 ، ص93 .

67)) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الالباني ، ص998 . والحكم على الحديث بأنه ضعيف .

68)) مُسند أحمد ، رقم الحديث (13381) ، ج21 ، ص82 . حديث حسن .

64)) الجامع المسند ، البخاري ، رقم حديث (1253) ، ج2 ، ص73 ؛ المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (939) ، ج2 ، ص646.

65)) الأنوار الساطعات لآيات جامعات ، عبد العزيز بن محمد السلمان ، ص330 .

بل أن غطاء الرأس الذي كان موجوداً في المشرق تسلل إلى اليهود . [71]

لقد أكدت السنة النبوية الشريفة على سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وتعددت الأحاديث النبوية التي نبهت لها ، فعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول الفطرة خمس (الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الآباط) [72]، أما ابن عمر فقال إن رسول الله قال من الفطرة (حلق العانة ، وتقليم الأظافر ، وقص الشارب) [73]، وفي رواية السيدة عائشة أن الرسول محمد قال (عشر من الفطرة ، قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء). [74]

المسجد فدخل رجُل ثائر الرأس واللحية فأشار إليه رسول الله بيده أن أخرج ، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته ففعل الرجُل ثم رجع ، فقال رسول الله أليس هذا خيراً من أن أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان) [69]، فضلاً عن ذلك فإن نظافة شعر الرأس وحلاقته تجنب الإنسان الإصابة بالأمراض وظهور القمل فيه ، وقد جوَّز الرسول محمد حلاقة شعر الرأس للمحرم في حالة المرض وفي حالة (كعب بن عُجرة) بالذات حينما خرج مع الرسول مزمن الحديبية فقمل رأسه ولحيته ، فبلغ ذلك الرسول فأرسل إليه فدعا الحلاق فحلق رأسه قال له (أيؤذيك هوام رأسك قال قلت نعم قال فأحلق وصُم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو أنُسك نسيكة) . [70]

ويفخر المسلمون أن أثر الحضارة الإسلامية في الغرب لم يقتصر على الجانب السياسي أو الثقافي فحسب، بل شمل الجوانب الاجتماعية ومنها العادات والتقاليد ، فبعد الاحتكاك بالمسلمين تعلم الغربيون النظافة والاهتمام بالمظهر الخارجي ، حتى إن بعضهم بدأ يقلد المسلمين في ملابسهم ،

---

[71]) حوار الحضارات (دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة) ، فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي ، .

[72]) الجامع المسند ، البخاري ، (الحديث 5441) وهناك (5889) ، ج7 ، ص160 ؛ وفي المسند الصحيح ، رقم الحديث (257) ، ج1 ، ص221 .

[73]) الجامع المسند ، رقم الحديث (5890) ، ج7 ، ص160 .

[74]) المسند الصحيح ، رقم الحديث (261) ، ج1 ، ص223 . وفي سنن أبو داؤد عن عائشة □ أيضاً ذكر لتلك السنن ، إلا أنه يقول قال زكريا : قال

[69]) شرح الجامع المسند ، المصدر نفسه : 165/9 .

[70]) المسند الصحيح ، مُسلم ، رقم الحديث (4190) ، ج5 ، ص129 .

وسنة الختان وسنة الاستنجاء ، وفي الكفين تكون سنة غسل البراجم ، وسنة قص الأظافر ، وفي القدمين تكون سنة قص الأظافر منها أيضاً . [76]

فمثلاً للختان أهمية كبيرة أكدتها أحاديث نبوية شريفة جاءت العلوم المعاصرة بنتائج مطابقة لها ، وقد ختن الرسول الحسن والحُسين عند بلوغهما اليوم السابع من العمر . [77]

كما أن الاستحداد (حلق شعر العانة) واجب على الرجُل والمرأة لما له من أهمية في نظافة المكان وعدم وصول الأمراض الخاصة بالجهازين البولي والتناسلي ، وهي تمنع وجود الميكروبات وربما القمل في ذلك الشعر إذا ما بقي ، فضلاً عن كونها تعطي المكان النظافة اللازمة ليتقبل الرجُل زوجته وبالعكس [78] .

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد علَّم الرسول محمد أصحابه الطريقة الصحيحة لشرب الماء لما لها من جوانب صحية عديدة ، فقال أبو داود: (حدثنا

وما دامت هذه السُنن تؤدي إلى رفعة الإنسان وعلو مكانته وظهوره بأفضل صورة ومظهر ، كان حرياً به الالتزام بها والتمثل بصاحبها والداعي لها وهو الرسول محمد والذي طبق سنن الفطرة وتمسك بها ودعا أصحابه للتمسك بها لتكون منهاجاً لتربية إسلامية متواصلة عنت عناية كبيرة بجسم الإنسان ولاسيما أن الجسم بمثابة الوعاء الذي يحوي الذات الإنسانية بدليل أنه يحوي ثلاثاً من الضروريات الخمس التي دعت الشريعة إلى احترامها والحفاظ عليها ، فالجسم محل (النفس ، والعقل ، والنسل) فتأتي تلك العناية بالجسم من خلال تطبيق مبدأ تنظيف الأماكن التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف. [75]

وتلك السنن تمتد مواطنها من أعلى هامة الإنسان إلى قدميه ، ففي أعلى الرأس تكون سنة ترجيل الشعر وتنظيفه وتطبيبه ، وفي الأنف تكون سنة الاستنشاق ، وفي الفم تكون سنة السواك وسنة المضمضة ، وفي الأبطين تكون سنة نزع (نتف) الشعر ، وفي وسط الإنسان تكون سنة حلق العانة

---

[76]) توجيه الرسول للحياة والأحياء ، أحمد الشرباصي ، ص130 .

[77]) سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحُسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، رقم الحديث (17341) ، ج8 ، ص324 .

[78]) طرح التثريب في شرح التقريب ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحُسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي : 76/2 .

مصعب بن شيبة : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة . رواه أبو داؤد ، رقم الحديث (53) ، ج1 ، ص14 .

[75]) أزمة الذات المسلمة وضياع الإحساس بالسنن الكونية ، عبد الحليم عويس ، ص11–12 .

وجاءت تأكيدات الرسول محمد على عدم التنفس في إناء الماء لكي لا يخرج مع النفس بُصاق أو مخاط أو بخار رديء فيكسبه رائحة كريهة فيتقذر بها . [82]

لقد دعا الرسول محمد عليه وسلم المسلمين في أثناء وضوئهم إلى غسل أجزاء من الجسم خمس مرات في اليوم قبل كُل صلاة كالوجه واليدين والفم والأنف واليدين والقدمين ، أما الجسم بشكل كامل فغسله واجب كلما أمكن ذلك ، والأمر بالنظافة ولاسيما الامتثال بالوضوء الصحيح الكامل انعكس إيجاباً على حياة الإنسان وصحته ، فقد ثبت طبياً أن الوضوء يسهم في معالجة الصداع وشلل الوجه النصفي والجيوب الأنفية ، فضلاً عن حمايته للجسم من الجراثيم الخارجية ، كما يسهم الوضوء في التخلص من مرض التراخوما الذي يسبب العمى ، لذلك نلاحظ أن المجتمعات المسلمة التي تحافظ على الوضوء يكاد يكون ذلك المرض مختفياً فيها [83]، وتشير الدراسات الطبية إلى أن غسل الوجه واليدين ومسح الأذنين من

المعروف بالخطابي ، المطبعة العلمية ، (حلب : 1351هـ/1932م) ، ج4 ، ص274 .

[82]) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ج1، ص253 .

[83]) الجوارح وأسرار الوضوء ، ماجدة عامر ، ص44 .

أحمد بن صالح حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني قرة بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عَن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال نهى رسول الله عن الشرب من ثلمة القدح وأن ينفخ في الشراب) [79]فقال رجُل يا رسول الله (القذاة أراها في الإناء ؟ قال أهرقها ، قال : فإني لا أروى من نفسٍ واحدٍ ؟ قال : فأبنِ القدح إذن عن فيك).[80]

وإنما نهى عن الشراب من ثلمة القدح لأنه إذا شرب منها تصبب الماء وسال قطره على وجهه وثوبه لأن الثلمة لا تتماسك عليها شفة الشارب كما تتماسك على الموضع الصحيح من الكوز والقدح. وقد قيل إنه مقعد الشيطان فيحتمل أن يكون المعنى في ذلك أن موضع الثلمة لا ينال التنظيف التام إذا غسل الإناء فيكون شربه على غير نظافة وذلك من فعل الشيطان ، وكذلك إذا خرج الماء فسال من الثلمة فأصاب وجهه وثوبه فإنما هو من اعنات الشيطان وإيذائه إياه[81] .

[79]) سنن أبي داؤد ، رقم الحديث (3722) ، ج3 ، 337 . وحكم الشيخ الألباني أنه صحيح .

[80]) سنن الترمذي ، رقم الحديث (1887) ، ج3 ، ص367 . قال عنه الشيخ الالباني حديث حسن صحيح .

[81]) معالم السنن وهو شرح سنن أبي داؤد ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي

كما أكد الرسول على تكريم الله تعالى للمُسلم النظيف المُعتني بوضوئه وطهارته مبيناً مكانته التي تفوق مكانة الجميع واصفاً أولئك الرجال حينما كان واقفاً أمام القبور بقوله : (السلام عليكم دار قومٍ مؤمنون ، وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون ، وددت إنا قد رأينا إخواننا ، قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ ، قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، قالوا : كيف تعرف من لم يأتِ من أمتك يا رسول الله ؟ قال : أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون غُراً مُحجلين من الوضوء ، وأنا فرطُهُم على الحوض ألا ليذادن رِجال عن حوضي كما يُذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيُقال إنهم قد بدلُوا بعدك فأقول سُحقاً سُحقًا) .[87]

كما حذر عليه الصلاة والسلام من تعرض الأماكن القريبة من سكن الناس للقاذورات ، وتنظيف الملابس من النجاسات ، وضرورة التخلص من فضلات الإنسان بشكل صحيح ، كما علم أصحابه مبدأ الحجر الصحي من خلال أمرهم بعدم دخول الأرض الموبوءة وعدم الخروج منها إن كانوا الأسباب المهمة التي تقي من الأمراض الجلدية ، إذ إن الميكروبات وطفيليات بعض الديدان والفطريات تُصيب الإنسان عن طريق التسلخات الموجودة بالجلد والناجمة عن الهرش بسبب عدم النظافة .[84]

ولما كان الوضوء ملازماً للصلاة فقد بيَّن الرسول محمد فوائده وما يعود به من نظافة على الجسم وعلَّمنا كيف ننظف أجسامنا عند الوضوء ، كقوله (إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك) ، كما أنه (توضأ وجعل يدلك) ، وقد ورد أنه (مسح في وضوئه رأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما) [85]، وقد حفز الرسول محمد أصحابه على إسباغ الوضوء لما له من فوائد صحية تنعكس إيجاباً على صحة الإنسان ، فضلاً عن أن الله تعالى سيجازيهم يوم القيامة ، فقال أبو هريرة إن النبي محمد قال (إن أمتي يُدعون يوم القيامة غُراً محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يُطيل غرته فليفعل). [86]

---

[87]) المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (249) ، ج1 ، ص218 .

[84]) الطب الوقائي من القرآن والسنة ، عبد الباسط محمد السيد ، ص78 وما بعدها .

[85]) سنن أبن ماجه ، رقم الحديث (442) ، ج1 ، ص151 . وقد صححه الالباني .

[86]) الجامع المسند ، رقم الحديث (136) ، ج1 ، ص39 .

وقد كان النبي محمد أجمل الناس مظهرًا وأحسنهم مطلعًا يتلألأ في ثيابه كالبدر ، يحب الطيب ويكثر من استعمال العطور كما وصفته السيدة عائشة عنها حتى في إحرامه (كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق رسول الله وهو مُحرم). [92]

وكثيراً ما كان الرسول الكريم محمد يُعلم أصحابه النظافة بأسلوب لين فيه الكثير من الرفق والإرشاد معاً ، فحينما كان الرسول محمد وأصحابه في المسجد جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله مه مه ، فقال رسول الله (لا تزرمُوه دعوُه) فتركوه حتى بال ، ثم دعاه رسول الله فقال له ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة وقراءة القرآن)) ، أو كما قال ، ثم أمر رجُلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فصبه عليه [93] .

وللمكانة الكبيرة التي حظي بها المسجد ، فقد كان الرسول يتألم حينما يرى شيئاً مسيئاً لتلك المكانة بها بقوله ((الطاعون رجس أُرسل على طائفة من بني إسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض ، وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)) . [88] وحينما وصل الرسول الكريم المدينة كانت منطقة موبوءة فتمرض أبو بكر الصديق وسيدنا بلال فقال الرسول محمد (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وانقل حُماها إلى الجحفة ، اللهم بارك لنا في مُدنا وصاعنا) [89]، وقد عمل الرسول وصحابته الكرام على العناية بمجاري الأنهار وتنظيف الوديان كوادي (بطحان) الذي أصبح الماء الجاري فيه عذباً . [90]

وعن نظافة مكان الصلاة ، (فقد سُئل رسول الله عن الصلاة في مبارك الإبل فقال لا تصلوا في مبارك الإبل ، وسئل عن الصلاة في مرابض الغنم فقال :نعم). [91]

---

[88]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (3473) ، ج4 ، ص175 .

[89]) الجامع المسند ، رقم الحديث (6372) ، ج8 ، ص80 .

[90]) الأسس الدعوية والحضارية للمدينة المنورة ، مروان شيخ الأرض ، ص47.

[91]) الجامع المسند ، البخاري ، ج1 ، ص67 . وفي تعليق مصطفى البغا على الحديث (أرجل : تعني أسرح وأمشط شعر رأسه) ؛ المسند الصحيح ، ج1 ، ص244 .

[92]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (1538) ، ج2 ، ص136 .

[93]) المسند الصحيح ، مُسلم ، رقم الحديث (285) ، ج1 ، ص236 .

بمكانة كبيرة لديه ، فعن أبي هريرة : أن رجُلاً أسود أو امرأة سوداء كان يُقم المسجد فمات ، فسأل النبي عنه فقالوا مات ، قال : (أفلا كُنتم آذنتموني به دلوني على قبره – أو قال قبرها – فأتى قبرها فصلى عليها) .[97]

ولم يقتصر النصح بالتطيب على الرسول محمد بل كانت زوجاته ينصحن بقية زوجات المسلمين ، فعن عائشة عنها أنها قالت (مُرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فإني أستحييهم منه ، أن رسول الله كان يفعلُه)[98] فكان شديد الحرص على النظافة والتطيب للظهور بشكل لائق ، إذ تحدثنا السيدة عائشة بقولها (كان رسول الله إذا أراد أن يُحرم يتطيبُ بأُطيب ما يجدُ ثم أرى وبيص الطيب في رأسه ولحيته بعد ذلك) [99]، وعن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه قال : (كانت لرسول الله سُكة (نوع من الطيب) يتطيب بها) [100]. ولم

ويعمل على تعليم الصحابة الكرام على تعظيم تلك المكانة والمحافظة على نظافة ذلك المكان الذي يجب أن يكون طاهراً ، فعن أنس بن مالك أن النبي رأى نخامة في القبلة ، فشق ذلك عليه حتى رأى في وجهه ، فقام فحكه بيده ، فقال : (إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه ، أو إن ربه بينه وبين القبلة ، فلا يبزُقن أحدكم قِبل قبلته ، ولكن عن يساره ، أو تحت قدميه) ، ثم أخذ طرف ردائه ، فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض فقال (أو يفعل هكذا).[94]

كما أكد الرسول على نظافة المسجد وعدَّها من محاسن القوم وتوسيخه من المساوئ بقوله : ((عُرضت علي أمتي بأعمالها حسنها وسيئها ، فرأيت من محاسن أعمالها إماطة الأذى عن الطريق ، ورأيت من سيء أعمالها نخامة في المسجد لا تُدفن)) [95]، كما قال عليه الصلاة والسلام في المجال نفسه (البُزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها) [96]، ولشدة تأكيد السنة النبوية على نظافة المسجد ، فقد حظي من يقوم بتنظيفه

---

[97]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (458) ، ج1 ، ص99 .

[98]) سنن النسائي ، رقم الحديث (46) ، ج1 ، ص42 ، والشيخ الالباني صححه ؛ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي : 261/8 .

[99]) المسند الصحيح ، مُسلم ، رقم الحديث (1190) ، ج2 ، ص848 .

[100]) سنن أبي داؤد ، رقم الحديث (4162) ، ج4 ،

[94]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (405) ، ج1 ، ص90 .

[95]) سنن أبن ماجة ، رقم الحديث (3683) ، ج2 ، ص1214 . وقال عنه الشيخ الالباني (صحيح) .

[96]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (415) ، ج1 ، ص91 .

أنس بن مالك (ما رأيت رسول الله عُرض عليه طيب فرده قط) .[103]

وفي باب العلاقة بين الزوجين فقد أسهمت النظافة في زرع بذور المحبة والألفة بين الزوج وزوجته، وقد نهى الرسول محمد الرجًل من أن يطرق أهله ليلاً لكي لا يدخل عليهم ويرى ما لا يحب من غير النظافة وعدم التزين.[104]

ولم يكن الرسول محمد ليضع حاجزاً بينه وبين نساء المسلمين في باب النظافة وكان يجيب عن كل استفساراتهن ، فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت : سألت امرأة الرسول محمد فقالت (أرأيت إحدانا إن أصاب ثوبها الدم من الحيضة ، كيف تصنع به ؟ فقال رسول الله (إذا أصاب ثوب إحداكن الدم من الحيضة فلتقرصه ثم لتنضحه بالماء ثم لتصلي فيه) [105]، كما أجاب الرسول محمد على أسئلة نساء المؤمنين عن غُسل المحيض ، فعن عائشة إن امرأة سألت النبي محمد عن غُسلها من المحيض ، فأمرها كيف تغتسل ، قال : خذي فرصة من مسك فتطهري بها ، قالت : كيف

[103]) مسند أحمد ، رقم الحديث (13617) ، ج21 ، ص224 .

[104]) شرح الجامع المسند ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، ج4، ص452 .

[105]) الاستذكار ، أبو عمر يوسف بن عبد البر بن عاصم القرطبي ، ص330 .

يقتصر الأمر في التطيب على الرسول الكريم بل حاول بفعله ذاك تحفيز أصحابه الكرام على أن يتمثلوا به ، فهذا عبد الله بن عمر إذا استجمر ، استجمر بالألوةِ غير مُطراةٍ ، وبكافور يطرحه مع الألوة ، ثم قال : هكذا كان يستجمر رسول الله .[101](

وحينما سُئل ابن عمر عن المسك أيوضع في الحنوط ؟ فقال (أوليس المسك من أطيب طيبكم) ، فضلاً عن أن سيدنا عمر بن الخطاب كان يتطيب بالمسك مقتدياً بالرسول الكريم الذي روى لصحابته الكرام قصة تلك المرأة اليهودية التي تملك خاتماً محشواً بالمسك والذي وصفه بأنه أطيب الطيب ، وعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله (من عُرض عليه ريحان فلا يرده ، فإنه خفيف المحمل طيبُ الريح)[102] ، ويقول

ص76 . وقد صححه الشيخ الالباني

[101]) المسند الصحيح ، مُسلم ، رقم الحديث (2254) ، ج4 ، ص1766 ؛ والاستجمار : هنا استعمال الطيب والتبخر به مأخوذ من المجمر وهو البخور . أما (الألوة) : وهي العود الذي يتبخر به . و (غير مطراة) : تعني غير مخلوطة بغيرها من الطيب . ينظر : شرح محمد فؤاد عبد الباقي في المسند الصحيح ، نفس الجزء والصفحة .

[102]) المسند الصحيح ، مُسلم ، رقم الحديث (2253) ، ج4 ، ص1766 .

الجاهلية من وشم وما إلى ذلك فقال : (لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة) [109].

إلا أن السنة الشريفة عادت لتدعو المرأة والرجُل للعناية بنظافتهما والتجمل بعضهما للآخر ، فعن ابن عباس قال (أني لأحب أن أتزين للمرأة كما تتزين لي)) ، وقالت بدوية لابنتها حين أرادت زفافها : (لا يطلعن منك على قبيح ، ولا يشمن إلا طيب ريح). [110]

وكان الرسول محمد يدعو المسلمين للنظافة صغاراً وشباباً وشيوخاً رجالاً ونساءً لا يستثني أحداً ، كما أنه يؤكد على تزيين الصبيان ، فعن أبي هريرة قال خرج النبي في طائفة النهار لا يكلمني ولا أكلمه ، حتى أتى سوق بني قنيقاع فجلس بفناء بيت فاطمة فقال (أثم لكعُ أثم لكعُ يعني الحسن فظننا أنه أنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخاباً) [111]،

أتطهر ، قال : تطهري بها ، قالت : كيف ؟ فاجتذبتها إلي ، فقلت : تتبعي بها أثر الدم) [106]

وفي صحيح مُسلم ما نصه (تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها ، فتطهر فتحسن الطهور ، ثم تصب الماء على رأسها فتدلكه ، ثم تصب عليها الماء ، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها). [107]

ولنساء النبي دور كبير في إيصال توجيهاته لنساء المسلمين من خلال طرح الأسئلة المتعلقة بأمور تمس حياة المرأة وكيفية تطهير جسمها من الجنابة والحيض والنفاس ، لينقلن الإجابة لبقية النسوة ، فعن أم سلمة قالت قُلت يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي (أي أجعله مكذولاً) أ فأنقضه (أي أفتحه) لغُسل الجنابة ؟ قال : (لا ، إنما يكفيكِ أن تحثين على رأسك الماء ثلاث حثيات). [108]

وقد أكد رسول الله على المحافظة على نظافة وجمالية جسم الإنسان التي خلقه الله فيها على أحسن صورة وعدم التلاعب بها بالتغيير ، ولاسيما ما كانت النسوة يفعلنه بجلودهن في

---

[109]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (5933) ، ج7 ، ص165 .

[110]) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن ، (الرياض : د/ت) ، ج4 ، ص130 .

[111]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (2122) ، ج3 ، ص66 . وقد عبر الرسول محمد □ عن صغر سن سيدنا الحسن بقوله (لكعُ) ، أما كلمة (سخاباً) فتعني الطوق من القرنفل والمسك والعود

[106]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (314) ، ج1 ، ص70 .

[107]) المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (332) ، ج1 ، ص261 .

[108]) المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (330) ، ج1 ، ص259 .

غير مُخمر (أي بدون غطاء) ، فقال له رسول الله (ألا خمرته ، ولو أن تُعرضُ عليه عُوداً) . [114]

فضلاً عن ذلك فقد نبه الرسول الكريم صحابته الأجلاء إلى مسألة عدم رمي الطعام لمجرد وقوعه على الأرض؛ لأن ذلك سيجعل الشيطان في موقع المنتصر على ذلك العبد المُسلم ، كما جعل من لعق الأصابع دليلاً على الإحساس بالنعمة والبركة بقوله (إذا وقعت لُقمة أحدكم فليأخذها ، فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان ، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه ، فأنه لا يدري بأي طعامه البركة) [115]. وربما ينتقد أعداء الإسلام عملية الدعوة للعق الأصابع وعدم المسح بالمنديل كونها تُمثل في نظرهم وسيلة من وسائل عدم النظافة ، إلا أن المتمعن بالأحاديث النبوية الداعية إلى استعمال اليد اليمنى للتطيب والأكل واليسرى للاستنجاء والطهور ، وكذلك الناظر إلى الحديث النبوي الشريف الداعي إلى تنظيف براجم اليد وتقليم الأظافر يعلم أن تلك اليد التي سيتم لعق الطعام منها ستكون نظيفة جداً ، ولاسيما أن الرسول محمد قد حفز أصحابه على غسل أيديهم ويلاحظ من هذه الحادثة مدى اهتمام الرسول وآل بيته وأصحابه بنظافة الطفل وتزيينه .

وفي باب نظافة الطعام والشراب قال رسول الله ((بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده)) [112]، ومن الأحاديث النبوية التي جاءت لتُعلم الأمة قيمة نظافة الطعام حديث نهى فيه الرسول محمد عن أكل الصيد الذي ينتن ، فعن أبي ثعلبة عن النبي قال ((إذا رميت بسهمك فغاب عنك فأدركته ، فكله ما لم ينتن)) [113]، فضلاً عن ذلك فقد حث النبي أصحابه على تغطية الطعام لكي لا تصله الميكروبات فعن جابر بن عبد الله قال جاء أبو حميد الساعدي بقدح من لبن من النقيع

---

[114]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (5605) ، ج7 ، ص108 .

[115]) المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (2033) ، ج3 ، ص1606 .

ونحوهما من الطيب يعمل على شكل قلادة ويلبس للصبيان والجواري ، كما قيل أنه مصنوع من الخرز . يُنظر : المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (2421) ، ج4 ، ص1882 .

[112]) سنن الترمذي ، رقم الحديث (1846) ، ج3 ، ص345 . والحديث جاء عن قيس بن الربيع وهو ضعيف ؛ سنن أبي داؤد ، رقم الحديث (3761) ، ج3 ، ص345 . قال عنه الشيخ الالباني أنه ضعيف .

[113]) المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (1931) ، ج3 ، ص1532 .

اليسرى فيقلل نسبة انتقال الجراثيم إلى الفم عن طريق اليد .

كما عالجت السنة النبوية الشريف مسألة الابتعاد عن أكل لحوم الحيوانات التي تتغذى في طعامها على الجيف والدماء والقذارات المختلفة لما في ذلك من وقاية من الأمراض التي تنقلها تلك الحيوانات ، (فعن أبن عمر قال نهى الرسول محمد عن أكل الجلالة وألبانها) [119]، كما نهى عن استعمال الآنية التي ولغ فيها الكلب حتى يتم تنظيفها بقوله (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب) . [120]

فضلاً عن ذلك فقد كان الاهتمام بالنظافة من قبل الرسول وصحابته الكرام يتم حتى في المواقف الصعبة ومواطن الخوف ، فحينما هاجر الرسول محمد إلى المدينة المنورة اهتم أبو بكر الصديق بنظافة غذاء الرسول فطلب من الراعي الذي قام بحلب الشاة أن ينظف يديه ، ثم جعل الحليب في إناء برده فيه ، ثم جاء به إلى النبي ليشرب منه [121]. فضلاً عن ذلك فقد حافظ الصحابة مراراً وتكراراً في اليوم والليلة ولاسيما بعد الاستيقاظ من النوم بقوله : ((إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثاً ، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده)) [116] .

وفي مجال المحافظة على الصحة العامة والوقاية من الأمراض ، فقد نبه الرسول الكريم إلى ضرورة احترام آداب الطعام لما فيها من فائدة تسهم في الحفاظ على نظافة الطعام واليد وبالتالي تمنع من تعرض الجسم للأمراض ، فعن عمر بن أبي سلمة قال كُنت طفلاً في حجر رسول الله وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله : (يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك) [117]، وعن عائشة (كانت يد رسول الله اليمنى لطهوره وطعامه ، واليسرى لخلائه وما كان من أذى) [118] ، وذلك النظام في النظافة يضمن نظافة اليد اليُمنى من البراز ، في حين يمنع الأكل باليد

---

[119]) سنن أبو داؤد ، رقم الحديث (3785) ، ج3 ، ص351 . وقد صححه الشيخ الألباني .

[120]) المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (279) ، ج1 ، ص234 .

[121]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (3652) ، ج5 ، ص3 ؛ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن

[116]) المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (278) ، ج1 ، ص233 .

[117]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (5376) ، ج7 ، ص68 ؛ المسند الصحيح ، مسلم ، رقم الحديث (2022) ، ج3 ، ص1599 .

[118]) سنن أبو داؤد ، رقم الحديث (33) ، ج1 ، ص9 . وقد صححه الشيخ الألباني .

سخنوا فيها الماء ثم اطبخوا بعد وكلوا واشربوا ، وفي ذلك حكمة علمت الصحابة الكرام أن التنظيف بالماء الحار يزيل الدسومة وكل ما يعلق بها من الآنية [124]. كما وجه صحابته لمسألة تطهير الطعام من كل ما يدخله من حشرات وجراثيم بقوله (إذا وقع الذُباب في شراب أحدكم فليُغمسه ، فإن في إحدى جناحيه داءً وفي الأخرى شفاءً)[125] ، كما علم أصحابه كيفية تطهير (السمن) إذا ما وقع فيه قذارة ، فعن ابن عباس عن ميمونة أن النبي سُئل عن فأرة سقطت في سمن فقال : (ألقوها وما حولها فاطرحوه وكلوا سمنكم) . [126]

ويبدو أن السنة النبوية الشريفة لم تنسَ شيئاً يمس نظافة المؤمن بكل تفاصيلها لما لها من فائدة عظيمة في تجنيبنا الأمراض ، فعن أبي هريرة أن رسول الله (كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته) [127] ، وقوله (إن الله يُحب العُطاس ويكرهُ التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان

[124]) أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي ، السيرة الحلبية ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، (بيروت : 1427هـ) : 60/2 .

[125]) الجامع المسند ، البخاري ، ج4 ، ص130 .

[126]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (235) ، ج1 ، ص56 .

[127]) سنن الترمذي ، رقم الحديث (2745) ، ج4 ، ص383 . وهو حديث حسن صحيح .

الكرام على نظافتهم حتى حينما تيقنوا أنهم سيستشهدون ، فحينما علم خبيب [122] بنية مشركي مكة – حينما كان أسيراً لديهم – لقتله استحد ليلاقي ربه نظيفاً . [123]

وكل ما يصادف الرسول محمد وصحابته كان يحوي دروساً وعبراً شتى تحمل بينها دعوة للنظافة وربما تشرح طرائق للتنظيف ، فحينما فتح المسلمين خيبر ووصلوا حصن البريء وهو من حصون اليهود وجدوا فيه آنية من نحاس وفخار كانت اليهود تأكل وتشرب فيها ، فقال أغسلوها واطبخوا وكلوا فيها واشربوا ، وفي رواية

حبان بن معاذ بن معبد التميمي ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، تحقيق : شُعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، (بيروت:1988م) ، ج14 ، ص188 .

[122]) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر ، الأنصاري الأوسي ، شهد بدراً وأستشهد في عهد الرسول محمد ﷺ ، وكان هو الذي سن صلاة ركعتين لمن قُتل صبراً ، وقد قُتل في مكة صبراً بعد أسره. يُنظر : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، دار الحديث ، (القاهرة:1427هـ) ، ج3 ، ص153 .

[123]) سعيد بن علي بن وهب القحطاني ، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط1 ، (د.م/1421هـ) ، ج1 ، ص769 .

تنقي الجو من الأتربة وما تحمله معها من مكروبات ، لذلك كله قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا بُهز ، حدثنا حماد ، حدثنا هشام بن زيد ، قال سمعتُ أنس بن مالك قال ، قال رسول الله (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل) [131]، وذلك لأن الدعوة إلى نظافة المرافق العامة ، وتشجير البيوت والطرق والساحات العامة دليل تحضر ورقي ، وحرص على النظافة والطهارة ، وسموا بالمسلم إلى مراعاة شعور الآخرين وتأمين راحتهم برفع الأذى عنهم ، فقد رغب الإسلام في إزالة الأذى عن الطريق منعا لوقوع الإيذاء ، وعملاً على سلامة المارين ، وقد جعل الإسلام هذا العمل مأجوراً عند الله فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ : (كُلُ سُلامى عليه صدقة ، كل يومٍ ، يُعين الرجل في دابته يحامله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ، ودل الطريق صدقة)[132] ، وعن أَبي هُرَيْرَةَ عن النبيّ قالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي في

[131]) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم الحديث (12981) ، ج20 ، ص296 .

[132]) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (2891) ، ج4 ، ص35 .

حقاً على كُل مُسلم سمعه أن يقول له رحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان). [128]

ولم تغفل السنة النبوية الشريفة مسألة الوقاية الصحية من الأمراض وتجنب انتشارها ، فقد دعا الرسول المسلمين إلى تجنب الاختلاط بالمريض حتى يشفى قائلاً : (لا تُوردوا الممرض على المصح) [129]، ولم ينسَ الرسول محمد أن يشير إلى مكانة الذي يموت بمرض الطاعون وأجره يوم القيامة فقال : (الطاعون شهادة لكل مُسلم) [130].

وفي باب نظافة البيئة والمحافظة على جمالها ، فقد حث النبي محمد أصحابه على زراعة الأشجار بمختلف أنواعها لما لها من فائدة عظيمة ، فهي

[128]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (6226) ، ج8 ، ص50 . وقد ورد الحديث في سنن الترمذي بقوله (إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه) يُنظر : الترمذي ، رقم الحديث (2746) ، ج5 ، ص86 . وقال عنه الالباني أنه حديث حسن صحيح .

[129]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (5774) ، ج7 ، ص139 .

[130]) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (2830) ، ج4 ، ص24 .

وهذا بدوره ينفي الزعم الباطل الذي يقول : إن الإسلام لا يهتم بالناحية الجسمية ، بل ويؤكد قضية التوازن في اهتمامات التربية الإسلامية ورعايتها لمختلف الجوانب الجسمية والروحية والعقلية ، فلا يستغرب بعد ذلك أن يُعرَف المسلم لأول وهلةٍ حين يُرى سمته ووقاره ، وهيأته الخارجية ، وشكله العام الذي يُميزه من غيره من الناس ، ويجعله فريداً في شكله وهيأته ؛ لأن هذه السنن في مجموعها جعلت له شخصيةً مميزةً ، ومظهراً خاصاً ،وأُنموذجاً فريداً يقتدي فيه بإمام الطاهرين وقدوة الناس أجمعين .

النتائج والتوصيات :

بعد الانتهاء من البحث لابد من الإشارة إلى عددٍ من النتائج التي تم التوصل إليها والتوصيات التي يمكن التعامل معها ومنها :

1- ترتبط النظافة بركن مهم من أركان الإسلام وهو الصلاة لما لها من أهمية ، فالإنسان الذي لا يتوضأ وهو جزء مهم من جزيئات النظافة لا تُعدُّ صلاته صحيحة .

2- تميز الإسلام بمسألة النظافة والدعوة للالتزام بها عن بقية الأديان الطّرِيقِ إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ . [133])

ويكاد الظهور بالمظهر الحسن والتطيب يصلان حد النبوة كما في قوله عليه الصلاة والسلام ((إن الهدي الصالح والسمتُ الصالح والاقتصاد جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة)) [134]، فعلينا التصديق بما ورد في سيرة وهدي الرسول عن طريق التقليد والاتباع الصادق لها في الأعمال كافة و التصرفات والسلوكيات جميعها . وهذا بدوره كفيلٌ بتربية أفراد المجتمع المسلم على السمع والطاعة ، والامتثال لأوامر الله تعالى وهدي الرسول ، ولاسيما أن في الناس نَزعةً فطريةً لتقليد ومحاكاة من يحبون .

واتخاذ القدوة الحسنة من المعلم الأول والمربي الأعظم كشخصيةٍ فذةٍ متكاملةٍ متوازنة. وتتضح هذه القدوة في الاهتمام بكل ما له علاقةٌ بالإنسان وما يحتاج إليه من النظافة العامة حينما يتفقد المسلم أظافره فيقلمها، وفمه فينظفه ، وأسنانه فيسوِّكها، وشاربه فيقصه، وشعره فيُرجله ويُسرحه، ولحيته فيُعفيها، وإبطيه فينتفهما... إلخ .

---

133)) الجامع المسند ، البخاري ، رقم الحديث (652) ، ج1 ، ص132 .

134)) سنن أبي داؤد ، (4776) ، ج4 ، ص247 . وحكم الألباني عليه أنه حسن .

الأحاديث الشريفة وشرحها التي تناولت الموضوع .

7- ضرورة أن يتم تنبيه الفرد المسلم حول فوائد النظافة ومضار الابتعاد عنها عبر أصغر حلقات المجتمع وهو الأسرة ، إذ يقع على عاتق الوالدين مسألة إفهام الأطفال ذلك الأمر ولاسيما المبادئ الأساسية للنظافة التي وردت في الأحاديث النبوية الدالة على الفطرة .

8- التركيز على تلك المسألة في مناهج التربية الإسلامية بما يتلاءم والفئة العمرية ، فمثلاً هناك أحاديث نبوية أكدت على النظافة بشكلها البسيط يتم تضمينها في دروس المرحلة الابتدائية ، ومواضيع تمس نظافة المسلم سواء كان ذكراً أم أنثى يتم تضمينها في مناهج التربية الإسلامية للمراحل الثانوية .

9- للإعلام دور كبير في مسألة التنبيه إلى النظافة وفوائدها عبر بث لكي يميز الإنسان من بقية مخلوقات الله تعالى.

3- كانت وصايا الرسول محمد لصحابته الكرام وللمسلمين عامة بالنظافة قاعدة من قواعد الوقاية الصحية والتي اكتشف العلم الطبي الحديث فائدة كل منها في الوقاية من مرض مُعين .

4- كان الرسول قدوة حسنة للجميع حتى في مجال النظافة ، فقد علمهم التطيب وتسريح الشعر والاعتناء به وغير ذلك من أمور تتعلق بها .

5- النظافة في السنة النبوية شاملة لباطن الإنسان وظاهره ، فنظافة الباطن تشمل القلب ودواخل الإنسان من أمور يجب تنظيفها ليستقيم تصرف ذلك الفرد كالحسد والبغضاء وغيرها .

6- التأكيد على النظافة في مجتمعاتنا المعاصرة عبر العودة إلى السنة النبوية الشريفة وقراءة

الوضوء والاغتسال من الجنابة في الوقت الذي تعمل الأم على تنبيه البنت حول كيفية الاغتسال من الحيض وهكذا كلما شعرنا أنهم قد وصلوا إلى مرحلة عمرية جديدة يحتاج كل منهم إلى درس جديد يمكنهم من التطهر والالتزام بمبادئ الله تعالى وسنة نبيه الخاصة بالنظافة .

المصادر والمراجع:

1-أثر السنة النبوية في الطب الوقائي والعلاجي المعاصر ، محمد عبد الرزاق أسود ، بحث مُقدم إلى مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة بجامعة اليرموك بأربد / المملكة الأردنية الهاشمية

2- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني ، إشراف : منير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط2 ، (بيروت: 1405هـ) .

3-أزمة الذات المسلمة وضياع الإحساس بالسنن الكونية ، عبد الحليم عويس ، منشور في مجلة حراء ، العدد (19) ، أبريل – يونيو 2010

الدروس الإرشادية الخاصة بعرض الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت الموضوع، ومن ثَمَّ شرحها ومحاولة الربط بينها وبين حياتنا المعاصرة .

10- يجب أن تكون عملية توجيه المجتمع إلى المحافظة على النظافة والاقتداء بسيرة الرسول محمد وصحابته الكرام ، عملية تربوية تقوم على النصح والإرشاد باللين وليس بالزجر وتكدير الخواطر مما يتسبب بنتائج عكسية ، مقتدين بالأسلوب الطيب الحسن الذي اتبعه الرسول مع المسلمين .

11- على الأُسرة تنبيه أطفالها إلى مسائل النظافة وحسب فئاتهم العمرية فحينما يبدأ الطفل بالمشي والكلام يتم تنبيهه إلى مسألة غسل اليدين قبل الطعام وبعده وكيفية غسل السبيلين بعد البول والغائط ، وحينما يبلغ يقوم والده بتعليمه

السنيدي ، أطروحة دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة ، جامعة الملك سعود 142901430هـ .

13–مسند أبي داؤد الطيالسي ، أبو داؤد سليمان بن داؤد بن الجارود الطيالسي ، تحقيق : محمد عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط1 ، (مصر:1419هـ–1999م) .

14– سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحُسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، مكتبة دار الباز ، (مكة المكرمة : 1414هـ) .

15– شرح الجامع المسند ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، مكتبة الرُشد ، (الرياض:2003)

16– شرح صحيح البخاري ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرُشد ، (الرياض:2003)

17– صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الالباني ، المكتب الإسلامي ، (د.م/د.ت) .

18– الطب الوقائي من القرآن والسنة ، عبد الباسط محمد السيد ، دار ألفا ، (القاهرة : 1423هـ–2002م) .

4– أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء ، أبو أسحق العراقي ، المكتبة الجامعة ، مطبعة البغدادي ، (العراق:2004م) .

5–الاستذكار ، أبو عمر يوسف بن عبد البر بن عاصم القرطبي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت:2000)

6– الأسس الدعوية والحضارية للمدينة المنورة ، مروان شيخ الأرض ، (دبي:2007)

7– الأنوار الساطعات لآيات جامعات ، عبد العزيز بن محمد السلمان ، المكتبة الشاملة .

8– توجيه الرسول للحياة والأحياء ، أحمد الشرباصي ، دار الجيل ، (بيروت:د/ت) .

9– الجامع الصحيح أو سنن الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت:د/ت)

10– الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، (القاهرة:1964) .

11–الجوارح وأسرار الوضوء ، ماجدة عامر ، مؤسسة الفلاح ، (القاهرة:د/ت) .

12– حوار الحضارات (دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة) ، فهد بن عبد العزيز بن عبد الله

19- طرح التثريب في شرح التقريب ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحُسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي ، الطبعة المصرية القديمة ، (القاهرة:د/ت)

20- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، (بيروت:1379)

21-المدخل ، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي الشهير بابن الحاج ، دار التراث ، (د.م:د.ت) .

22- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ، دار الفكر ، (بيروت : 2002) .

23- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت:2001م) .

24-مضامين تربوية مستنبطة من سيرة أم المؤمنين خديجة وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة ، تهاني بنت عبد القادر ابن عثمان يماني ، رسالة ماجستير مُقدمة إلى كلية التربية في جامعة أم القرى ، (1429-1430هـ) .

25- معالم السنن وهو شرح سنن أبي داؤد ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، المطبعة العلمية ، (حلب : 1351هـ/1932م) .

26- النظافة من الإيمان ، سلوى عزازي ، المكتبة الالكترونية العربية ، 2006 .

'Umimat Muhamad Nueman Quraqie; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 39-61

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal
A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota /USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

أثر الدعوة إلى الشذوذ الجنسي على الأسرة المسلمة

الباحثة: أ.أميمة محمد نعمان قراقع – فلسطين
محاضرة في جامعة القدس المفتوحة . فرع بيت لحم

Original Research Article

*Corresponding author
'Umimat Muhamad Nueman Quraqie

Article History
Received: 12.07.2023
Accepted: 22.08.2023
Published:.26.09.2023

ملخص البحث: والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد: فقد تناولت هذه الدراسة موضوع: أثر الدعوة إلى الشذوذ الجنسي على الأسرة المسلمة، لما لهذا الموضوع اليوم والدعوة إلى نشره وإسباغ السمة القانونية عليه من خطر يهدد كيان الأسرة عموماً، والأسرة المسلمة على وجه الخصوص، فجاءت هذه الدراسة بهدف بيان مفهوم الشذوذ وتاريخ نشأته، وخطره على الأسرة وكيفية تحصين الأسر المسلمة من أخطاره، وبينت الدراسة كيف تمّ استبدال مصطلح الشذوذ بمصطلح المثلية الجنسية، وما يتعلق بهذه التسمية من تقنين الشذوذ ودمجه في المجتمع دون وسمه بصفة الشذوذ، وبحثت الدراسة أيضاً في الحكم الشرعي للشذوذ، والعقوبات التي تترتب عليه في الشريعة الإسلامية، ثم بينت آثاره السلبية على المجتمع والأسرة والفرد من النواحي الاعتقادية والأخلاقية، وكذلك الآثار الاجتماعية لذلك على الأسرة والنسل. وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي مستعينة بالمنهج التحليلي في توجيه النصوص والأدلة الشرعية، وخلصت الدراسة إلى أن وجود قضية الشذوذ قديمة حديثة مرتبطة بانحراف الفطرة البشرية والبعد عن التعاليم الربانية، وأن الدعوة إليها والحث على تقنينها وترويجها يشكل هدماً واضحاً لكيان الأسرة التي يريدها الله والتي يراد منها تحقيق الأهداف الإنسانية من قيامها على أسس المودة والرحمة وتحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي والتربوي، وإيجاد النسل الصالح المدعم بالقيم التربوية القادر على تحقيق منهج العبودية لله وعمارة الأرض. ومن هنا توصي الدراسة بتشكيل لجان وجمعيات تقوم بدور فعال في توعية الأسر والأجيال القادمة بتعاليم الإسلام وأهدافه من إنشاء الأسرة، وجعل هناك وقف دائم من صدقات المسلمين ينفق على نشر الوعي وبث القيم التربوية الإسلامية المضادة لما يدعون إليه من شذوذ وانحراف، ويوجه لخدمة الجمعيات واللجان والمنشورات الدعوية.

Abstract: This study focuses on the effect of the call for Paraphilias (sextual deviation) on the muslim family . This call and the way of legitimating it leads to dangers which threaten the structure of the family in general and the muslim family in particular . Therefore, this research aims to show the conception of Paraphilias ,its history,dangers on families and how to protect the muslim family from it. In addition , the study explains how some people exchange the idea of Paraphilias with homo sexuality which gives Paraphilias the right to integrate in society as if it is homo sexcuality. Morever , this study searches the opinion of Islamic law concerning Paraphilias and the punishment related to it.To add , this research shows the negative effects paraphilias has on society , family and individuals concerning morals ,beliefs, social effects and offspring.The researcher follows the descriptive approach using analytical in supporting texts and Islamic law evidences . The study finds out that the issue of paraphilias is an old new one related to the deviation of human nature from religious instructions.

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على معلمنا ومزكي نفوسنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإننا نشهد اليوم حالة عالمية تدعم الشذوذ الجنسي وتضفي عليه صفة قانونية، بل وتعزز وتشجع الشواذ جنسياً، تحت عنوان الحرية المطلقة في تملك الجسد والتصرف فيه، وهذا يدق ناقوس الخطر على كيان الأسرة والمجتمع بأسره، لا سيما الأسر المسلمة التي تعيش في الغرب، ومن هنا تم تناول هذا الموضوع الذي يبحث في أثر الدعوة إلى الشذوذ الجنسي على الأسرة المسلمة، وقد جاءت عناصر البحث على النحو التالي:

مشكلة البحث: تتناول هذه الدراسة قضية انتشار الشذوذ في المجتمعات خاصة الغربية منها، والدعوة إليه وتشجيعه،وخطورته على العقيدة الإسلامية والفطرة السوية، وتقويض أركان الأسرة المسلمة.

أهمية البحث: أنه يمس قضية كبيرة شرعاً تتعلق بمقاصد الشريعة الإسلامية الأساسية من حفظ الدين والأخلاق، وكذلك حفظ النسل والعرض، فكان لا بدّ من وقفة عند قضية الدعوة إلى الشذوذ الجنسي وتزيينه للناس، وبيان خطورة وآثار هذه الدعوة على الأسرة والتحذير منها، وبيان سبل الوقاية منها.

أهداف البحث:

1- بيان مفهوم الشذوذ الجنسي، والمثلية الجنسية، وما يستخدم من مصطلحات معاصرة تشير إليهما.

2- توضيح التدرج التاريخي لنشأة مصطلح الشذوذ، وكيف تم استبداله بالمثلية الجنسية.

3- إظهار موقف الإسلام من الشذوذ الجنسي بأنواعه، والعقوبات التي قررها لمواجهة الشذوذ.

4- بيان التدابير الوقائية التي شرعها الإسلام ابتداءً لضمان استقامة الأسرة على المنهج الرباني في التربية الجنسية، وتنظيم العلاقات بين الجنسين.

5- توضيح خطر الدعوة إلى الشذوذ على الأسرة من النواحي العقائدية والأخلاقية والاجتماعية، وأثر ذلك على النسل.

منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، ولقد أفدت كثيراً من كتابي: (الشذوذ الجنسي)، لمحي الدين عطية، وكتاب (المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية)، لأحمد طه، ولكن جميع ما اطلعت عليه من كتب كان يتسم بالإسهاب والتطويل في الموضوع أو يركز على جانب معين منه، فجاء هذا البحث ليجمع معلومات مختصرة ومركزة تفي بحاجة المتعجل الذي يطلب خلاصة الأمر في هذا الموضوع..

الفهرس.

المبحث الأول: مفهوم الشذوذ الجنسي وتسمياته الحديثة، وتاريخ نشأته.

المطلب الأول: مفهوم الشذوذ الجنسي لغة واصطلاحا

لا بدّ في البداية من تعريف كلمات العنوان، حتى نبني عليها الأحكام، فنعرف كلمتي (الشذوذ) و(الجنس).

الشذوذ لغة : شذّ ويشذّ شذوذاً : انفرد عن الجمهور وندر، فهو شاذّ، وسمى أهل النحو ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك الى غيره : شاذّا، وقوم شُذّاذ: اذا لم يكونوا في منازلهم ولا حيهم، وشُذاذ الناس: متفرقوهم، وفي حديث قتادة . وذكر قوم لوط . فقال: "ثم أتبع شذان القوم صخراً منضوداً"، أي من شذّ منهم وخرج عن جماعته. [1]

قال الليث: شذّ الرجل اذا انفرد عن أصحابه، وكذلك كل شيء منفرد. [2]

وجاء في معجم مقاييس اللغة: (شَذَّ) الشِّينُ وَالذَّالُ يَدُلُّ عَلَى الِانْفِرَادِ وَالْمُفَارَقَةِ. شَذَّ الشَّيْءُ يَشِذُّ شُذُوذًا. وَشُذَّاذُ النَّاسِ: الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي الْقَوْمِ

[1] (لسان العرب، ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (دار صادر – بيروت –1414هـ –1994م) ط3 ا، ج3 ص 494

[2] المرجع السابق، ج3 ص495

هيكلية البحث وتقسيمه:

المبحث الأول: مفهوم الشذوذ الجنسي وتسمياته الحديثة، وتاريخ نشأته.

وفيه ثلاثة مطالب: الأول: مفهوم الشذوذ الجنسي لغة واصطلاحا

الثاني: التسميات المعاصرة التي تطلق على الشذوذ الجنسي.

الثالث: نشأة الشذوذ تاريخياً.

المبحث الثاني: موقف الإسلام من الشذوذ الجنسي، وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: الحكم الشرعي في الشذوذ الجنسي

الثاني: عقوبة الشواذ جنسياً.

الثالث: الإجراءات الوقائية التي يتخذها الإسلام لتجنب الجنوح الى الشذوذ.

المبحث الثالث: أثر الدعوة الى الشذوذ على الأسرة المسلمة، وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: الأثر العقدي والأخلاقي لانتشار الشذوذ على الأسرة والفرد المسلم.

الثاني: الأثر الاجتماعي لانتشار الشذوذ على الأسرة

الثالث: الأثر المترتب على انتشار الشذوذ على النسل وتحدي الفطرة البشرية.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته.

قائمة المراجع والمصادر

و(الْجِـنْس): الأَصْـل وَالنَّـوْع و (فِي اصْـطِلَاح المنطقيين) مَا يدل على كثيرين مُخْتَلفين بالأنواع فَهُوَ أَعم من النَّوْع فالحيوان جنس وَالْإِنْسَان نوع و (فِي علم الْأَحْيَاء) أحد شطري الْأَحْيَاء المتعضية مُمَيّزا بالذكورة أَو الْأُنُوثَة، فَذكر نوع من الْأَنْوَاع وبخاصة النَّوْع البشري جنس يناظره جنس الْإِنَاث، واتصال شهواني بَين الذّكر وَالْأُنْثَى، (ج) أَجنَاس وجنوس.[6]

مفهوم الشذوذ الجنسي اصطلاحاً:

وإذا جمعنا كلمتي (الشذوذ، والجنس) يصبح المركب هو الشذوذ الجنسي، وفيما يلي المعنى الاصطلاحي له.

لقد تعددت تعريفات العلماء للشذوذ الجنسي كلٌ واحد حسب مفهومه وتخصصه الذي نظر منه، ومن هذه التعريفات:

"هو ممارسة الجنس بصورة تخالف المشروع، كالزنى بين الرجال والنساء اللواتي لا يحللن لهم، واللواط بين الرجال والرجال، والسحاق بين النساء والنساء، ومواقعة الرجال للبهائم، وغير ذلك من ضروب الشذوذ التي تخالف الفطرة السوية" .[7]

وعُرِّف أيضاً بأنه:" انحرافٌ عن الطريق المحدد شرعاً، أو هو ضروب من الممارسة الجنسية يخرج فيه

[6] المعجم الوسيط، 1مجمع اللغة العربية، 140/1

[7] الموسوعة الطبية الفقهية، أحمد محمد كنعان، دار النفائس، 1420هـ، 2000م، الطبعة الأولى، ص583.

وَلَيْسُوا مِنْ قَبَائِلِهِمْ وَلَا مَنَازِلِهِمْ. وَشُذَّانُ الْحَصَى: الْمُتَفَرِّقُ مِنْهُ. [3]

وفي المعجم الوسيط: شذّ أي شذوذا انْفَرد عَن الْجَمَاعَة أَو خالفهم، وَيُقَال شَذَّ عَن الْجَمَاعَة، وَالْكَلَام خرج عَن الْقَاعِدَة وَخَالف الْقيَاس،(الشاذ) الْمُنْفَرد أَو الْخَارِج عَن الْجَمَاعَة وَمَا خَالف الْقَاعِدَة أَو الْقيَاس وَمن النَّاس خلاف السوي، و(فِي علم النَّفس): مَا ينحرف عَن الْقَاعِدَة أَو النمط، وتستعمل صفة للنمط أَو السلوك، وجمعها : شواذ [4]

أما الجنس في اللغة: الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير، ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة، والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا: أي يشاكله.. [5]

[3] معجم مقاييس اللغة ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، (180/3)

[4] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة القاهرة/ ج1،ص476، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع في المكتبة الشاملة.

[5] لسان العرب، ابن منظور، 43/6

الجنسية)، وكذلك حصل هذا التبديل في الطب العصبي الذي كان حتى سنة (1953) يصنف الجنسية المثلية على أنها نوع من الاضطراب الجنسي لشخصية مصابة بمرض عقلي، إلا وأنه . وإثر تحرك بعض الناشطين المؤيدين للشذوذ الجنسي . تمّ حذف مصطلح (الجنسية المثلية) من دليل الأمراض العقلية، ليوضع مكانه: (اضطراب في التوجه الجنسي). [9]

"ورغم وفرة النساء وسهولة العثور عليهن، ورغم شيوع الزنا لدرجة مخيفة في المجتمعات الغربية فإننا نجد كثيرًا من الظواهر التي لا يمكن تفسيرها بسهولة، مثل انتشار حالات الاغتصاب الجنسي، وانتشار الشذوذ الجنسي وانتشار نكاح المحرمات، وانتشار الاعتداء الجنسي على العاملات والموظفات. فقد كان يقال قديمًا إن الكبت الجنسي وعدم تفريغ هذه الطاقة الضخمة يؤدي إلى هذا الشذوذ، ولكن الغربي لا يعاني من الكبت الجنسي والحرمان ومع ذلك فإننا نرى زيادة مرعبة في الشذوذ الجنسي واكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ونرى زيادة مخيفة في حالات الاغتصاب، وظهرت في الفترة الأخيرة إلى السطح موضة نكاح المحرمات من الأخوات والبنات. . ونكاح الابن أصحابها عن سبل الاتصال الجنسي الطبيعي المألوفة، بمعنى أن الشخص الشاذ جنسياً هو الذي يجد متعة جنسية بعيداً عن عملية الجماع الحقيقية بين الذكر والأنثى عن طريق الزواج. [8]

ونجد هذه التعريفات متفقة على أن الشذوذ هو ممارسة تخالف ما فطر الله عليه الإنسان في تعامله مع الجنس الآخر، كما أنه يشمل العلاقة غير المشروعة بين الرجل والمرأة ضمن الضوابط والأسس التي حددها الخالق سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني : التسميات المعاصرة للشذوذ الجنسي وما يندرج تحته من صور:

هذا التعريف الذي ذكرناه للشذوذ الجنسي لم يبقَ على حاله، فمع بدء الدعوات إلى التعاطف مع الشاذين جنسياً بدأت تغيب عبارة الشذوذ من كتب علم النفس، وتمّ استبدالها بعبارة (المثلية

[9] الشذوذ الجنسي عند المرأة، هدى رشيد الخرسه، دار النفائس، 2009، ص207.

[8] الشذوذ الجنسي، محي الدين محمد عطية، مكتبة الألوكة (موقع الكتروني على شبكة الألوكة) 2016م/ 1437هـ، ص7 (الزيارة بتاريخ 25-7-2023) الساعة : 22:30). الرابط:
https://www.alukah.net/library/0/105966/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B0%D9%88%D8%B0-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3%D9%8A-word/

تعريف المثلية الجنسية لغةً: : كلمة (مثلية) مشتقة من (مِثل) وهي كلمة تسوية، يقال هذا مِثله ومَثَله، كما يقال شِبهه وشَبهه، ويرى ابن بري أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، أما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين.[11] وجاء في المعجم الوسيط: المثل: الشبه والنظير. [12]

فالمثليون هم الّذين يمارسون الجنس مع نوعهم (ذكر+ ذكر) و (أنثى + أنثى)، وهذا النّوع من الشذوذ شائك ومعقّد؛ فالمثلي من كلا الجنسين ربّما مارس دور الذّكر أو الأنثى أو كليهما معاً. وهذا . أي المثلية الجنسية مسمى جديد قديم، فقد عرف منذ القدم بمصطلحي اللواط والسحاق، وإليكم التعريف بهما:

أما اللواط فهو بدعة إتيان الرجل للرجل، المعروفة بالانجليزية (SODOMY) ومعناها: إيلاج ذكر في دبر ذكر أو أنثى، وهو مخالف للفطرة. ويلاحظ اشتقاق الكلمة من اسم مدينة (سدوم) التي كان قوم لوط يعيشون فيها، وتقع جنوب البحر الميت في فلسطين، لذلك أصبح هذا الفعل يسمى باسمهم. [13]

لأمه والأخ لأخته والوالد لابنته، مما يثير التقزز في أكثر الناس ولوغا في الجريمة." [10]

إن مصطلح (الشذوذ الجنسي) يشمل صوراً عدة من أنواع الشذوذ، فهو كما بينا سابقاً يشمل كل أنواع الانحراف عن المنهج الرباني في التعامل مع الذات أو مع الآخرين ، وقد أدخل فيه العلماء أنماطاً وصوراً كثيرة أبرزها: الزنا، اللواط، السحاق ، إتيان الزوجة في الدبر، ممارسة العادة السرية، الاغتصاب، التحرش الجنسي ، الاعتداء الجنسي على الأطفال، الزنا بالمحارم، إتيان البهائم والأموات، التحول الجنسي، وغيرها من الصور الشاذة التي تتفاوت في انتشارها بين بيئة وأخرى في المجتمعات، ولكن تركيز هذا البحث يعنى بموضوع المثلية الجنسية ، وبالتالي يشمل موضوعي اللواط والسحاق تحديداً، وفيما يلي بيان لهذه المفاهيم كونها أصبحت المصطلح البديل لمصطلح الشذوذ الجنسي، فأصبحت التسمية هي: المثلية الجنسية.

---

[10] موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام – انتشار الشذوذ الجنسي في الغرب – المكتبة الشاملة ، ص201 – ج11 /(تاريخ الزيارة 25-7-2023 الساعة 22:36)

الرابط

https://shamela.ws/book/146418/6350#p7:

[11] لسان العرب 11/. 610

[12] المعجم الوسيط، 354/2

[13] الموسوعة الطبية الفقهية ، كنعان، ص831. وانظر أيضا: الشذوذ الجنسي، محي الدين عطية، ص22

لقد أصبحت قضية الشذوذ الجنسي أو المثلية الجنسية من أكثر القضايا الاجتماعية إثارة للجدل في العصر الحديث، وذلك أنَّ نظرة المجتمع والطب إلى الشذوذ الجنسي كانت موحدة تقريباً فيما مضى، أما اليوم فقد أصبحت هذه القضية محل جدلٍ خاصة بعد أن اعتبرت الجمعية الأمريكية للطب النفسي في السبعينات أن المثلية الجنسية ليست مرضاً ولا انحرافاً ولا اضطراب، وحذت حذوها العديد من المنظمات والمؤسسات الصحية والنفسية حول العالم، وبطبيعة الحال شهد العالم تحركاً موازياً على مستوى القوانين.

المطلب الثالث: تاريخ نشوء الشذوذ ومراحله

أول من ابتدع هذا الانحراف الجنسي هم قوم لوط، ولقد صرح بهذا القرآن الكريم بشكل واضح كما جاء في قوله تعالى: { وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ}.(سورة الأعراف ، آية 80)

وبعد ذلك شاعت في بعض المجتمعات البشرية، ومنها المجتمع اليوناني القديم حيث شاعت عندهم شيوعاً واسعاً حتى أطلقوا عليها اسم (الحب الإغريقي)، لشدة ولعهم وتعلقهم به، ونحن نرى في هذا العصر الحديث كيف عاد هذا الانحراف أما السحاق فهو مضاجعة المرأة للمرأة. [14] أي هو الإثارة الجنسية التي تتم بين امرأتين بالعبث بالأعضاء الجنسية من احتكاك جسدي بقبليهما وعناق وتقبيل وما سواها للحصول على المتعة الجنسية. [15]

وقد أطلق الغرب على المثليين مصطلح (الجاي – Gay)، وكذلك يطلق عليهم تسمية: مجتمع الميم. [16]

"لقد استفاضت الأمم المتحدة في طَرق قضايا الحرية الجنسية وأسرفت في الدعوة إلى الإباحية الجنسية، وتفننت في تسميتها بغير اسمها، فظهرت مصطلحات مثل: الجندر، حقوق المثليين، الثقافة الجنسية، الصحة الإنجابية، ونحو ذلك، من المصطلحات التي تدعو إلى قبول الشذوذ الجنسي كممارسة مشروعة، تدخل ضمن حقوق الإنسان، وتوفر لممارسيها العناية الطبية والحماية القانونية". [17]

---

[14] المرجع السابق، ص548

[15] الشذوذ الجنسي، محي الدين عطية، ص33

[16] المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية، أحمد طه، مدونة أمتي، الطبعة الإلكترونية الأولى، 1442هـ، 2021م ص80.

[17] موقع رؤيا للدراسات والأبحاث، ، مقال بعنوان: محاولات هدم الأسرة والمجتمع الشذوذ نموذجاً ، المؤلف: معتز زاهر، نشر بتاريخ: 9-11-2018 (تاريخ الزيارة 25-7-2023، الساعة: 23:05) الرابط : https://ruyaa.cc/Page/8668/

أما في العصر الحديث، فقد ظلت النظرة السلبية تجاه الجنس المثلي منتشرة فى المجتمع الغربي حتى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، عندما بدأت العلوم الطبية والنفسية في التطور والتقدم، فتغيرت النظرة وحذفت كلمة إثم أو ذنب من القاموس الطبي ووضع مكانها لفظ (مرض) ، ومع بدايات القرن العشرين حدث شبه إجماع من علماء النفس على أن الشذوذ الجنسي هو مرض يولد به الإنسان. ومن هنا بدأت نظرة أكثر تسامحاً مع الشذوذ الجنسي، حتى أن تقرير لفيندن الذي نشر في بريطانيا 1957 أوصى باستبدال كل القوانين التي تجرم الشذوذ. [22]

كان عام 1969 هو بداية الشرارة الثورية لعالم الشذوذ الجنسي، وبدأت تنظم مظاهرات لإقراره، للظهور مرة أخرى، وانتشر انتشاراً فاضحاً حتى أصبح الزواج بين الذكران مسموحاً به قانونياً. [18]

أما السحاق فغالباً أن من ابتدعه أيضاً قوم لوط، كما ابتدعوا اللواط، لأن رجالهم اكتفوا بالرجال فلا يستبعد أن تكون نساؤهم قد اكتفت بالنساء، ومما يؤيد هذا أن امرأة لوط نفسها قد شاركت في شيوع الفاحشة بين القوم آنذاك. [19]

وقيل أن أول من قام بالسحق هم أهل الرس، فكانوا يستحسنون السحق لنسائهم، وكان نساؤهم كلهم سحّاقات. [20] وقيل هم أصحاب الأخدود، وقيل هم بقايا من قوم ثمود، وبعد ذلك عرفته كثير من الأمم الغابرة ومنها الأشوريون والبابليون والمصريون والهنود واليونانيون والفرس. [21]

---

[22] قراءة في تاريخ الشذوذ الجنسي، خالد منتصر، مقالة على مدونة إيلاف، 2000م ، (تاريخ الزيارة: 24-7-2023، الساعة 23:25) رابط الموقع: https://elaph.com/Web/Health/2006/10/184320.html#:~:text=%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B0%D9%88%D8%B0%20%D9%83%D9%85%D8%A7%20%D9%8A%D8%B7%D9%84%D9%82%20%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87%D8%A7.

[18] الموسوعة الطبية الفقهية، كنعان، ص831

[19] المرجع السابق، ص548.

[20] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري الفرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (33/13)

[21] المتعة المحظورة، الشذوذ الجنسي في تاريخ العرب، إبراهيم محمود، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2000م، ص33 ، وانظر أيضاً: الشذوذ الجنسي عند المرأة، هدى الخرسه، ص52.

إن قبول الشذوذ الجنسي بشكل متزايد وتطبيعه إحدى سمات المجتمعات العلمانية المتقدمة، كما أنه هناك وجود ملحوظ لليهود في الحركات الداعية لتطبيع الشذوذ الجنسي، ومهما يكن الأمر، فإن حركة الشذوذ الجنسي في العالم الغربي حقَّقت تقدماً ملحوظاً حتى أن قوانين معظم بلاد أوربا قد تغيَّرت، فهي تسمح بالعلاقات الجنسية الشاذة، وبدأت تَصدُر تشريعات تعترف بعلاقة الشواذ جنسياً كزواج شرعي يعطي لطرفيه حقوق المتزوجين كافة من معاش حكومي إلى علاوات إضافية بل وحق تبنِّي الأطفال! كما أن كثيراً من الكنائس المسيحية أصبحت تقبل العلاقة الشاذة جنسياً بل وتُؤسَّس الآن كنائس للشواذ، ويُرسَّم الشواذ جنسياً قساوسة ووعاظاً. وقد لحقت المؤسسات الدينية اليهودية بهم، فاليهودية الإصلاحية والمحافظة لا تُحرِّمان الآن الشذوذ الجنسي. وقد أُسِّست أيضاً معابد يهودية للشواذ جنسياً [26].

يتضح مما سبق التدرج في تشريع الشذوذ الجنسي، وكيف أصبح الشذوذ شكلاً من أشكال الحرية المطلقة وبذلك تحوَّل الشذوذ الجنسي من كونه انحرافاً إلى علامة من علامات التفرد، وأصبح تقبل ثم كان إلغاء الجمعية الأمريكية للطب النفسي الشذوذ الجنسي من قائمة الأمراض العقلية عام 1973 تطوراً مفصلياً في إقراره وشرعنته. [23]

ومن أغرب الأنباء أن مجلة اللوطية في بريطانيا نشرت هجومًا على الدين لأنه يحرم الشذوذ الجنسي، وأن الدين لذلك هو سبب لكل المشاكل في الدنيا، فما كان إلا أن رد عليه أحد كبار القساوسة قائلًا: "إن الكنيسة في حالة مخاض الآن، وأنه عما قريب ستعترف الكنيسة بالشذوذ الجنسي، " والجدير بالذكر أن الكنيسة سبق لها أن اعترفت بأن المخاللة والمخادنة أمر لا تعترض عليه الكنيسة. [24]

لم تؤد الثورة الجنسية فقط إلى رفع كل أنواع القيود عن ممارسة الجنس، وإنما امتد تأثيرها لتصبح حركة سياسية مرادفة للحرية وحقوق الإنسان .وأصبح حق ممارسة الجنس الحرّ بلا قيود أو شروط حق يماثل حق التعليم أو العلاج أو الحرية السياسية. [25]

---

[23] المرجع السابق.

[24] موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام – انتشار الشذوذ الجنسي في الغرب ، ص202، المكتبة الشاملة.

[25] شفاء الحب، كشف الحقائق عن الجنسية المثلية : الأسباب، العلاج، الوقاية، أوسم وصفي ، الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية، إدارة الشؤون الفنية، القاهرة، 2007م ، ص19

[26] موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية –الباب الحادي عشر العبادات الجديدة، عبد الوهاب المسيري – المكتبة الشاملة، 355/15

الْقَوْلِ الْأَوَّلِ: وَهُوَ جُمْهُورُ الْأُمَّةِ، وَحَكَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ إِجْمَاعًا لِلصَّحَابَةِ، لَيْسَ فِي الْمَعَاصِي أَعْظَمُ مَفْسَدَةً مِنْ هَذِهِ الْمَفْسَدَةِ (أي اللواط)، وَهِيَ تَلِي مَفْسَدَةَ الْكُفْرِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْ مَفْسَدَةِ الْقَتْلِ، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى." [30]

فخطورة هذه الجريمة أنها ليست جريمة فردية ينزوي بها الشخص عن أعين الناس ويستتر بذنبه، بل هي معصية جماعية مع الإصرار على كونها حرية وحق لهم، بل ويعيبون على الأسوياء في فطرتهم الذين يرفضون هذا الشذوذ. لذلك فجريمة اللواط التي يسمونها اليوم (المثلية الجنسية) من أشد الكبائر، وقد دلت الأدلة من القرآن والسنة والإجماع على تحريمها، وتغليظ العقوبة على من يفعلها.

المطلب الثاني: عقوبة الشواذ جنسياً

فرض الإسلام عقوبات شديدة ومغلظة على من يقترف الشذوذ أو المثلية الجنسية في الدنيا والآخرة،

أولاً) الأدلة من القرآن الكريم: من خلال استعراض الآيات الكريمة التي تبين ما حلّ بقوم لوط من العقوبة، يظهر لنا مقدار الغضب الإلهي الذي أحاط بهم جراء اقترافهم هذه الفاحشة، ومنها:

الشذوذ الجنسي علامة من علامات التحضر، وأصبح رفضها دليلاً قاطعاً على تزمت الشخص وتطرفه." [27]

المبحث الثاني: موقف الإسلام من الشذوذ الجنسي

المطلب الأول: الحكم الشرعي في الشذوذ الجنسي

نهى الإسلام عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، قال تعالى:{ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن..}، (سورة الأعراف آية 33)، وقد سمى الله تعالى هذا الذنب بالفاحشة:{ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ}، (سورة الأعراف آية 80)، لتناهيه في القبح وتعاظمه في الفحش. [28]

قال ابن القيم: "وَلَمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ اللِّوَاطِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَفَاسِدِ؛ كَانَتْ عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَاتِ." [29] ثم قال: "قَالَ أَصْحَابُ

---

https://shamela.ws/book/158/163#p4

[30] المرجع السابق، ص169

[27] المرجع السابق، ص273

[28] كتاب فتاوى الشبكة الإسلامية ، مجموعة من المؤلفين، المكتبة الشاملة، ص634 الرابط: https://shamela.ws/book/27107/85002#p9

[29] الداء والدواء – الجواب الكافي– ابن قيم الجوزية، طبعة دار المعرفة، ص168 / المكتبة الشاملة، الرابط:

4- وقد سمى الله عز وجل فعل عمل قوم لوط فاحشة في قوله تعالى على لسان نبيه لوط عليه السلام إذ قال (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) ، ولقد جاء تحريم الفاحشة عموماً ومنها اللواط في قوله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن). (سورة الأعراف، آية 80، 33).

ثانياً): الأدلة من السنة النبوية: وردت عدة أحاديث تبين عقوبة اللواط أو ما يسمى بالمثلية الجنسية:

1- حديث: (... لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..) [31] ، وهذا ملاحظ اليوم انتشار الأمراض الخطيرة والمعدية والتي تعتبر طاعون العصر ومن أهمها مرض الإيدز أي نقص المناعة.

1- قال تعالى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ، وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}. (سورة الأعراف، الآيات من 80-84)

2- وقال تعالى: {..قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ...، فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}، (سورة هود، الآيات من 81-83)

من خلال الآيات الكريمة يظهر لنا شدة العقوبة التي أنزلها الله بقوم لوط، فقد عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب : الصيحة الهائلة ، أنه جعل عاليها سافلها ، أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل .

3- قال الله تعالى : { والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون } (سورة المعارج، من 29-31).

[31] الموسوعة الحديثية: الدرر السنية، أخرجه ابن ماجه (4019) وأبو نعيم في الحلية 333/8) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه الحاكم (540/4) وحسّنه الألباني في الأحاديث الصحيحة (168/1) .الرابط .
https://www.dorar.net/hadith/search?q=&st=w&xclude=&rawi%5B=%5D

وإنزال للنفس البشرية إلى منزلة البهائم بل أسفل من ذلك ، ولما فيه من انتكاس للفطر السليمة التي فطر الله الناس عليها ، وفيه حدوث علاقات جنسية محرمة بين الرجال بعضهم البعض ولما فيه من إيذان بعذاب الله تعالى إن لم توقع العقوبة على الفاعل والمفعول به ، لذا جاء التحريم شرعاً وعرفاً لفعل فاحشة اللواط والعياذ بالله. لذلك اعتبر من أكبر الكبائر وأفظعها.

قال العلامة القرطبي: " وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى تَحْرِيمِهِ، فَقَالَ مَالِكٌ :يُرْجَمُ، أَحْصَنَ أَوْ لَمْ يُحْصَنْ. وَكَذَلِكَ يُرْجَمُ الْمَفْعُولُ بِهِ إِنْ كَانَ مُحْتَلِمًا .وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا :يُرْجَمُ إِنْ كَانَ مُحْصَنًا، وَيُحْبَسُ وَيُؤَدَّبُ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُحْصَنٍ. وَهُوَ مَذْهَبُ عَطَاءٍ وَالنَّخَعِيِّ وَابْنِ الْمُسَيِّبِ وَغَيْرِهِمْ .وَقَالَ أَبُو حنيفة :يعزر الْمُحْصَنُ وَغَيْرُهُ، وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ .وَقَالَ الشَّافِعِيُّ :يُحَدُّ حَدَّ الزِّنَى قِيَاسًا عَلَيْهِ .احْتَجَّ مَالِكٌ بقول تَعَالَى ": وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ."فَكَانَ ذَلِكَ عُقُوبَةً لَهُمْ وَجَزَاءً عَلَى فِعْلِهِمْ .فَإِنْ قِيلَ :لَا حُجَّةَ فِيهَا لِوَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا– أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ إِنَّمَا عُوقِبُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ كَسَائِرِ الْأُمَمِ. الثَّانِي– أَنَّ صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ دَخَلَ فِيهَا، فَدَلَّ عَلَى خُرُوجِهَا مِنْ بَابِ الْحُدُودِ .قِيلَ :أَمَّا الْأَوَّلُ فَغَلَطٌ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أخبر عنهم أنهم كانوا على معاصي فَأَخَذَهُمْ

2- وهناك أحاديث أخرى صرحت بلعن من يعمل عمل قوم لوط وبينت وجوب قتلهم. [32]

3- وعن ابن عباس "أنه سئل عن حد اللوطي؟ فقال: ينظر أعلى بناء في القرية فيرمى به منكساً ثم يتبع بالحجارة". [33] ، وعن ابن عباس" في البكر يوجد على اللوطية، قال: يرجم" [34]

ثالثا : الإجماع:

أجمع العلماء على أن اللواط حرام، وفاعله ملعون ، نقل ذلك الإجماع أبو عبد الله القرطبي [35].

وذلك لأن في اللواط شذوذ جنسي وأخلاقي

---

[32] الموسوعة الحديثية: الدرر السنية، حديث يرويه ابن عباس مرفوعاً ، أخرجه أحمد (1875) وابن حبان (4417) وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (8188)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (5891)

[33] الموسوعة الحديثية: الدرر السنية، التعليقات الرضية ، الألباني، (284/3) إسناده صحيح .

[34] الموسوعة الحديثية: الدرر السنية، تخريج سنن أبي داود ، شعيب الأرناؤوط، (4463) وعلق المحدث: إسناده قوي.

[35] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، (243/7).

العودة إليه، فإن الله تعالى يقبل توبته، وهو الذي يغفر الذنوب جميعاً. [38]

ويقاس عليه أيضاً السحاق، فمن ابتليت به فعليها بالتوبة النصوح والاستغفار وفعل الخيرات، فالتوبة من السحاق هي مثل التوبة من سائر الذنوب، يرجى أن يغفر لصاحبتها إذا أخلصت توبتها.[39]

المطلب الثالث: الإجراءات الوقائية التي يتخذها الإسلام لتجنب الجنوح الى الشذوذ.

على الصعيد الفردي فالذي يجد في نفسه ميلاً الى فكرة الشذوذ وتوقاً إليها فالنصيحة له لترك هذا الفعل المنكر أن يستحضر ما أعده الله من الوعيد لفاعليه من النكال والخزي اللاحق له في الدنيا والآخرة، وأن يتفكر في قبح هذه الجريمة، وأن الله لم يذم أحدا كما ذم من تلبس بها. وعليه كذلك إن أراد التخلص من هذا الداء أن يجتهد في الطاعات ويكثر من العبادات، فإن القلب إذا امتلأ القلب بمحبة الله ومحبة ما يحبه فرغ من محبة أضّداد ذلك من الشهوات والمنكرات، ومن أكبر الأسباب المعينة على التخلص من هذا الداء العضال دوام

بِهَا، مِنْهَا هَذِهِ. وَأَمَّا الثَّانِي فَكَانَ مِنْهُمْ فَاعِلٌ وَكَانَ مِنْهُمْ رَاضٍ، فَعُوقِبَ الْجَمِيعُ لِسُكُوتِ الْجَمَاهِيرِ عَلَيْهِ. وَهِيَ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي عباده[36].

أما السحاق فهو يتفق مع الزنا واللواط من حيث الحرمة، من كون الجميع استمتاع محرم ، ويختلف عنهما من حيث الحقيقة والمحل والأثر، لذلك كانت عقوبته تعزيرية، فقد اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهُ لاَ حَدَّ فِي السِّحَاقِ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ زِنًى. وَإِنَّمَا يَجِبُ فِيهِ التَّعْزِيرُ؛ لأَنَّهُ مَعْصِيَةٌ . [37]

وفي عصرنا الحالي، وفي ظل غياب الحكم الإسلامي فمن ارتكب جريمة اللواط وقد ستره الله فلا يفضح نفسه ويتوب فيما بينه وبين ربه، ويجتهد في إصلاح العمل فإن الحسنات يذهبن السيئات، ويخلص النية ويصدق التوبة، وليعلم أنه إن صدق في توبته، وندم على جريمته، ووفى التوبة حقها، وأقلع عن هذا المنكر، وعزم على عدم

[36] المرجع السابق.

[37] الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ)

•الأجزاء ١ – ٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل – الكويت، الأجزاء ٢٤ – ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء ٣٩ – ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة، (252/24)

[38] كتاب الشبكة الإسلامية، مجموعة من المؤلفين (772/16) ، الرابط: https://shamela.ws/book/27107

[39] فتاوى الشبكة الإسلامية، 1142./13 ،

2- الحث على العبادة والشعائر الدينية بأنواعها ودوام الصلة بالله وتعميق هذه الصلة، فقد قال تعالى مبيناً أثر الصلاة على توجيه السلوك الإنساني:{ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}، (سورة العنكبوت، آية 45) وكذلك الأمر بالصوم لمن لا يتمكن من الزواج من الشباب فهو جنة ووجاء.

3- غرس الرقابة الداخلية عند الفرد المسلم حتى يصل الى منزلة التقوى، فيخشى الله تعالى في السر والعلن، ويتقي الله في كل ما يقول ويفعل، وتعميق الإخلاص لله تعالى والاستقامة على دينه.

4- التربية السليمة في الأسرة والقائمة على توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، من حيث الأمر بستر العورات، والاستئذان، والتفريق في المضاجع في نوم الأطفال بعد سن العاشرة، وغيرها من الأمور التي تؤدي إلى منهجية أخلاقية في التعامل حتى مع أقرب الناس وضمن البيت الواحد.

5- تنمية قيم الحياء وكذلك الاستعفاف عند الإنسان ابتداء من نعومة أظفاره فيصبح منهجاً له.

اللجوء إلى الله، والاجتهاد في دعائه أن يصرف عن عبده السوء.

أما على الصعيد العام فطرق الوقاية من الوقوع في هذا الدنس والفاحشة التي شرعها الإسلام وأقرها كثيرة، وهي تضمن سيادة ثقافة العفة والطهارة والرقي في المجتمعات التي تتبع هي الإسلام العظيم، وعدم الانزلاق نحو مستنقع الشذوذ الجنسي والانحراف الأخلاقي، ومن أهم هذه الطرق: [40]

1- غرس العقيدة الإسلامية وتنمية التقوى في النفوس: للعقٌيدة تأثير كبير على الإنسان، إذ أنها تؤثر على سلوكه وطباعه وتفكيره، والعقٌيدة الإسلامية تحقق السعادة البشرية والاستقامة والانضباط، وهى اللبنة الأولى والأساسية في بناء الإسلام بما تحمله من رسالة روحية وتعاليم تهذٌيبية تلعب دوراً هاماً في بناء المجتمع الصالح، ووقايته من الانحرافات الجنسية.

[40] التدابير الواقية والعلاجية للمجتمع من الشذوذ الجنسي في ضوء القرآن الكريم، حنان شبانة عبد الوهاب، بحث منشور في مجلة كلية الآداب(BFA) ، المجلد 48، العدد 1، يوليو 2018، ص179–182 (بتصرف وإضافات).

المطلب الأول: الأثر العقدي والأخلاقي لانتشار الشذوذ على الأسرة والفرد المسلم.

إن ممارسة الشذوذ بأشكاله لا سيما ما يسمونه بالمثلية الجنسية من شأنه أن يقلب موازين الفكر والاعتقاد عند الإنسان، ويخل بالقيم والمعايير الدينية والأخلاقية، فيصبح الحلال حراماً، والحرام حلالاً، ويزيد الاستهتار بالدين الذي يحرم الشذوذ بكل أنواعه، وبالتالي تزداد المعاصي والجرائم من قتل وسرقة وإدمان الخمور والمخدرات، واستعمال العنف والشدة، والاعتداء على الآخرين وخاصة الأطفال. [41]

ويمكن أن نلخص بعض الآثار لهذا الشذوذ بما يلي: [42]

1- إن أول نتيجة لمن يقترف هذا الشذوذ الجنسي هو استجلاب غضب الله

6- تشريع الزواج والحث عليه وتيسيره، ففي الحلال غنى عن الحرام، والسير على المنهج الرباني في الزواج من شأنه أن يخلق جواً من المودة والرحمة تعصم الفرد من الانزلاق نحو الرذيلة والشذوذ.

7- توجيه الأنظار الى ما حلّ بالأقوام السابقة من عقوبة بسبب ممارسة الشذوذ للاتعاظ والاعتبار، فقد كانت عقوباتهم مخيفة ومهلكة وساحقة تجعل من ينظر في هذه العقوبات يقف ملياً عندها ويستشعر الغضب الإلهي على هذه الأقوام وأفعالهم المنحرفة حتى استحقوا هذه العقوبات المزلزلة.

8- استحضار الدعاء فهو من المنجيات، وأثره عظيم في منهج الإصلاح والاستقامة.

9- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن له أثر في التوجيه والتربية، ووأد المعاصي في مهدها.

10- الصحبة الصالحة لها دورها في التأثير وتغيير كثير من السلوكيات، فالمرء على دين خليله.

المبحث الثالث: أثر الدعوة الى الشذوذ على الأسرة المسلمة

---

41 الغزو الناعم، دراسات حول أثر العولمة على المرأة والأسرة والمجتمع، الدراسة التاسعة: ظاهرة الشذوذ في العالم العربي (الأسباب والنتائج وآليات الحل) نهى عدنان القاطرجي، مجلة البيان، العدد 271، 1431هـ. ص 250

42 مقال بعنوان: فاحشة اللواط، يحيى بن موسى الزهراني، موقع صيد الفوائد (زيارة بتاريخ 25-7-2023) الساعة "23:33) على الرابط: http://www.saaid.net/Doat/yahia/61.htm

المطلب الثاني: الأثر الاجتماعي لانتشار الشذوذ على الأسرة

لا شك أن انتشار الشذوذ سيؤدي الى تقويض عرى الأسرة المسلمة، وتغيير أشكالها ، وممارسة الشذوذ ستؤدي الى عزوف الشباب عن الزواج، كما يساهم في زيادة نسبة المشكلات من عنوسة وطلاق.الخ [44] .

وفيما يلي عرض لأهم الآثار الاجتماعية على الأسرة نتيجة لممارسات الشذوذ: [45]

1- احتقار من يفعل هذا الفعل القبيح من قبل أفراد المجتمع ، فلا يكون له مكانة في قلوب الناس.

2- الذم والبغض من الناس لفاعلي اللواط. ونبذهم واعتزالهم وعدم التعامل معهم.

3- عدم ائتمان ممارسي هذه الفاحشة المسمومة حتى على أطفالهم أو إخوانهم في البيوت.

تعالى قد توعد بالعذاب الفاعل والمفعول به والتارك للإنكار عليهما.

2- ضعف الوازع الديني عند من يقترف هذه الفاحشة، ولعل ذلك يقوده للكفر والإلحاد.

3- الخوف من سوء الخاتمة لمن يعمل عمل قوم لوط.

4- تعرض من يقترف هذا الفعل لعقوبة الرجم في حال ثبتت عليه.

5- ضياع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس إذا رضوا بهذا الشذوذ بلا إنكار ولا زجر.

6-سقوط عدالة اللوطي ، لعدم أهليته لذلك ، بسبب ارتكابه كبيرة من كبائر الذنوب العظام وهي اللواط. واتصافه بأسوأ الألقاب كالفاسق والمجرم وما شابه ذلك.

"كل هذه النتائج ستكون حصاداً للفوضى الجنسية المتمثلة في الشذوذ والإباحية، وسيكون من مظاهرها الواضحة: تهدم الأخلاق والصفات الإنسانية، وبروز النزعات البهيمية كالأنانية والنفعية والتمرد واللامبالاة، إلى ما لا نهاية له من هبوط." [43]

[43] الإسلام والجنس، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، ط2، 1395هـ، 1975م، ص63 (بتصرف يسير).

[44] الغزو الناعم، القاطرجي، ص251

[45] فاحشة اللواط، الزهراني، موقع صيد الفوائد . http://www.saaid.net/Doat/yahia/61.htm

النفسية وغيرها من الأمراض التي قد تصل بأصحابها إلى الانتحار أو القتل. [46]

إن الشذوذ الجنسي لن يحقق مقصد الإسلام من الزواج من التآلف والسكنى والطمأنينة والاستقرار، فالأسرة ركن المجتمع، وهي موطن الاستقرار والاطمئنان، ومبعث تنظيم العلاقات والنوازع والتصرفات، وهي الواحة الفطرية والدائرة الطبيعية لتربية الأجيال تربية متوازنة سليمة، لا تعقيد فيها ولا انحراف، فحين يعزف الأفراد عن الزواج، ويمارسون بطريقة أو بأخرى تصريف طاقاتهم الجنسية، يتقوض بالتالي نظام العائلة ويفقد المجتمع أحد أهم أركانه، في حين تعصف فيه شتى ألوان الانحراف والشذوذ كما هو مشاهد اليوم في المجتمعات الغربية بصورة خاصة. [47]

وهكذا سيكون حصاد الإباحية والفوضى الجنسية تهدم الأسر وتفكك الوحدات المجتمعية، وتمزق أواصر القربى، وتقطع صلات الرحم.

المطلب الثالث: الأثر المترتب على انتشار الشذوذ على النسل وتحدي الفطرة البشرية.

لا شك أن الشذوذ الجنسي مدمر للمجتمعات ومُبيد للجنس البشري، وقد جاء الإسلام لتحقيق

4- إلحاق الخزي والعار بأفراد الأسرة كافة ، بسبب ممارسة اللواط من قبل أحد أفراد الأسرة.

5- عدم رغبة أهل الغيرة على الأعراض تزويج بناتهم لمن يعرف بأنه مارس هذه الفاحشة.

6- قد تجر ممارسة هذه الفاحشة إلى عواقب عظيمة، كانتقام بعضهم من بعض بالقتل أو غيره.

7- تعطل كثير من الفتيات عن الزواج بسبب انتشار هذه الفاحشة، واكتفاء البعض بعمل اللواط.

8- نزع الحياء وفقدان المروءة وتدني الأخلاق عند مرتكبي هذه الفواحش.

9- سيطرة القلق النفسي والخوف من الفضيحة على نفوسهم في حال اكتشف أمرهم.

10- انتشار الأمراض الكثيرة في المجتمع مما يضعف بنية المجتمع ويشغله عن تحقيق أهدافه وتطوير أفراده، وعلى رأس هذه الأمراض مرض نقص المناعة المعروف بمرض (الإيدز)، والأمراض الزهرية الأخرى، والوباء الكبدي (ب) وغيرها، إضافة الى الأمراض العصبية والاضطرابات

[46] الغزو الناعم، نهى القاطرجي، ص249

[47] الإسلام والجنس، فتحي يكن، ص45 وص62 (بتصرف)

الشعوب، وتهدم العدالة الاجتماعية، ويشجع ويبارك الزواج الفطري بين الذكر والأنثى، ويجعله هو السكن والرحمة والمودة، وسبيل امتداد الحياة وأنسالها، ونشؤها نشأة طيبة، سليمة، مستقيمة، وعلى هذا فالإسلام يسلك طريقاً عكس الطريق الذي مضت فيه أوروبا الغربية وأمريكا، عكسه تماماً في كل شيء، فالإسلام ضد الثورة الجنسية، وضد الثورة الجندرية، وضد الشذوذ عن الفطرة، وهو يقوم بحركته الاجتماعية السياسية الثقافية التربوية النفسية بناء على تصوره الخاص نحو الإنسان والحياة والوجود، ولا يسمح لأحد بالاقتراب من هذه المنطقة تحت أي زعم.. .فالنظام الإسلامي يحافظ على الأسرة السوية، ويعتبرها كيان مقدس، يمنع عنه أي عبث، ويقاتل من أجل حمايته بكل وسيلة، ومن يقترب من مؤسسة الأسرة هذه بالتفكيك أو العبث أو الانقلاب عليها.. فإن الإسلام له بالمرصاد[49].

الخاتمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا ووفقنا إلى إتمام هذا البحث، وأسأل الله أن يتقبله منا ويتجاوز عنا فيما قصرنا أو أخطأنا، فكل توفيق منه سبحانه، وكل تقصير أو خطأ فمن نفسي والشيطان، وإليكم أهم ما خلص إليه هذا البحث من نتائج وتوصيات.

مقاصد خمسة، منها حفظ النسل، والذي لا يتم إلا بالزواج الطبيعي، وإن كان في هذا العصر من يحاول عولمة هذه الفاحشة، بصورة أفحش مما كان عليه قوم لوط، فقد كان قوم لوط يأتون الفاحشة الشاذة بصورة مباشرة، دون محاولة فلسفتها ولا عقلنتها، ولا عمل المجامع الدولية النفسية والطبية والعلمية والحقوقية والتشريعية للانتصار لها، والدفاع عنها.. كما لم يفكر قوم لوط في تكوين أسر شاذة، وتبني الأطفال، وإنتاج الأطفال من نطف شاذة، مع استئجار الأرحام![48]

لن يبقى مع هذه الدعوات أي وجود لأسرة مستقرة تربي جيلاً صالحاً، بل ربما ينقرض النسل إذا استمروا في هذا الغي، وعلى المسلم بالمرصاد يُنكر المنكر بميزان الله، ولا يختل الميزان في يده أمام هذا التواطؤ العالمي لدعم هذه الفواحش والخبائث! إنَ المجتمع الإنساني يقوم على أساس الزوجية . ولا أساس غيره . ﴿وَأَنَّهُ خلقَ الزَّوجَيْنِ الَّذَكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، (سورة النجم، آية 45).

والإسلام يحيط هذا المجتمع برعايته وأخلاقه وتشريعاته، ويميز بين هوية الرجل وهوية المرأة، ويحافظ على تربية الأطفال تربية قويمة سليمة، ويحارب الممارسات التربوية الجائرة والظالمة، والممارسات السياسية الفاسدة التي تفسد

[48] المثلية الجنسية ، أحمد طه، ص 117 (بتصرف)

[49] المرجع السابق، ص145–146 (بتصرف)

وسيتم إبعاده عن عقيدته وفطرته، كما ستؤدي إلى الحد من التناسل والتكاثر الطبيعي والشرعي، وضياع الأنساب، وانهيار المنظومة الأخلاقية والاجتماعية للأسرة، وبالتالي تفكك المجتمع واندثاره.

توصيات البحث:

1- العمل على برنامج للتأهيل الأسري بحيث يعمل على توعية أولياء الأمور في مواضيع التربية الجنسية، وكيفية غرس العقيدة القوية عند الطفل، وتعزيز القيم والأخلاق المناهضة للانحرافات الفكرية والشذوذ الجنسي بأشكاله.

2- إنشاء وقف يختص بحماية الأسرة بحيث يتم تمويله من صدقات المسلمين والجمعيات الخيرية والإنسانية، يهدف إلى إعداد مواد إرشادية وعقد برامج ودورات توعية لحماية الأسرة من أخطار الشذوذ والانحدار نحو الرذيلة.

3- عقد مؤتمرات دولية تبين أخطار الشذوذ وتوضح سبل قطع الطريق على دعاته حتى لا يمسوا بكيان الأسرة المسلمة.

4- تبيين التسمية الحقيقية للمثلية الجنسية وبيان خطرها وآثارها من خلال الخطباء والوعاظ وإصدار النشرات الإرشادية.

5- ضرورة التركيز على منهاج واضح مدرسي لتدريس التربية الجنسية من منظور إسلامي بهدف

نتائج البحث:

1- الشذوذ الجنسي هو مصطلح يشمل كل أنواع الانحراف عن الفطرة السليمة والمنهج الرباني في العلاقات بين الجنسين.

2- تم تزيين المصطلح وتغيير مسماه الى مسمى المثلية الجنسية لنفي الصفة السلبية عنه كأمر مستنكر، وبالتالي تسهيل ترويجه.

3- قضية الشذوذ الجنسي قديمة تاريخياً، ارتبط ظهورها بقوم لوط ثم انتشرت بعد ذلك.

4- لم يكن موضوع الشذوذ الجنسي مقبولاً إلى زمن قريب من عصرنا الحالي، ثم تدخلت جهات دولية ومؤسسات قانونية وإنسانية لتضفي عليه صفة الشرعية والقانونية، بل وتدافع عن حقوق المثليين.

5- يرفض الإسلام الشذوذ الجنسي بكل أنواعه وتسمياته، ويحرمه ويجرمه، ويرتب عقوبات رادعة على كل من يمارسه.

6- وضع الإسلام تدابير وقائية للمحافظة على الأسرة من خطر الشذوذ، لكي يضمن استقامة نهجها الأخلاقي والاجتماعي والسلوكي.

7- إن السماح بنشر فكر الشذوذ والدعوة إليه ، وعدم إنكاره والتصدي له بحزم وحكمة، يهدد بتقويض أركان الأسرة المسلمة كما فعل بالأسرة الغربية، وستكون آثاره واضحة على المسلم،

3- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري الفرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

4- الداء والدواء – الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، طبعة دار المعرفة، المكتبة الشاملة.

5- الشذوذ الجنسي عند المرأة، هدى رشيد الخرسه، دار النفائس، 2009

6- شفاء الحب، كشف الحقائق عن الجنسية المثلية : الأسباب، العلاج، الوقاية، أوسم وصفي ، الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية، إدارة الشؤون الفنية، القاهرة، 2007.

7- الغزو الناعم، دراسات حول أثر العولمة على المرأة والأسرة والمجتمع، الدراسة التاسعة: ظاهرة الشذوذ في العالم العربي (الأسباب والنتائج وآليات الحل) نهى عدنان القاطرجي، مجلة البيان، العدد 271، 1431هـ.

10- فتاوى الشبكة الإسلامية – مجموعة من المؤلفين – المكتبة الشاملة

توعية الطلاب من الصفوف الأولى للمخاطر الفكرية والاعتقادية والأخلاقية للسير في درب الشذوذ الجنسي.

6- تحصين الفرد المسلم فكرياً واعتقادياً وتعميق صلته بالله وتعزيز الرقابة الداخلية للذات وملازمة التقوى والبعد عن كل ما يغضب الله، فهذا أساس مهم لمواجهة دعوات الشذوذ والانحرافات بجميع أشكالها.

7- التركيز على القيم الأساسية ومنظومة الأخلاق السوية، ورفض منهج الشذوذ من خلال إعلام إسلامي مسئول، أو من خلال الإعلام المحايد ، وتوضيح عواقب انتشار الشذوذ للناس بكافة مستوياتهم وثقافاتهم.

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

السنة النبوية

1- الإسلام والجنس، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، ط2، 1395هـ، 1975م،

2- التدابير الواقية والعلاجية للمجتمع من الشذوذ الجنسي في ضوء القرآن الكريم، حنان شبانة عبد الوهاب، بحث منشور في مجلة كلية الآداب(BFA) ، المجلد 48، العدد 1، يوليو 2018م

٢٣ : الطبعة الثانية، دارالسلاسل – الكويت، الأجزاء ٢٤ – ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء ٣٩ – ٤٥: الطبعة الثانية، طبعة الوزارة.

18- موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام – انتشار الشذوذ الجنسي في الغرب – المكتبة الشاملة .

19- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبد الوهاب المسيري، الباب الحادي عشر العبادات الجديدة – المكتبة الشاملة

المواقع الإلكترونية:

1- الألوكة، الشذوذ الجنسي، محي الدين محمد عطية، مكتبة الألوكة (موقع الكتروني على شبكة الألوكة) 2016م/ 1437هـ

2- الدرر السنية – الموسوعة الحديثية https://www.dorar.net/hadith/search?q=&st=w&xclude=&rawi%5B%5D

3- صيد الفوائد، الزهراني، يحيى بن موسى، مقال بعنوان: فاحشة اللواط، موقع صيد الفوائد على الرابط:

11-(لسان العرب، ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (دار صادر – بيروت – 1414هـ -1994م) ط3

12- المتعة المحظورة، الشذوذ الجنسي في تاريخ العرب، إبراهيم محمود، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2000م

13- المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية، أحمد طه، مدونة أمتي، الطبعة الإلكترونية الأولى، 1442هـ، 2021م

14- معجم مقاييس اللغة ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

15- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة القاهرة.

16- الموسوعة الطبية الفقهية، أحمد محمد كنعان، دار النفائس، 1420هـ، 2000م، الطبعة الأولى

17- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ)، الأجزاء ١ –

http://www.saaid.net/Doat/yahia/61.htm

4- رؤيا للدراسات والأبحاث، مقال بعنوان: محاولات هدم الأسرة والمجتمع الشذوذ نموذجاً ، نشر بتاريخ: 9-11-2018 https://ruyaa.cc/Page/8668/

5- مدونة إيلاف، قراءة في تاريخ الشذوذ الجنسي، خالد منتصر، مقالة على مدونة إيلاف، 2000م ، رابط الموقع: https://elaph.com/Web/Health/2006/10/184320.html#:~:text=%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B0%D9%88%D8%B0%20%D9%83%D9%85%D8%A7%20%D9%8A%D8%B7%D9%84%D9%82%20%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87%D8%A7.

6- المكتبة الشاملة. https://shamela.ws/

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal
A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota /USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

إعمال النظر المقاصدي في نوازل الأسرة بالمجتمعات الغربية بين الانضباط والتسيب

قضايا منهجية ونماذج تطبيقية

د. عبد الحليم القبي، مفتش تربوي وأستاذ مشارك بكلية الشريعة بفاس، ومكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين ببني ملال المغرب/

abdelhalim.qobbi222@gmail.com

Original Research Article

*Corresponding author
' Abdel Halim El Qebbi

Article History
Received: 14.07.2023
Accepted: 24.08.2023
Published:.24.09.2023

المستخلص– يعالج البحث موضوع إعمال النظر المقاصدي في نوازل الأسرة بالمجتمعات الغربية بين الانضباط والتسيب؛ حيث اعتمد البحث المنهج التحليلي والاستقرائي، بهدف إبراز مدى أهمية إعمال المقاصد الشرعية في معالجة الإشكالات الأسرية المستجدة بالبلاد الغربية، وإيضاح جهود المجمعات الفقهية والهيئات العلمية في التأصيل للقضايا الأسرية للأقليات المسلمة بناء على مقاصد الشريعة، مع البرهنة على مدى خطورة التسيب في إعمال المقاصد على الاجتهاد الأسري. وقد خلص البحث في نهايته إلى مجموعة من النتائج، منها: أن إشكالية المقاصد لا تظهر في جانب التأصيل والتنظير؛ وإنما في جانب الإعمال والتوظيف خصوصا عند وجود نصوص شرعية يدل ظاهرها على معارضة مقاصد بعينها.

الكلمات المفتاحية: النظر المقاصدي، نوازل الأسرة، فقه الأقليات.

Abstract – The research deals with the subject of the implementation of the intentional consideration of family calamities in Western societies between discipline and idleness, where the research adopted the analytical and inductive approach, with the aim of highlighting the importance of implementing the legitimate purposes in addressing the emerging family problems in Western countries, and clarifying the efforts of jurisprudence councils and scientific bodies in rooting family issues for Muslim minorities based on the purposes of Sharia, while demonstrating the seriousness of laxity in the implementation of the purposes on family ijtihad. The research concluded at the end of it to a set of results, including: that the problem of purposes does not appear in the aspect of rooting and theorizing, but in the aspect of implementation and employment, especially when there are legal texts that indicate the apparent opposition to certain purposes.

Keywords: intentional consideration, family calamities, jurisprudence of minorities

مقدمة

لقد حصل تطور كبير في العقود الأخيرة في التركيب البشري للمسلمين في الدول الغربية؛ إذ كثر عدد المعتنقين للإسلام من المواطنين الأوروبيين والأمريكيين الأصليين، وارتفعت نسبة المهاجرين المسلمين إلى تلك الدول نتيجة لأوضاع اجتماعية واقتصادية، وازداد التداخل العرقي بين المسلمين وغيرهم بسبب الزواج وما ترتب عنه من علاقات النسب والمصاهرة؛ مما أدى إلى ظهور مجموعة من القضايا المستجدة المرتبطة بالأسرة في تلك البلاد، كبنوك الحليب، وإشكالية التفريق بين الزوجين اللذَين أسلما أحدهما، وتوريث المسلم من غير المسلم، والزواج بالكتابية، والزواج الصوري بغية الحصول على أوراق الإقامة، وتوثيق الزواج في المحاكم غير المسلمة، وإشكالية منع بعض الدول الغربية للحجاب في المدارس العمومية...

ونظرا للظروف الخاصة التي تعيشها هذه الفئة المسلمة ببلاد الغرب والتحديات التي تواجهها نتيجة لكون البيئة المحتضنة لها بيئة غير مسلمة في نشأتها وتطوراتها التاريخية، تقودها فلسفات وإيديولوجيات لادينية، وتحكمها تشريعات وضعية ونظم علمانية وتسودها أعراف اجتماعية معينة، سعى مجموعة من العلماء والباحثين إلى تكييف تلك النوازل والتأصيل لها بهدف إيجاد الحلول الشرعية لها، مراعين مقاصد الشريعة وفقه الأولويات وقواعد المصلحة.

لكن وبالرغم من اتفاقهم مبدئيا على إعمال مقاصد الشريعة وقواعدها في تلك النوازل إلا أنهم اختلفوا في تكييفها والاجتهاد فيها، فبينما أفتى البعض منهم في نوازل بالجواز والإباحة ملتفتا إلى الأوضاع السائدة في هذه المجتمعات الغربية، ومستدلا في ذلك بمقاصد الشارع ومصالحه، أفتى البعض الآخر بالحرمة والمنع مستدلا بظاهر النصوص ومقتضياتها، وبمقاصد الشارع العامة وأصوله الكلية، مما يطرح إشكالا حول حدود إعمال هذه المقاصد في تلك النوازل وضوابط مراعاتها.

أولا: مشكلة البحث وأسئلته:

لما كانت دراسة منهج إعمال العلماء والباحثين للنظر المقاصدي في نوازل الأسرة بالمجتمعات الغربية والكشف عن ضوابط ذلك وأسسه لها أهمية كبيرة في ضبط قواعد الاجتهاد وأصول النظر في نوازل الأقليات المسلمة، وتسديده في عصرنا، وتنزيله بشكل سليم لحل مشكلاتها، ومواكبة مستجداتها، ارتأيت البحث في الموضوع المعنون أعلاه، منطلقا من المشكلة الآتية: إلى أي حد يمكن للنظر المقاصدي أن يسهم في إيجاد الحلول للنوازل الأسرية الخاصة بالأقليات المسلمة مع الالتزام بقواعد الشريعة ومقتضيات نصوصها الشرعية؟

وتتفرع عن هذه المشكلة أسئلة فرعية تتلخص في الآتي:

– ما القواعد والشروط الضابطة للاجتهاد المقاصدي في النوازل الأسرية الخاصة بالأقليات المسلمة؟

– كيف نوفق انطلاقا من مقاصد الشريعة بين إشكالية مراعاة الظروف والملابسات التي تعتري الأقليات المسلمة وبين الالتزام بالنصوص الشرعية؟

– ما أثر الالتفات إلى المقاصد دون قيود على الاجتهاد في النوازل الأسرية بالبلاد الغربية؟

– أي دور لمقاصد الشريعة المنضبطة في إيجاد الحلول للإشكالات الأسرية التي تعاني منها الأقليات المسلمة؟

ثانيا: أهداف البحث:

يروم البحثُ إلى تحقيق الأهداف الآتية:

– الكشف عن القواعد والشروط الضابطة لمنهج إعمال المقاصد في نوازل الأسرة بالبلاد الغربية.

– إبراز مدى أهمية إعمال المقاصد الشرعية في معالجة الإشكالات الأسرية المستجدة بالبلاد الغربية.

– البرهنة على مدى خطورة التسيب في إعمال المقاصد على الاجتهاد الأسري.

– إيضاح جهود المجمعات الفقهية والهيئات العلمية في التأصيل للقضايا الأسرية للأقليات المسلمة بناء على مقاصد الشريعة.

ثالثا: الدراسات السابقة:

وقفت على مجموعة من الدراسات التي اهتمت بربط القواعد المقاصدية بفقه الأقليات المسلمة أو بفتوى الأسرة المرتبطة بالمجتمع الغربي، ومن هذه الدراسات:

– فقه النوازل للأقليات المسلمة، تأصيلا وتطبيقا، لمحمد يسري إبراهيم، (دار اليسر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط1، 1434 هـ/ –2013)، وقد ناقش الباحث فيه مجموعة من القضايا المرتبطة بنوازل الأقليات المسلمة، كالضوابط والقواعد المؤسسة لهذا الفقه، مع إثراء ذلك بنماذج تطبيقية لها، لكن لم يقف على إعمال المقاصد في نوازل الأسرة انضباطا وتسيبا.

– نوازل الأسرة للأقليات المسلمة بين المقاصد والأحكام، لأحمد جمال منصور خليفة، (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الآداب "اللغة العربية وآدابها – تخصص الدراسات الإسلامية، 2014هـ جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية)، وقد تناول فيه الباحث مجموعة من النوازل الأسرية المرتبطة بالأقليات المسلمة، في مجالات متعددة، منها المجال الأسري، كإسلام المرأة وبقاء زوجها على غير إسلام، وميراث المسلم من الكافر...، لكن في تناوله لهذه القضايا عرض مجموعة من القواعد المقاصدية التي بنيت عليها، لكن لم يبرز حدود إعمال المقاصد في هذه النوازل وخطورة عدم انضباطها.

– قواعد المصلحة وتعلقها بنوازل فقه الأقليات المسلمة، لبندر مناحي ذعار عريج، (مقال بمجلة كلية الدراسات الإسلامية، ع 35)، وقد أبرز فيه وجه ربط قواعد المصلحة بفقه الأقليات بوجه عام، مبينا ضوابط إعمالها في المجال الفقهي، ولم يناقش النماذج التطبيقية لنوازل الأسرة في علاقتها بالمقاصد انضباطا وتسيبا.

رابعا: منهج البحث:

سلكت في إنجاز هذا البحث المنهج الاستقرائي، والتحليلي؛ حيث قمت بتتبع قواعد المقاصد وشروط إعمالها في نوازل الأسرة الخاصة بالأقليات المسلمة، كما تتبعت أقوال الفقهاء والباحثين في النوازل الفقهية المدروسة، ثم قمت بتحليل ذلك تعليقا واستنتاجا وتفسيرا وتعليلا واستدلالا.

خامسا: خطة البحث:

تطبيقا للمنهج المعتمد اعتمدت خطة بحثية تتكون من الآتي:

مدخل تمهيدي: محددات مصطلحية.

المبحث الأول: إعمال مقاصد الشرعية في نوازل الأسرة للأقليات المسلمة: أهميتها ومناهجها.

المطلب الأول: أهمية إعمال مقاصد الشريعة في نوازل الأسرة للأقليات المسلمة.

المطلب الثاني: مناهج الاستدلال بمقاصد الشرعية في فقه الأقليات.

المبحث الثاني: ضوابط وقواعد إعمال مقاصد الشريعة في نوازل الأقليات المسلمة.

المطلب الأول: شروط إعمال مقاصد الشريعة في فقه الأقليات.

المطلب الثاني: الأسس المقاصدية المؤطرة لفقه الأُقليات المسلمة.

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لإعمال مقاصد الشرعية في نوازل الأسرة بالبلاد الغربية بين الانضباط والتسيب.

المطلب الأول: التفريق بين الزوجين الذين أسلمها أحدهما.

المطلب الثاني: بنوك الحليب.

المطلب الثالث: توريث المسلم من الكافر.

خاتمة.

المبحث الأول: إعمال مقاصد الشريعة في نوازل الأسرة للأقليات المسلمة: أهميتها ومناهجها

المطلب الأول: أهمية إعمال مقاصد الشريعة في نوازل الأسرة للأقليات المسلمة:

تُعد المقاصد الشرعية ذات أهمية عظمى ومكانة كبرى في فقه النوازل عامة وفقه الأقليات على وجه الخصوص؛ فهي "من المعطيات الضرورية التي يُستند إليها في معرفة حوادث الزمان وأحواله"[1]؛ حيث إذا كان "وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً"[2]، كان لزاماً على المجتهد والمفتي في الوقائع الحادثة اعتبار ما فيه مصلحة للعباد ودرء ما فيه مفسدة عليهم، فيستحيل أن تأمر الشريعة بما فيه مفسدة أو تنهى عما فيه مصلحة بدليل استقراء آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم[3].

وقد أشاد العلماء قديما بأهمية المقاصد في فقه النوازل؛ إذ اعتبر الغزالي "مقاصد الشرع قبلة للمجتهدين من توجه إلى جهة منها أصاب الحق"[4]، واعتبر القرافي قواعد الفقه المقاصدية "قواعد كلية فقهية جليلة كثيرة العدد عظيمة المدد مشتملة على أسرار الشرع...، مهمة في الفقه عظيمة النفع وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف ويظهر رونق الفقه ويعرف، وتتضح مناهج الفتاوى وتكشف، فيها تنافس العلماء وتفاضل الفضلاء"[5].

ولهذه الأهمية الكبيرة للمقاصد في فقه النوازل جعل بعض العلماء معرفتها شرطا أساسيا وضروريا للمتصدر للفتوى، وفي طليعتهم الإمام الشاطبي؛ حيث يقول في تحديد شروط الاجتهاد: "إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين: أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها...، فإذا بلغ الإنسان مبلغا، فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها فقد حصل له وصف هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله"[6]، بل اعتبر شرط معرفتها الركيزة وغيره خادم له كما صرح بقوله: "وأما الثاني: فهو كالخادم

---

[1] الخادمي، الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1419هـ/ 1998، 2/ 141.

[2] الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبو عبيدة مشهور، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/ 1997م، 2/ 9.

[3] حذيفة عبود، تعامل الداعية مع المستجدات الفقهية، الشيخ القرضاوي أنموذجا، دار كتب العلمية، بيروت، ط1، 2013م، ص198.

[4] نقلا عن: السيوطي، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، طبعة مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1404هـ/ 1984م، ص181– 182.

[5] القرافي، الفروق، عالم الكتب، ط د، ت د، 1/ 6.

[6] الشاطبي، الموافقات، 5/ 41 – 43.

للأول"[1]، وأن زلة العالم "أكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشارع في ذلك المعنى الذي اجتهد فيه"[2].

ومن بين آثار المقاصد في فقه النوازل عامة ونوازل الأقليات خاصة ما يلي:

1- إرشاد المجتهد لاستنباط أحكام الوقائع المستجدة للأقليات المسلمة مما لم يدل عليه دليل، ولا وجد له نظير يقاس عليه[3]، يقول الطاهر بن عاشور في النحو الرابع الذي يحتاج فيه الفقيه إلى المقاصد: "إعطاء حكم لفعل أو حادث حدث للناس لا يعرف حكمه فيما لاح للمجتهدين من أدلة الشريعة، ولا له نظير يقاس عليه"[4].

ومثال ذلك الاحتجاج بالمصالح المرسلة؛ حيث بعد معرفة مختلف أنواع المصالح التي قصد الشارع إلى تحقيقها يحصل لنا اليقينٌ بصورٍ كلّية من أنواع تلك المصالح، فنجعلها بعد ذلك أصولاً كلّية نقيس عليها ما يَجِدُّ من حوادث ليس له حكم ولا نظير يقاس عليه في أحكام الشريعة، فنُدخلها تحت تلك الصور الكلّية، ونُثبِت لها مثل أحكامها. وهذا النوع من الإلحاق أَوْلى بالاعتبار من القياس، الذي هو إلحاق جزئي بجزئي آخر بجامع علة، غالبًا ما تكون مظنونة، في حين أن الإلحاق في المصلحة المرسلة يكون بكلّية ثابتة في الشريعة قطعا، أو ظنًّا قريبًا من القطع، بما تظافر من أدلّة كثيرة على اعتبار تلك الكلّيات[5].

2- تعين المجتهد في فقه الأقليات على فهم النصوص الشرعية، وقواعدها الكلية وتفسيرها، من أجل استنباط أحكام نوازل الأقليات، "فالمجتهد يحتاج لمقاصد الشريعة حتى يستطيع فهم النصوص الشرعية وإعطاء أحكام فقهية صحيحة وتطبيقها على الواقع"[6]، ذلك أن مرحلة استنباط الحكم للنازلة – وتسمى بمرحلة تكييف النازلة – إذا لم يراعِ فيها المجتهد مقاصد الشرع بالإضافة إلى قواعد الاستنباط وقع في الخطإ؛ لأنه بنى فتواه على مقدمة – وهي الحكم المستنبط – فيها خلل، ومن وقع له الخلل في المقدمات كانت النتائج فاسدة.

---

[1] نفسه، 5/ 43.

[2] نفسه، 5/ 135.

[3] محمد يسري إبراهيم، فقه النوازل للأقليات المسلمة، تأصيلا وتطبيقا، دار اليسر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط1، 1434 هـ/ -2013 م، 1/300 – 301).

[4] ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ/ 2004م، 3/ 41

[5] نعمان جغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس، الأردن، ط1، 1435هـ/ 2014م، ص55.

[6] محمد الزحيلي، مقاصد الشريعة، نشر ضمن موسوعة قضايا إسلامية معاصرة، الجزء الخامس، دار المكتبي، دمشق، بدون طبعة ولا تاريخ، ص311.

3- توجيه المفتين إلى الحكم المناسب عند تغير الأحوال وتعدد الاحتمالات في النازلة الخاصة بالأقليات؛ ذلك أن تنزيل الحكم الشرعي على النازلة، يتطلب نظرا خاصا، وهو مراعاة خصوصية النازلة، وأحوالها وظروفها وملابساتها؛ لأن "كثيراً من الأحكام الشرعية الاجتهادية تتأثر بتغير الأوضاع والأحوال الزمنية والبيئية؛ فالأحكام تنظيمٌ أوجبه الشرع يهدف إلى إقامة العدل وجلب المصالح ودرء المفاسد، فهي ذات ارتباط وثيق بالأوضاع والوسائل الزمنية وبالأخلاق العامة، فكم من حكم كان تدبيراً أو علاجاً ناجحاً لبيئة في زمن معين، فأصبح بعد جيل أو أجيال لا يوصل إلى المقصود منه، أو أصبح يفضي إلى عكسه بتغير الأوضاع والوسائل والأخلاق"[1].

ومقاصد الشريعة هي التي توجه المفتي، إلى اختيار ما هو أقرب منها إلى مقاصد الشارع الحكيم.

4- اعتبار مقاصد الشريعة ومعرفتها قبل إصدار الحكم الشرعي لنازلة من النوازل الخاصة بالأقليات يحدد للمجتهد في نوازل الأقليات المنطلقات، والأسس العامة والخاصة، التي تبنى عليها الأحكام، كما أنها تعرفه بالأهداف والنهايات التي يجب الوصول إليها، وبهذا تحفظ الأحكام، وتنضبط الفتوى في النوازل، وتتحقق مقاصد الشارع في تلك الفتوى[2].

5- تعين المفتي في فقه الأقليات على ترجيح قول على آخر عند الاختلاف والتعارض والموازنة بين المصالح والمفاسد، فما كان أقرب إلى تحقيقها فهو أولى بالصواب[3]، يقول ابن القيم: "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"[4].

6- تقليل الاختلافات بين المفتين في فقه الأقليات والتوفيق بينهم؛ لأن الاختلاف الذي حدث بينهم كان نتيجة اختلاف مرتكزاتهم في الاجتهاد، فمنهم من يركز على النصوص دون النظر إلى غاياتها، ومنهم من يركز

---

[1] عبد الله الطيّار وآخران، الفِقه الميسر، مَدار الوطن للنَّشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1432هـ/ 2011م، 13/ 22.

[2] ماهر ذيب، ضوابط النظر في النوازل ومدارك الحكم عليها، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ع 55، رمضان 1434هـ/ يونيو 2013م، ص212- 114.

[3] محمد يسري، فقه النوازل للأقليات المسلمة، 1/300 – 301.

[4] ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م، 3/ 11.

على الواقع تاركين المقاصد ودلالة النصوص، وأما إذا اتفقت مهامهم، واقتصرت على المقاصد التي يرغب الشارع في تحقيقها وراء كل حكم فلا يوجد بينهم اختلاف شاسع يعاني منه المسلمون[1].

وهو ما أكده الطاهر بن عاشور حين أفصح أن كتابه المقاصد وضعه ليكون آلة للتقريب بين المذاهب الفقهية والتقليل من الاختلاف بين الفقهاء؛ إذ يقول: "وهكذا تعد مقاصد الشريعة لتكون نبراسا للمتفقهين في الدين ومرجعاً بينهم عند اختلاف الأنظار وتبدل الأعصار، وتوسلاً إلى إقلال الاختلاف بين فقهاء الأمصار، ودربة لأتباعهم على الإنصاف في ترجيح بعض الأقوال على بعض عند تطاير شرر الخلاف"[2].

وهو ما أكده الشاطبي حين قال: "وحاصله أني لقيت يوماً بعض الشيوخ الذين أحللتهم من محل الإفادة.... فقال لي: رأيتك البارحة في النوم، وفي يدك كتاب ألفته، فسألتك عنه، فأخبرتني أنه كتاب الموافقات، قال: فكنت أسألك عن معنى هذه التسمية الظريفة، فتخبرني أنك وفقت به بين مذهبي ابن القاسم وأبي حنيفة، فقلت له: لقد أصبتم الغرض بسهم من الرؤيا الصالحة مصيب، وأخذتم من المبشرات النبوية بجزء صالح ونصيب، فإني شرعت في تأليف هذه المعاني، عازماً على تأسيس تلك المباني، فإنها الأصول المعتبرة عند العلماء، والقواعد المبني عليها عند القدماء"[3].

وبناء على ما سبق فإن اعتبار المقاصد في الاجتهاد في نوازل الأقليات وسيلة لإنضاجه وتقويمه، وأداة لتوسيعه وتمكينه من استيعاب نوازل الحياة بكل تقلباتها وتشعباتها، ومن فاته النظر في مقاصد الشريعة، وقع في التخبط والاضطراب وأتى بالأقوال الشاذة المجافية لمقاصد الشرع"[4].

وإحساسا بأهمية المقاصد أصبحت الاجتهادات في فقه الأقليات مركزة على الاجتهاد المقاصدي لكي يكون مرجعاً يعتمد عليه الأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم لوضع الحلول المناسبة لنوازلهم ومستجداتهم؛ حيث إن الأقليات المسلمة ضعيفة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وغيرها، تريد أن تعطي لمعاملاتهم وتصرفاتهم صبغة شرعية من خلال نظرهم ورجوعهم إلى المقاصد العظيمة التي يريد الشرع تحقيقها؛ لأن القضايا التي تواجهها الأقليات المسلمة لها أبعاد مختلفة تؤثر في جوانب مختلفة، مما تستلزم الاستمساك بالمقاصد حتى لا يفقد الحكم كنهه ولبه، لذا يرى بعض العلماء أن العيش في دولة غير مسلمة يُسقط بعض الأحكام الشرعية، يقول الشيخ

---

[1] الواسع لاكل، المبادئ الشرعية العامة لتنظير فقه الأقليات مجلة أقلام الهند، ع4، أكتوبر/ ديسمبر 2020م، ص د.

[2] ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، 3/ 41.

[3] الشاطبي، الموافقات، 1/ 11.

[4] ريحانة البندوزي، ضوابط المنهج المقاصدي، تم الاسترجاع بتاريخ 22/ 02/ 2023م، من موقع الرابطة، الرابط: (arrabita.ma

ابن بيه: "يرجع فقه الأقليات إلى أصل خاص ببعض العلماء يعتبر حالة المسلمين في أرض غير المسلمين سبباً لسقوط بعض الأحكام الشرعية مما عرف بمسألة الدار التي نعبر عنها بحكم المكان"[1].

وجملة، فالفقه الذي يحتاج إليه الأقليات المسلمة لا بد أن يبنى على ضوء المقاصد الشرعية العليا، لأن تكون المحور الأساسي لجميع اجتهاداتهم، وليجتمعوا بها على كلمة واحدة وليتجاوزوا بها أزماتهم[2].

المطلب الثاني: مناهج الاستدلال بمقاصد الشرعية في فقه الأقليات:

إذا كانت للمقاصد أهمية كبيرة في فقه الأقليات فإن هناك اختلافا في حجم إعمالها ما بين موسع لها ومضيق، ومتوسط، وبالنظر إلى اتجاهات العلماء في إعمالها يمكن إرجاعها إلى ثلاثة مناهج، هي كالآتي:

المنهج الأول: إقصاء المقاصد في الفتوى:

اتخذ أنصار هذا المنهاج من قاعدة التشديد أساسا لمنهجهم، ومن مظاهره التمسك بظواهر النصوص، والوقوف عند أحد معانيها دون محاولة فهم المعاني والأوجه الأخرى التي يحتملها النص، والتقيد به دون معرفة مقاصد الشارع منها، والتعصب المذهبي والغلو في سد الذرائع، والمبالغة في الأخذ بالاحتياط عند كل خلاف، وقد عرف أصحاب هذا المنهاج في عصرنا الحاضر باسم الظاهرية الجدد، وبأنصار المدرسة الحرفية، وجلهم ممن اشتغلوا بالحديث، ولم يتمرسوا في الفقه وأصوله، ولم يطلعوا على اختلاف الفقهاء ومداركهم في الاستدلال، ولم يهتموا بمقاصد الشريعة وتعليل الأحكام[3].

ومما لا شك فيه أن لهذا المنهج أثرا سلبيا في فقه الأقليات؛ إذ يقود المفتي إلى سوء فهم النصوص واستنباط المعاني، مما يؤدي إلى بعد كثير من الفتاوى والاجتهادات عن مقتضيات النصوص ومقاصد الشرع، والتضييق والتشديد بتغليب جانب المنع والتحريم، فحرموا كل الأحكام التي وردت فيها نصوص يظهر منها التحريم، دون نظر إلى خصوصيات الأقلية المسلمة وما سيؤول إليه ذلك التحريم من مشاكل اجتماعية وأسرية.

المنهاج الثاني: الإفراط في استعمال المقاصد:

بالغ أصحاب هذا المنهج في التساهل في الفتوى وتتبع الرخص والالتفات إلى المقاصد والمصالح، إلى حد وصل الأمر بالبعض منهم إلى التضحية بالثوابت والمسلمات أو التنازل عن الأصول والقطعيات، ومن تجليات هذا

---

[1] عبد الله بن بية، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، دار المنهاج، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص170.

[2] الواسع لاكل، المبادئ الشرعية العامة لتنظير فقه الأقليات، ص د.

[3] مسفر القحطاني، ضوابط الفتوى في النوازل المعاصرة، بدون طبعة ولا تاريخ، تم استرجاع الملف بتاريخ 2/2/ 2023، من موقع(MAL07234.pdf (mediu.edu.my ، ص 8، محمود حيدر، مناهج الفتوى وضوابطها في القضايا المعاصرة، الأقليات المسلمة نموذجا، (ضمن بحوث مؤتمر: الفتوى واستشراف المستقبل، ص687.

المنهج الإفراط في العمل بالمصلحة ولو عارضت النصوص؛ إذ يحاول أصحاب هذا الطرح التأصيل لجذوره الفكرية من التراث الشرعي، بدل التعامل معه على أساس القطيعة والتجاوز، ومن الأسس الشرعية التي وجدوا فيها منفذا لتأسيس خطابهم قضية المصلحة وفلسفة المقاصد؛ إذ احتفوا بما قرره المالكية عامة من الاستناد إلى المصلحة المرسلة كأصل من أصول الشريعة، وبما أثاره الطوفي من اعتماد المصلحة كأصل مستقل للتشريع وتقديمها حالة تعارضها مع النص؛ حيث "ذهبوا يروجون له وينوهون به، ويلتمسون له التخريجات ويضعون له الأمثلة والتطبيقات"[1].

كما حظي الشاطبي أيضا من قبل بعضهم بكثير من الإطراء والثناء معتبرين إياه مؤسس علم المقاصد، وأن نظريته جديدة، مدعين أنه يجعل المقاصد حاكمة على الوسائل، وأن العبرة ليست بخصوص السبب ولا بعموم اللفظ وإنما بالمقاصد، بل وصل الأمر إلى حد القول بأن مقاصد الشريعة الشاطبية تقدم المصلحة على النص[2].

ومن مداخل المقاربة الحداثية لتشكيل نظرية المقاصد: الاعتماد على العقل كمدخل مؤسس للمقاصد، وعلى المقاصد كمدخل تأويلي للنصوص، وموائمة الشريعة مع الواقع[3].

ولهذا المنهاج أثر واضح في فقه الأقليات؛ إذ تطبيقه يعني الانسلاخ عن النصوص وإباحة كل المعاملات الأسرية التي ورد النص الصريح بحرمتها، بداعي التيسير ورفع الحرج متتبعين الرخص والتلفيق بين المذاهب، إضافة إلى التحايل الفقهي على أوامر الشرع.

المنهاج الثالث: الاعتدال في إعمال المقاصد في نوازل الأقليات:

وهذا المنهاج صار عليه عامة العلماء، وهو منهج يلتفت إلى التيسير ورفع الحجر على العباد بالنظر إلى ما فيه مصلحة للمسلمين المعتبرة شرعا ولا تخالف مقصدا شرعيا ثابتا حسب قاعدة (إذا ضاق الأمر اتسع مع الالتفات إلى أعراف الناس وما عمت به البلوى في محيطهم دون هتك للأصول[4].

---

[1] أحمد الريسوني، ومحمد جمال باروت، الاجتهاد: النص، الواقع، المصلحة، دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ط1، 1420هـ /2000م، ص38.

[2] أحمد إدريس الطعان، العلمانيون والقرآن الكريم، تاريخية النص، دار ابن حزم، السعودية، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص384. 385، بتصرف.

[3] وائل بن سلطان الحارثي، المقاربة الحداثية لنظرية المقاصد، بحث منشور ضمن أعمال ندوة: إعمال المقاصد بين التهيب والتسيب، مؤسسة الفرقان، 2014م، ص10 وما بعدها.

[4] عبد الرواق الكندي، التيسير في الفتوى أسبابه وضوابطه، مؤسسة الرسالة، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص76.

ومن ملامح هذا المنهج الملاءمة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، وفهم النصوص الجزئية للقرآن والسنة في ضوء مقاصدها الكلية، والتيسير في الفروع والجزئيات والتشديد في الأصول والكليات، والثبات على الأهداف والمرونة في الوسائل، والحرص على الجوهر قبل الشكل، والفهم التكاملي للإسلام بوصفه عقيدة وشريعة[1].

ولهذا المنهج أثر واضح في فقه الأقليات؛ إذ تبناه عامة الباحثين في دراستهم لنوازل الأقليات، فحكموا النصوص ومقاصدها، وراعوا خصوصيات الأقلية المسلمة وما يعتريها من مشاق وحرج، مع الموازنة بين المصالح والمفاسد، ملتزمين بشروط وضوابط إعمال مقاصد الشريعة.

المبحث الثاني: ضوابط وقواعد إعمال مقاصد الشرعية في نوازل الأقليات المسلمة

المطلب الأول: شروط إعمال مقاصد الشريعة في فقه الأقليات:

إن المنهج المقاصدي في فقه الأقليات وإن كان منهجا في الاجتهاد، فإنه ليس على عمومه وإطلاقه، بل هو منضبط ومقيد بعموم الأدلة والقواعد والضوابط الشرعية، حتى لا يتنصل من الأحكام الشرعية باسم المقاصد، ذلك أن مفهوم المقاصد في الشريعة ليس مطاطا، ولا ذاتيا يخضع لتقلبات الأمزجة، أو يتبع الأنظار الفردية القاصرة، بل هو منضبط بضوابط محكمة، تجعل منه مفهوما واضح المعالم، متسقا على وتيرة واحدة لا تغيره ضغوط الواقع وضرورات المواقف، ولا نزوات النفس، وفورة العواطف[2].

وقد تناول بعض العلماء والباحثين شروط العمل بالمقاصد، ومن أوائل من نص عليها بشكل صريح الطاهر بن عاشور إذ جعلها أربعة، وهي:

1- الثبوت: ويراد به أن تكون تلك المعاني مجزوماً بتحقّقها أو مظنوناً ظناً قريباً من الجزم.

2- الظهور: المراد به الاتّضاح، بحيث لا يختلف الفقهاء في تشخيص المعنى، ولا يلتبس على معظمهم بمشابهه.

3- الانضباط: والمراد به أن يكون للمعنى حدّ معتبر لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، بحيث يكون القدر الصالح منه لِأَن يعتبر مقصداً شرعياً قدراً غير مشكَّك.

4- الاِطِّراد: والمراد به أن لا يكون المعنى مختلفاً باختلاف أحوال الأقطار والقبائل والأعصار[3].

كما تناول ضوابط المقاصد بشكل مفصل نور الدين الخادمي؛ حيث صنفها إلى نوعين:

1- شروط عامة، وهي: شرعية المقاصد وربانيتها، وشمولية المقاصد وواقعيتها وأخلاقيتها، وعقلانيتها[1].

---

[1] محمود حيدر، مناهج الفتوى وضوابطها في القضايا المعاصرة، الأقليات المسلمة نموذجا، ص697.

[2] ريحانة البندوزي، ضوابط المنهج المقاصدي، ص د.

[3] بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، 3/ 166- 168.

2- شروط خاصة: وهي جملة القيود التي تتفرع عن الضوابط العامة والشروط الكبرى، وتكون أقرب من حيث الإدراج والإلحاق، وقد ذكر ضمن هذه الشروط شروط المصلحة المرسلة، وشروط العرف، وضوابط التعليل[2].

وممن خص هذه الضوابط بالتأليف الدكتور عبد القادر بن حرز الله؛ حيث قسمها إلى ما يلي:

1- ضوابط تعيين المقصد الشرعي، وقد ركز في هذا النوع على طرق إثبات المقاصد ومسالك الكشف عنها.

2- ضوابط الأداء التشريعي للمقصد، وقسمها إلى ضوابط الأداء التشريعي الداخلي، وضوابط الأداء التشريعي الخارجي، وبالرغم من كون الباحث حاول الإبداع في التقسيم إلا أن ما ذكره أغلبه لا علاقة له بالضوابط والشروط، وإنما خاض في دور الضوابط ومجال المقاصد وطرق الكشف عنها[3].

وبناء على ما سبق يمكن تحديد ضوابط العمل بالمقاصد في فقه الأقليات في الآتي:

1- التحقق من صحة المقصد المراد إعماله في النازلة من حيث دليل ثبوته بأن يكون ظاهرا منضبطا ومطردا وثابتا، ويتم ذلك عن طريق الكشف عن مقاصد الشريعة، كالاستقراء.

2- حصول إعمال المقاصد ممن هو أهل للنظر والاجتهاد بحيث تتوفر فيه شروط الاجتهاد التي نص عليها علماء الشريعة حتى يمكنه الاجتهاد في فقه الأقليات.

3- التحقق من مآلات ونتائج المقاصد المراد إعمالها في نوازل الأقليات، فإذا كان المقصد الشرعي يترتب عليه مفسدة في المستقبل أعظم من المقصد الذي يراد الاستناد إليه في الفتوى ألغي.

4- أن يراعى خصوصيات فقه الأقليات وقواعده الكلية وخصوصيات كل باب على حدة، حتى يقع الإعمال في محله؛ لأن "للخصوصيات خواص يليق بكل محل منها ما لا يليق بمحل آخر كما في النكاح مثلا، فإنه لا يسوغ أن يجري مجرى المعاوضات من كل وجه...، بل لكل باب ما يليق به، ولكل خاص خاصية تليق به لا تليق بغيره...، وإذا كان كذلك – وقد علمنا أن الجميع يرجع مثلا إلى حفظ الضروريات والحاجيات والتكميليات–، فتنزيل حفظها في كل محل على وجه واحد لا يمكن، بل لا بد من اعتبار خصوصيات الأحوال والأبواب، وغير ذلك من الخصوصيات الجزئية"[4].

---

[1] الخادمي، الاجتهاد المقاصدي، 2/ 25 وما بعدها.

[2] نفسه، 2/33.

[3] عبد القادر حرز الله، ضوابط اعتبار المقاصد في مجال الاجتهاد وأثرها الفقهي، مكتبة الرشد، السعودية، ط1، 1428 هـ/ 2007م، ص53 وما بعدها.

[4] الشاطبي، الموافقات، 5/ 228.

5- ألا يعارض المقصد الذي يراد إعماله في النازلة أصلا أقوى منه، وذلك بأن لا يصادم المقصد نصا شرعيا صحيحا وصريحا في الحجية[1]، وأن لا يعارض أيضا مقصدا شرعيا أعظم منه، وهذا يقتضي تحديد درجة المقصد ومرتبته؛ بحيث يعرف هل هو من الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، أو المكملات، ثم هل هو من المقاصد القطعية أو الظنية؟ أو من المقاصد العامة أو الخاصة، ثم يتم الموازنة بينها من جهة، وبينها وبين المفاسد من جهة ثانية.

6- الجمع بين الكليات والجزئيات بحيث لا يجعل العمل بأحدهما على حساب الآخر، بل ينبغي أن يؤخذا جميعا في الاعتبار عند الإعمال؛ "فالحاصل أنه لا بد من اعتبار خصوص الجزئيات مع اعتبار كلياتها، وبالعكس، وهو منتهى نظر المجتهدين بإطلاق، وإليه ينتهي طلقهم في مرامي الاجتهاد"[2]، "فإذا ثبت بالاستقراء قاعدة كلية، ثم أتى النص على جزئي يخالف القاعدة بوجه من وجوه المخالفة؛ فلا بد من الجمع في النظر بينهما؛ لأن الشارع لم ينص على ذلك الجزئي إلا مع الحفظ على تلك القواعد؛ [إذ كلية] هذا معلومة ضرورة بعد الإحاطة بمقاصد الشريعة؛ فلا يمكن والحالة هذه أن تخرم القواعد بإلغاء ما اعتبره الشارع، وإذا ثبت هذا؛ لم يمكن أن يعتبر الكلي ويلغى الجزئي"[3].

ويجدر التنبيه هنا إلى أن العمل بضوابط المقاصد هو العمل بالمقاصد نفسها، والتفويت فيها أو في ضابط منها هو عينه التفويت في ما جعله الشارع مرادًا لشرعه ودينه، فالضوابط في علاقتها مع المقاصد كالشرط مع المشروط والدليل مع المدلول، على أساس أن المقصد الذي أراده الشارع إنما قد اعتبره بوجه ما، وعلى وفق أمر ما، وذلك هو عين الضابط ونفس القيد في اعتبار المقصد من قبل الشارع الحكيم.

إن إعمال المقاصد الشرعية بشروطها يسهم في معرفة الخلل الذي أصاب منهج النظر والاستدلال في إيجاد الحلول لما استجد من الوقائع والأحداث، وتصحيح مساره واستشراف الحلول من خلاله، فالأقليات المسلمة أصبحت تنحو إلى الكماليات والإسراف في استعمالها والإغراق في تعاطيها ونشرها، لذا فالرد إلى مقاصد الشريعة يعيد الاعتبار إلى فقه الأولويات ويثبت في الذهن ميزان المنافع أو المضار بدءا بحفظ الضروريات ثم الحاجيات ثم التحسينيات، والإخلال في هذا إخلال في بنية المجتمع والأفراد[4].

---

[1] محمد سعد اليوبي، ضوابط إعمال مقاصد الشريعة في الاجتهاد، "مجلة الأصول والنوازل" ع4، 1431هـ، ص36.

[2] الشاطبي، الموافقات، 3/ 180.

[3] نفسه، 3/ 176.

[4] ريحانة الينذوزي، ضوابط المنهج المقاصدي، ص د.

المطلب الثاني: الأسس المقاصدية المؤطرة لفقه الأقليات المسلمة:

يُعد الفكر المقاصدي بقواعده وأسسه ومعانيه مجالا للتطبيق والإعمال في نوازل الأقليات المسلمة عامة، لكن هناك أسس مقاصدية بارزة يرجع إليها الباحثون عند الاجتهاد في فقه الأقليات في الغالب، أهمها ما يلي:

أولا: اعتبار المآلات

يُقصد به تحقيق مناط الحكم بالنظر في الاقتضاء التبعي الذي يكون عليه عند تنزيله من حيث حصول مقصده، والبناء على ما يستدعيه ذلك الاقتضاء"[1]، يقول الشاطبي: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه"[2].

وأساس اعتبار المآلات يندرج ضمنه قواعد مقاصدية هامة، وهي: قاعدة الذرائع، وقاعدة الحيل، وقاعدة الاستحسان، وقاعدة مراعاة الخلاف[3].

وعلاقة بفقه الأقليات، فإذا كان الحكم الذي تحمله النصوص يؤخَّر تطبيقُه نظراً إلى نتائجه ومآلاته، فلا غرو أنه يجب أن تركَّز على نفس المآلات والعواقب في تنظير فقه الأقليات حتى لا تستدعي تأثيرات سلبية في العلاقة بين الأكثرية غير المسلمة.

فالأقليات حالة اجتماعية استثنائية لها خصائصها وميزاتها، والتي فيها أهمية بالغة لاعتبار المآلات؛ لأن المجتمع إذا كان في مناخ غير إسلامي، قد تتخلف الأحكام عن تحقيق مقاصدها في كثير من الأحيان[4]، لذا يؤكد الشاطبي أن المجتهد ملزم بالنظر في كل حالة على حدة، بل إلى وضع كل شخص وظروفه فبالأحرى النظر إلى جماعة تحكمها ظروف وتواجه ضغوطات وإكراهات؛ إذ يقول: "ويختص غير المنحتم بوجه آخر وهو النظر فيما يصلح بكل مكلف في نفسه، بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص؛ إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزان واحد، كما أنها في العلوم والصنائع كذلك، فرب عمل صالح يدخل

---

[1] عبد الرحمن السنوسي، اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، دار ابن الجوزي، الدمام، ط 1، 1424 هـ، ص 19.

[2] الشاطبي، الموافقات، 5/ 177.

[3] نفسه، 5/ 182.

[4] عبد الواسع لاكل، المبادئ الشرعية العامة لتنظير فقه الأقليات ص د.

بسببه على رجل ضرر أو فترة، ولا يكون كذلك بالنسبة إلى آخر، ورب عمل يكون حظ النفس والشيطان فيه بالنسبة إلى العامل أقوى منه في عمل آخر، ويكون بريئا من ذلك في بعض الأعمال دون بعض"[1].

لذلك نجد كثيرا من قرارات المجلس الأوربي بنيت على هذه القاعدة، منها منع أئمة المساجد من عقد النكاح قبل أن يعقد الطرفان عقدا مدنيا أمام السلطة؛ لأن من شأن تلك العقود – وإن كانت مستوفية الشروط – أن تؤول إلى خصومات، وربما حرمان المرأة حقوقها، وحرمان الأولاد من نسبهم، لعدم توثيق العقود وذلك التفاتا ونظرا في المآلات[2].

وبالمقابل ذلك نجد بعض الفتاوى التي صُنعت في إطار فقه الأقليات المسلمة وجاءت تخدم التعايش مع الآخرين، إلا أن لها مآلات سلبية خطيرة، منها ما يؤدي إلى ذوبان هوية الإسلام في غيره من الديانات الوثنية والثقافات الأجنبية، كأن يتخذ المسلم الملابس التي تتشابه بزي الوثنية الذي يلبسونه عند طقوسهم الدينية[3].

ثانيا: قاعدة التيسير ورفع الحرج:

التيسير ورفع الحرج مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية؛ إذ الشريعة المطهرة نفت عن المكلَّف العسر والمشقة في كثير من النصوص، قال الشاطبي: "فإن الشارع لم يقصد إلى التكاليف بالمشاق الإعنات فيه، والدليل على ذلك أمور، أحدها: النصوص الدالة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [الأعراف: 157]، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرٗا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا﴾... الآية[البقرة: 286]... ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]"[4].

واعتماد التيسير في فقه الأقليات منهج نبوي؛ إذ لما بعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذا إلى اليمن أوصاهما بقوله: (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا)[5].

ومن ثم فكل فتوى تأخذ المسلمين إلى خلاف ما أراده الشارع وتجلب المشقة والحرج للمكلف لا تمثل روح هذه الشريعة الغراء، ولا يمكن أن تضاف إليها، والأقليات المسلمة قلة تعيش بين الأكثرية الكافرة وتعاني من شتى أنواع الأذى والبلايا، فلا يمكن للفتاوى التي توضع لقضاياهم أن تزيد بلاياهم، بل يجب أن تقصد التخفيف

---

[1] الشاطبي، الموافقات، 5/ 25.

[2] بن بية، فقه الأقليات ص263 –264.

[3] عبد الواسع لاكل، المبادئ الشرعية العامة لتنظير فقه الأقليات، ص د.

[4] الموافقات، 2/ 210.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، رقم الحديث (2873).

والتيسير؛ إذ هو قاعدة اعتمد عليها الشارع عند وضع الأحكام، فكل اجتهاد يأخذ المكلف إلى خلاف ما أراده الشارع لا يحقق مقصده، ولا يمكن أن يكون مرجعاً يعتمد عليه الأقليات المسلمة في ضبط معاملاتهم الدينية والسياسية والاقتصادية وغيرها، ولذلك فإن قاعدة التيسير والتخفيف تأتي في مقدمة الأمور عند صناعة الفتاوى للأقليات المسلمة[1].

وللإشارة فإن بناء الفتوى في نوازل الأقليات على التيسير لا يعني الجنوح إلى التيسير مطلقا، بل مجال التيسير ينحصر في الأمور الاجتهادية والأحكام التي ارتبط مناط الحكم فيها بالزمان والمكان والأحوال والعوائد، بما يحقق المصلحة الشرعية، والحِكَم المرعية، وكذا حال المستفتي قوةً وضعفًا، والقرائن المصاحبة للواقعة، ولا يدخل في دائرة الثوابت القطعيات والمحكمات، كمسائل الاعتقاد، وأصول الفرائض، وأصول المحرمات، وأصول الفضائل والأخلاق[2]، قال ابن القيم: "الأحكام نوعان؛ نوع: لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة والأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة...، والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانًا ومكانًا وحالًا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها؛ فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة"[3].

ثالثا: الضرورات تبيح المحظورات:

وهي من القواعد العامة المهمة في الشريعة، مستلة من قواعد المصلحة، وهي مستندة لعشرات النصوص والتصرفات الشرعية في الكتاب والسنة، ولها علاقة وطيدة بنوازل الأقليات؛ إذ كثيرا ما تتعرض الأقليات المسلمة لنوازل اضطرارية، لا يستطيعون منها انفكاكا تلجئهم للبحث عن مخارج شرعية لها، كمسألة عمل المرأة ومسألة الاختلاط، قال الشافعي: "لأنه يجوز في الضرورة ما لا يجوز في غيرها"[4].

رابعا: الحاجة تنزل منزلة الضرورة:

هذه القاعدة من قواعد الأحكام مبتناة على أحكام شرعية مستفادة منها، لذا نص عليها علماء القواعد الفقهية، قال السيوطي: "الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة"[5]، وهي من قواعد المقاصد من جهة

---

[1] عبد الواسع لاكل، المبادئ الشرعية العامة لتنظير فقه الأقليات مجلة، ص د.

[2] يسري إبراهيم، فقه النوازل للأقليات المسلمة، 1/ 276.

[3] ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، 1/ 331.

[4] الشافعي، الأم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ/ 1993م، 4/ 177.

[5] السيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ/ 1983م، ص88.

كونها تراعي رفع الضرر، وتحقيق التيسير، وهما من مقاصد الشريعة المعتبرة في عامة فروعها التفصيلية، فإذا اعترت الأقليات المسلمة كلها أو بعضها حاجة ما نزلت الحاجة منزلة الضرورة في جواز الترخيص لأهلها[1].

خامسا: درء المفسدة مقدم على جلب المصالح:

يتردد الفقهاء كثيرا في النوازل الفقهية المتعلقة بالأقليات المسلمة عندما تتعارض المصلحة مع المفسدة أيهما يقدم، وذلك بعد التحقق من وقوع النازلة فعلا في مجتمع الأقليات المسلمة، ثم التحقق من وجود تعارض بين المصالح والمفاسد، ثم يوازن بينهما من خلال معرفة مراتب المفاسد والمصالح؛ لأن المفاسد متفاوتة، كما أن المصالح متفاوتة، قال العز بن عبد السلام: "من وفقه الله للوقوف على ترتب المصالح عرف فاضلها من مفضولها، ومقدمها من مؤخرها، وقد يختلف العلماء في بعض رتب المصالح فيختلفون في تقديمها عند تعذر الجمع، وكذلك من وفقه الله لمعرفة رتب المفاسد فإنه يدرأ أعظمها بأخفها عند تزاحمها، وقد يختلف العلماء في بعض رتب المفاسد فيختلفون فيما يدرأ منها عند تعذر دفع جميعها"[2].

فالمأمورات في الشريعة هي المصالح، وهي تتفاوت من حيث الوجوب والاستحباب والإباحة، والمنهيات في الشريعة مفسدة وهي أيضا تتفاوت من حيث الحرمة والكراهة، يقول القرافي: "والقاعدة متى تعارض المحرم والواجب قدم الحرام ترجيحا لدرء المفاسد على تحصيل المصالح وتغليبا لجانب الأصل"[3].

ومن أمثلة تطبيق هذه القاعدة في فقه الأقليات خلع النقاب في البلدان التي تحارب ارتداءه، وتجرم من يفعله، فإذا نظر الفقيه إلى جانب الفعل، وهو ارتداء النقاب وجد أنه يترتب عليه مفسدة عظيمة، فيفتي بعدم ارتدائه بناء على قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[4].

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لإعمال مقاصد الشريعة في نوازل الأسرة بالبلاد الغربية بين الانضباط والتسيب

المطلب الأول: التفريق بين الزوجين الذين أسلمها أحدهما:

نظرا لتزايد دخول الناس في الإسلام رغبةً ومحبة في البلاد الغربية، فقد يُسلم الرجل وتبقى زوجه على مِلَتِها، وقد تُسلم المرأة ويبقى زوجها على مِلَّتِه، وهو ما يطرح مشكلة التفريق بين الزوجين، لذا تناول المعاصرون هذه

---

[1] بندر مناحي ذعار عريج، قواعد المصلحة وتعلقها بنوازل فقه الأقليات المسلمة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، ع 35، ص 1775.

[2] العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط جديدة مضبوطة منقحة، 1414هـ/ 1991م، 1/ 54.

[3] القرافي، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط1، 1994م، 1/ 385.

[4] بندر مناحي، قواعد المصلحة وتعلقها بنوازل فقه الأقليات المسلمة، ص 1762.

النازلة بشكل كبير وحرروا القول فيها، وهي نازلة تناولها الأقدمون، واختلفوا فيها إلى آراء متعددة يمكن إجمالها في الآتي:

الرأي الأول: ذهب الشافعي وأصحابه[1] وأحمد في المشهور عنه إلى القول بالإهمال في العدة[2].

الرأي الثاني: ذهب الحنفية إلى أن الإسلام ليس سببا للتفريق، وإنما يفرق بينهما بالقضاء بعد عرض الإسلام على الذي لم يسلم منهما[3].

الرأي الثالث: فصل المالكية في الموضوع؛ حيث يفرق بينهما مباشرة إن حدث ذلك قبل الدخول، وإن حدث بعد الدخول يفرق بينهما إلى أن يسلم الآخر فتستأنف الزوجية ما لم يتجاوز شهرا[4].

الرأي الرابع: ذهب ابن تيمية[5] وتلميذه ابن القيم إلى أن إسلام أحدهما ليس سببا للتفريق بينهما، وإنما يمنع العشرة بينهما، ويبقى الزواج موقوفا إلى أن يسلم الطرف الآخر ولو طال الزمن وانتهت العدة[6].

أما المعاصرون، فنجدهم اختلفوا في المسألة بناء على اختلاف السابقين، فذهب البعض منهم إلى أن إسلام أحد الزوجين وبقاء الآخر كافرا يبطل عقد الزواج مطلقا[7]، وذهب جماعة إلى عدم بطلانه، وإن اختلفوا هل العقد موقوف أم يستمر؛ إذ ذهب بعضهم – منهم المجلس الأوربي للإفتاء[8] ومحمد يسري إبراهيم[9] – إلى أن العقد موقوف حتى يسلم الطرف الآخر، وذهب القرضاوي والجديع وغيرهما إلى أن بقاء أحدهما كافرا لا يبطل العقد،

---

[1] الشافعي، الأم، 55/5.

[2] ابن قدامة، الكافي في فقه أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، ط1، 1414 هـ/ 1994م، 3/ 50 وما بعدها.

[3] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتب العلمي، ط2، 1406هـ / 1986م، 2/ 336.

[4] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، شهاب الدين النفراوي، دار الفكر، 1415هـ/ 1995م، 2/ 25 – 26.

[5] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ/1995م، 32/ 337.

[6] ابن القيم، أحكام أهل الذمة، تحقيق: محمد عزير شمس، نبيل بن نصار السندي، دار عطاءات العلم، الرياض/ دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1442هـ/ 2021م، 1/ 450.

[7] محمد عبد القادر أبو فارس، أثر إسلام أحد الزوجين في النكاح، دار الوطن للنشر، ط1، 1423هـ/ 2022م، ص146.

[8] المجلس الأوربي للإفتاء، القرار (3/ 8) في موضوع: إسلام المرأة وبقاء زوجها على دِينِهِ، المجلة العلمية للمجلس الأوربي، العدد، (2)، ص445 – 446).

[9] يسري إبراهيم، فقه النوازل للأقليات المسلمة، 2/ 1038.

بل تجوز المعاشرة بينهما، معللين موقفهم بصعوبة ضبط مشاعر كل من الزوجين، خاصة إذا كانا معا تحت سقف واحد وكانا شابين[1].

ومن خلال النظر في أدلة الفريقين في علاقتها بإعمال المقاصد نجدهما معا يلتفتان إلى المقاصد والمصالح، فأصحاب الرأي القائلين بعدم بطلان العقد واستمراره استندوا إلى المصلحة الشرعية المتحققة، وهي التشجيع على الدخول في الإسلام، وهو ما نص عليه ابن القيم قائلا: "وأيضًا فإن في هذا تنفيرًا عن الإسلام، فإن المرأة إذا علمت أو الزوج أنه بمجرد الإسلام يزول النكاح، ويفارق من يحب، ولم يبقَ له عليها سبيلٌ إلا برضاها ورضا وليِّها ومهرٍ جديدٍ نفَرَ عن الدخول في الإسلام، بخلاف ما إذا علم كلٌّ منهما أنه متى أسلم فالنكاح بحاله، ولا فراقَ بينهما إلا أن يختار هو المفارقة كان في ذلك من الترغيب في الإسلام ومحبتِه ما هو أدعى إلى الدخول فيه. وأيضًا فبقاء مجرد العقد جائزًا غيرَ لازمٍ من غير تمكينٍ من الوطء خيرٌ محضٌ ومصلحةٌ بلا مفسدةٍ"[2].

إضافة إلى ذلك التفت أصحاب هذا الرأي إلى مقصد التيسير ورفع الحرج على من هم حديثو عهد بالإسلام؛ إذ تعاني الأقليات المسلمة بشكل عام والمرأة التي تريد الدخول في الإسلام بشكل خاص، فأصبح هذا الحكم حاجزا أمام بعضهن من دخول الإسلام، لحرمانها من حقوقها وحرمة بقائها مع زوجها، وهو ما يتطلب النظر في أقوال الفقهاء في إيجاد المخارج الفقهية المعتبرة، وهو ضابط معتبر لرفع الحرج والأخذ بأيسر المذاهب عند الحاجة، يقول القرضاوي: "وفي رأيي أن هذا قول وجيه، ترجحه حاجة المسلمات الجديدات الباقيات مع أزواجهن في ديارهن غير الإسلامية إلى بقائهن مع أزواجهن، ولا سيما إذا كن يرجين إسلامهم، وخصوصا إذا كان لهن منهم أولاد يخشى تشتيتهم وضياعهم...، وهذا تيسير عظيم للمسلمات الجدد، وإن كان يشق على الكثير من أهل العلم، لأنه خلاف ما ألفوه وتوارثوه، ولكن من المقرر المعلوم: أنه يغتفر في البقاء، ما لا يغتفر في الابتداء. وهي قاعدة فقهية مقررة، ولها تطبيقات فروعية كثيرة، وهي التفريق بين الابتداء والانتهاء، يتسامح في البقاء والانتهاء ما لا يتسامح في الابتداء"[3].

---

[1] القرضاوي، في فقه الأقيات المسلمة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2001م، ص120 وما بعدها، الجديع، إسلام المرأة وبقاء زوجها على دينه، (بحث منشور على الأنترنيت) تم الاسترجاع من(noor-book.com) بتاريخ 12/ 2022/09، ص194؛ القيرات صالح، الفتوى في النوازل الفقهية المعاصرة، وأثرها على فقه الأسرة، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ج11، ع4، 2019، ص189.

[2] ابن القيم، أحكام أهل الذمة، 1/ 470.

[3] القرضاوي، في فقه الأقليات المسلمة، ص120– 121.

أما أصحاب الرأي القائل ببطلان العقد، فمن خلال النظر في أدلته نجده استند أيضا إلى المقاصد؛ إذ رد ما استند إليه أصحاب الرأي الأول مبينا أن تلك المصالح التي استندوا إليها وهمية، بدليل "أن الشرع إذا أَمَرَ بشيء فهو مصلحة، وإذا نهى عن شيء فهو مفسدة، ولو لم يدركْ ذلك الناسُ بعقولهم؛ لأن المصلحة أو المفسدة تتبع النصَّ الشرعيَّ، إن وُجِدَ، وإذا ظَنَّ الناسُ وجودَ مصلحة في مخالفة النصِّ فهي مصلحة متوَهَّمة، وليست حقيقية. وعليه: فإن تفريق المرأة المسلمة عن زوجها غير المسلم هو المصلحة؛ لأنه أَمْرُ الله، وهو لا يُنَفِّرُ من الدخول في الإسلام أكثر من تفريق المرأة المسلمة إذا كانت محرَّمَةً على زوجها الكافر بسبب القرابة، أو المصاهرة، أو الرضاع، أو غير ذلك، وهذه زينب فَرَّقَهَا الإسلام عن زوجها أبي العاص ولم يَنْفِرْ، بل دخل في دين الله حين قُدِّرَتْ له الهداية"[1].

فتبين أنه بالرغم من كون الجميع يتفق على إعمال المقاصد إلا أن إعمالها في النازلة اختلف بين من حَكَّمَ ظاهر النصوص، مقتصرا على أن فيها مصلحة ولو جهلناها، وبين من نظر إلى أن عدم تأثير دخول أحد الزوجين إلى الإسلام في التفريق يحقق المصلحة الشرعية، خصوصا أن ظاهر النصوص الدالة على التفريق قابلة للتأويل بما ينسجم مع المقاصد الشرعية والحاجات المجتمعية.

المطلب الثاني: بنوك الحليب:

يُقصد ببنوك الحليب جمع اللبن من أمهات متبرعات، أو بأجر، ويؤخذ هذا اللَّبن بطريقة معقَّمة، ويحفظ في قوارير معقَّمة بعد تعقيمه مرَّة أخرى في بنوك الحِليب[2].

وقد تداول المعاصرون هذا الموضوع في علاقته بنوازل الأقليات، من خلال انتفاع أطفال المسلمين من لبن بنوك الحليب المنتشرة في المجتمعات الغربية إنقاذا لحياة الأطفال، وإذا كانت هذه المسألة لم يكن لها تأثير في العصور الماضية، فإنها اليوم تطرح مشكلة حقيقة خصوصا بأروبا وأمريكا؛ حيث تم إنشاء بنوك لحليب الأمهات بكثرة، وأصبح الآباء أحيانا في حاجة إلى هذا الحليب لامتناع أبنائهم عن حليب الأم، وعدم وجود مرضعات كما كان في السابق، ولما يحوي هذا الحليب الطبيعي من فوائد جمة[3].

وبالنظر في آرائهم نجد هناك موقفين:

---

[1] يسري إبراهيم، فقه النوازل للأقليات المسلمة، 2/ 1038.

[2] محمد علي البار، بنوك الحليب، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ع 2، 2/ 261.

[3] القرضاوي، الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة، سلسلة مطبوعات منظمة الطب الإسلامي، ط2، 1991م، ص/ 80 و 81 و 82.

الموقف الأول: ذهب مجموعة من المعاصرين، – وعلى رأسهم مجمع الفقه الإسلامي الدولي – إلى الحرمة، وهو رأي مستند إلى رأي الجمهور؛ إذ هو قول الشعبي، والثوري، وأصحاب الرأي، وهو مذهب المالكية، ودليلهم ما روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لا رضاع إلا ما أنشز العظم، وأنبت اللحم)[1]، ولأن هذا يصل به اللبن إلى حيث يصل بالارتضاع، ويحصل به من إنبات اللحم وإنشاز العظم ما يحصل من الارتضاع، فيجب أن يساويه في التحريم[2].

الموقف الثاني: ذهب بعض المعاصرين إلى أنه لا يثبت به التحريم، منهم المجلس الأروبي للإفتاء والقرضاوي وبدر المتولي[3]، وهو مذهب داود، وهو رأي ابن حزم[4].

وبالنظر في أدلة الفريقين يظهر أنهما معا استندا إلى أبعاد مقاصدية، فالقائلون بثبوت التحريم استندوا إلى مقصد حفظ النسب؛ إذ جاء في قرار المجمع الفقهي ما يلي: "إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمر الثاني بجدة من 10 – 16 ربيع الآخر 1406هـ الموافق 22 – 28 كانون الأول (ديسمبر) 1985م، بعد أن عرض على المجمع دراسة فقهية، ودراسة طبية حول بنوك الحليب، وبعد التأمل فيما جاء في الدراستين ومناقشة كل منهما مناقشة مستفيضة: شملت مختلف جوانب الموضوع وتبين منها... أن الإسلام يعتبر الرضاع لحمة كلحمة النسب يحرم به ما يحرم من النسب بإجماع المسلمين، ومن مقاصد الشريعة الكلية المحافظة على النسب، وبنوك الحليب مؤدية إلى الاختلاط أو الريبة"[5].

أما القائلون بعدم ثبوت التحريم فاستندوا إلى مقصد الحاجة المنزلة منزلة الضرورة، جاء في قرار المجلس الأوربي: "تداول أعضاء المجلس في موضوع انتفاع أطفال المسلمين – ولا سيما الخدَّج وناقصي الوزن عند الولادة – من لبن بنوك الحليب المنتشرة في المجتمعات الغربية، والتي يحتاجها هؤلاء الأطفال إنقاذاً لحياتهم...، ونظراً لتغير الحيثيات التي استند إليها قرار المجمع الفقهي الدولي وبخاصة ما يتعلق بالمسلمين المقيمين في ديار الغرب؛ حيث إن هناك بنوكاً للحليب قائمة منذ زمن، وتأخذ بالتزايد والانتشار من قطر إلى آخر، إضافة إلى تزايد أعداد المسلمين المقيمين في الغرب وعدم توافر المرضعات المعروفات كما هو الشأن في العالم الإسلامي فإن المجلس

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح: باب في رضاعة الكبير، رقم الحديث: (2060)، 3/ 402.

[2] علي السالوس، موسوعة القضايا الفقهيَّة المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، مكتبة دار القرآن، ط7، 1422هـ/2003م، ص37، أبو عبد الله الحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1412هـ/ 1992م، 4/ 178.

[3] القرضاوي يوسف، الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة، ص/ 80 و 81 و 82.

[4] ابن حزم، المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار البنداري، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ، 10/ 185.

[5] بنوك الحليب، المجمع الفقهي، مجلة المجمع الفقهي، ع2، ج1 ص 383.

يقرر ما يلي: أولاً: لا مانع شرعاً من الانتفاع من لبن بنوك الحليب عند الحاجة. ثانياً: لا يترتب على هذا الانتفاع التحريم بسبب الرضاعة..."[1].

إضافة إلى ما سبق، علل البعض عدم تأثير حليب البنوك بأن العلة في التحريم بالرضاع هي الأمومة والإرضاع، وليس الحليب فقط، يقول القرضاوي: "بهذا نرى أن القول الذي يطمئن إليه القلب هو ما يتمشَّى مع ظواهر النصوص التي ناطت كل الأحكام بالإرضاع والرَّضاع، ومعناها معروف لغة وعرفًا، كما يتماشى مع الحكمة في التَّحريم بالرضاع، وهو وجود أمومة تشابه أمومة النسب، وعنها تتفرع البنوة، والأخوة، وسائر القرابات الأخرى، ومعلوم أن الرَّضاع بهذا المعنى في حالة (بنوك الحِليب) غير موجودة"[2]، وقد علل رحمه الله بطلان علة الجمهور بأنه "لو كانت العلة هي إنشاز العظم وإنبات اللحم بأي شيء كان، لوجب أن نقول اليوم بأن نقل دم امرأة إلى طفلها يحرمها عليه ويجعلها أمه؛ لأن التغذية بالدم في العروق أسرع وأقوى تأثيرًا من اللبن..."[3].

فتبين أن كلا الرأيين استندا إلى مقاصد الشريعة، فأصحاب الرأي الثاني التفتوا إلى قاعدة الحاجة المنزلة منزلة الضرورة؛ إذ فيه مصلحة اجتماعية، وحاجة ملحة للأطفال، أو ضعيفي النمو لما يحوي حليب الأم من فوائد جمة تختلف عن سائر حليب المعز أو البقر أو غيرها[4]، كما ردوا علة التحريم المتمثلة في الحليب فقط دون الأمومة، أما أصحاب الرأي الأول فاستندوا إلى مقصد حفظ إحدى الضروريات الخمس وهي النسب، وبنوك الحليب مؤدية إلى الاختلاط أو الريبة.

المطلب الثالث: توريث المسلم من الكافر:

ذهب جمهور الصحابة – منهم الخلفاء الأربعة وغيرهم – والأئمة الأربعة وغيرهم من الفقهاء إلى عدم توريث المسلم من الكافر، وأن اختلاف الملة أو الدين مانع من الميراث، واستدلوا بالحديث المتفق عليه: (ولا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم)[5]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يتوارث أهل ملتين شتى)[1].

---

[1] المجلس الأوروبي للإفتاء، قرار (12/3) بشأن انتفاع الأطفال من لبن بنوك الحليب القائمة في البلاد الغربية، موقع المجلس الأوروبي للإفتاء الرابط: (e-cfr.org)

[2] القرضاوي، الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة، ص 55.

[3] نفسه، ص 52 وما بعدها.

[4] القيرات، الفتوى في النوازل الفقهية المعاصرة، ص186.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، رقم الحديث: (6383)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، رقم الحديث: (1614)

وذهب بعض العلماء إلى توريث المسلم من الكافر، وروي ذلك عن عمر، ومعاذ، ومعاوية، رضى الله عنهم، وحكي ذلك عن محمد بن الحنفية، وعلى بن الحسين، وسعيد بن المسيب، ومسروق، وعبد الله بن معقل، والشعبى، والنخعى، ويحيى بن يعمر، وإسحاق[2]، وهذا الرأي رجحه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقد استدل ابن القيم له بمجموعة من الأدلة، مؤولا الحديث المعروف في المسألة قائلا: "وأما أهل الذمة فمن قال بقول معاذ ومعاوية ومن وافقهما يقول: قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (لا يرث المسلم الكافر)، المراد به الحربي، لا المنافق ولا المرتد ولا الذمي، فإنَّ لفظ «الكافر»، وإن كان قد يعُمُّ كل كافر، فقد يأتي لفظه والمراد به بعض أنواع الكفار...، وقد حمل طائفةٌ من العلماء قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (لا يُقتَل مسلمٌ بكافرٍ) على الحربي دون الذمي، ولا ريب أن حمل قوله: (لا يرث المسلم الكافر) على الحربي أولى وأقرب محملًا..."[3].

ومما استدل به لهذا الرأي ما روي (أن أخوين اختصما إلى يحيى بن يعمر يهودي ومسلم؛ فورث المسلم منهما، وقال: حدثني أبو الأسود، أن رجلا حدثه أن معاذا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الإسلام يزيد ولا ينقص، فورث المسلم)[4].

وهو رأي أخذ به المجلس الأوربي للإفتاء؛ إذ جاء فيه: "يرى المجلس عدم حرمان المسلمين ميراثهم من أقاربهم غير المسلمين ومما يوصون لهم به. وأنه ليس في ذلك ما يعارض الحديث الصحيح: (لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم)، الذي يتجه حمله على الكافر الحربي"[5]،

كما أخذ بهذا الرأي الدكتور القرضاوي؛ إذ يقول: "وأنا أرجح هذا الرأي، وإن لم يقل به الجمهور، وأرى أن الإسلام لا يقف عقبة في سبيل خير أو نفع يأتي للمسلم، يستعين به على توحيد الله تعالى وطاعته ونصرة دينه الحق، والأصل في المال أن يرصد لطاعة الله تعالى لا لمعصيته، وأولى الناس به هم المؤمنون، فإذا سمحت الأنظمة

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر؟ رقم الحديث (2911)، وأحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، رقم الحديث (6664).

[2] المغني، ابن قدامة، 9/ 154.

[3] ابن القيم، أحكام أهل الذمة، 32/2.

[4] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر؟ رقم الحديث: (2912)، والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب الفرائض، باب ميراث المرتد، رقم الحديث: (12465).

[5] المجلس الأوربي للإفتاء، ما حكم توريث المسلم من أقاربه غير المسلمين؟ موقع المجلس الأوربي للإفتاء، الرابط: (e-cfr.org)

الوضعية لهم بمال أو تركة، فلا ينبغي أن نحرمهم منها، وندعها لأهل الكفر يستمتعون بها في أوجه قد تكون محرمة أو مرصودة لضررنا"[1].

وبالنظر إلى الأدلة التي استدل بها أصحاب الرأيين في علاقتها بالمقاصد يظهر أنهما معا استندوا للأبعاد المقاصدية؛ فأصحاب الرأي القائل بجواز توريث المسلم من غير المسلم، نجدهم راعوا مقصد التيسير والتخفيف على من هم حديثو عهد بالإسلام، وحفظا لمصلحتهم؛ إذ منعهم من الميراث فيه مشقة عليهم خصوصا إذا كانت أسرهم غنية، وهم فقراء، فحرمانهم من ذلك المال يجعلهم في جرح ومشقة وعسر، وقد يعرضهم للفقر والتشرد، وهذا التيسير فيه مصلحة للإسلام أيضا ونصرته وتشجيع على الدخول فيه خصوصا في هذا الزمن.

وهو ما التفت إليه ابن القيم؛ إذ يقول: "فإنَّ في توريث المسلمين منهم ترغيبًا في الإسلام لمن أراد الدخول فيه من أهل الذمة، فإنَّ كثيرًا منهم يمنعهم من الدخول في الإسلام خوف أن يموت أقاربهم، ولهم أموال فلا يرثون منهم شيئًا. وقد سمعنا ذلك من غير واحدٍ منهم شِفاهًا. فإذا علم أنَّ إسلامه لا يُسقط ميراثه ضَعُف المانع من الإسلام وصارت رغبتُه فيه قويةً. وهذا وحده كافٍ في التخصيص، وهم يخصُّون العموم بما هو دون ذلك بكثيرٍ، فإنَّ هذه مصلحةٌ ظاهرةٌ يشهد لها الشرع بالاعتبار في كثيرٍ من تصرفاته، وقد تكون مصلحتها أعظم من مصلحة نكاح نسائهم. وليس في هذا ما يخالف الأصول، فإنَّ أهل الذمة إنَّما ينصرهم ويقاتل عنهم المسلمون، ويفتكُّون أسراهم، والميراثُ يستحق بالنصرة فيرثهم المسلمون، وهم لا ينصرون المسلمين فلا يرثونهم"[2].

وجملة فهذا الحكم يحقق مجموعة من المقاصد الشرعية، منها التيسير والتبشير، وعدم التنفير، والمحافظة على الدين[3].

أما أصحاب الرأي القائل بالحرمان من الإرث، فإنهم وقفوا عند ما تدل عليه ظاهر النصوص، وهو حكم المنع، وهو حكم فيه مصلحة شرعية علمها من علمها وجهلها من جهلها حسب رأي أصحاب هذا الرأي.

خاتمة

أولا: نتائج البحث:

– للمقاصد أهمية كبيرة في فقه الأقليات باعتبارها وسيلة لإنضاجه وتقويمه، وأداة لتوسيعه وتمكينه من استيعاب نوازل الحياة بكل تقلباتها وتشعباتها.

---

[1] القرضاوي، في فقه الأقليات، ص128.

[2] ابن القيم، أحكام أهل الذمة، 32/2.

[3] يسري إبراهيم، فقه النوازل للأقليات المسلمة، 2/ 780.

– الاجتهاد الذي يحتاج إليه الأقليات المسلمة خاصة في قضايا الأسرة لا بد أن يبنى على ضوء المقاصد الشرعية العليا، باعتارها سبيلا لتقليل الاختلاف والترجيح عند تعدد الاحتمالات، وتوجيه المفتين إلى الحكم المناسب عند تغير الأحوال وتعدد الاحتمالات في النازلة، إضافة إلى مساعدتهم على الإفتاء في النوازل التي لم يرد فيها نص ولا قياس.

– خلص البحث إلى أن هناك ثلاثة اتجاهات كبرى تأصيلية في إعمال المقاصد ضمن فقه الأقليات الخاصة بالأسرة، وهي: منهج الإفراط في إعمال المقاصد إلى حد عدم مراعاة أي ضابط أو قيد، ومنهج التضييق في إعمال المقاصد إلى حد الوقوف على ظاهر النصوص، ومنهج الاعتدال في إعمال المقاصد بالملاءمة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر.

– إعمال المقاصد في فقه الأقليات مقيد بجملة من الضوابط والقواعد الشرعية، حتى لا يتنصل من الأحكام الشرعية باسم المقاصد، أهمها التحقق من صحة المقصد المراد إعماله في النازلة، ونتائجه مع مراعاة خصوصيات فقه الأقليات وقواعده الكلية وخصوصيات كل باب على حدة.

– يبنى فقه الأقليات خصوصا في مجال الأسرة على قواعد وأسس مقاصدية، أهمها قاعدة اعتبار المآلات، وقاعدة درء المفسدة مقدم على جلب المصالح، وقاعدة الضرورات تبيح المحظورات، وقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة، وقاعدة التيسير ورفع الحرج.

– ناقش البحث نوازل أسرية خاصة بالأقليات المسلمة، وهي توريث المسلم من غير المسلم، وبنوك الحليب والتفريق بين الزوجين، وتبين من خلالها مدى أثر المقاصد الشرعية في تسديد الاجتهاد وتوجيهه لمعالجة قضايا الأسرة الخاصة بالأقليات المسلمة وإيجاد الحلول لإشكالاتها.

– تبين من خلال النماذج التطبيقية أنه بالرغم من كون عامة الباحثين يتفقون مبدئيا على إعمال المقاصد في نوازل الأسرة الخاصة بالأقليات المسلمة، إلا أنهم اختلفوا في زاوية إعمالها؛ حيث حَكَّمَ البعض ظاهر النصوص، مقتصرا على أن فيها مصلحة ولو لم يتم إدراكها، ونظر البعض الآخر إلى الأبعاد المقاصدية كالحاجة والمصلحة والتيسير والضرورة مع تأويل النصوص بما ينسجم مع المقاصد الشرعية والحاجات المجتمعية.

– خلص البحث إلى أن إشكالية المقاصد لا تظهر في جانب التأصيل والتنظير؛ إذ الكل في عمومه متفق على إعمالها والاستناد لقواعدها، وإنما الإشكال يظهر في جانب الإعمال والتوظيف خصوصا عند وجود نصوص شرعية يدل ظاهرها على معارضة مقاصد بعينها.

ثانيا: توصيات البحث:

– ضرورة استحضار البعد المقاصدي والمصلحي ومراعاة الخصوصيات المجتمعية في معالجة نوازل الأسرة الخاصة بالمجتمعات الغربية.

– الانتباه إلى خطورة ونتائج إعمال المقاصد غير المنضبطة بقيود الشرع في نوازل الأقليات المسلمة الخاصة بالأسرة المسلمة.

– اعتماد الإفتاء الجماعي المستحضر للبعد المقاصدي في معالجة قضايا الأسرة المسلمة بالمجتمع الغربي.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أثر إسلام أحد الزوجين في النكاح، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الوطن للنشر، ط1، 1423هـ/ 2022م.

الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته، الخادمي نور الدين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1419هـ/ 1998.

الاجتهاد: النص، الواقع، المصلحة، أحمد الريسوني، ومحمد جمال باروت، دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ط1، 1420هـ /2000م.

أحكام أهل الذمة، ابن القيم، تحقيق: محمد عزير شمس، نبيل بن نصار السندي، دار عطاءات العلم، الرياض/ دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1442هـ/ 2021م.

إسلام المرأة وبقاء زوجها على دينه، الجديع، (بحث منشور على الأنترنيت) تم الاسترجاع من(noor-book.com) بتاريخ 12/ 09/2022.

الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة، القرضاوي يوسف، سلسلة مطبوعات منظمة الطب الإسلامي، ط2، 1991م.

الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، السيوطي، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ/ 1983م.

اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، عبد الرحمن السنوسي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط 1، 1424هـ.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

الأم، الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ/ 1993م.

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتب العلمي، ط2، 1406هـ / 1986م.

بنوك الحليب، المجمع الفقهي، مجلة المجمع الفقهي، ع2، ج1.

بنوك الحليب، محمد علي البار، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ع 2.

تعامل الداعية مع المستجدات الفقهية، الشيخ القرضاوي أنموذجا، حذيفة عبود، دار كتب العلمية، بيروت، ط1، 2013م.

التيسير في الفتوى أسبابه وضوابطه، عبد الرواق الكندي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1429هـ/ 2008م.

الذخيرة، القرافي، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط1، 1994م.

الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، السيوطي، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، طبعة مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1404هـ/ 1984م.

سنن أبي داود، أبو داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/ 2009م.

السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3ـ 1424هـ/ 2003.

صحيح مسلم، مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ/ 1955م.

صناعة الفتوى وفقه الأقليات، عبد الله بن بية، دار المنهاج، ط1، 1428هـ/ 2007م.

ضوابط اعتبار المقاصد في مجال الاجتهاد وأثرها الفقهي، عبد القادر حرز الله، مكتبة الرشد، السعودية، ط1، 1428 هـ/ 2007م.

ضوابط المنهج المقاصدي، ريحانة الينـدوزي، تم الاسترجاع بتاريخ 22/ 02/ 2023م، من موقع الرابطة، الرابط: (arrabita.ma)

ضوابط إعمال مقاصد الشريعة في الاجتهاد، محمد سعد اليوبي، "مجلة الأصول والنوازل" ع4، 1431هـ.

ضوابط الفتوى في النوازل المعاصرة، مسفر القحطاني، بدون طبعة ولا تاريخ، تم استرجاع الملف بتاريخ 2/2/ 2023، من موقع(MAL07234.pdf (mediu.edu.my) .

ضوابط النظر في النوازل ومدارك الحكم عليها، ماهر ذيب، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ع 55، رمضان 1434هـ/ يونيو 2013م.

طرق الكشف عن مقاصد الشارع، نعمان جغيم، دار النفائس، الأردن، ط1، 1435هـ/ 2014م.

العلمانيون والقرآن الكريم، تاريخية النص، أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، السعودية، ط1، 1428هـ/ 2007م.

الفتوى في النوازل الفقهية المعاصرة، وأثرها على فقه الأسرة، القيرات صالح، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ج11، ع4، 2019.

الفروق، القرافي، عالم الكتب، ط د، ت د.

الفِقه الميسر، عبد الله الطيّار وآخران، مَدار الوَطن للنَّشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1432هـ/ 2011م.

فقه النوازل للأقليات المسلمة، تأصيلا وتطبيقا، محمد يسري إبراهيم، دار اليسر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط1، 1434 هـ/ –2013 م.

الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، شهاب الدين النفراوي، دار الفكر، 1415هـ/ 1995م.

في فقه الأقيات المسلمة، القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2001م.

القرار (3/ 8) في موضوع: إسلام المرأة وبقاء زوجها على دِينِهِ، المجلس الأوربي للإفتاء، المجلة العلمية للمجلس الأوربي، العدد، (2).

قرار (12/3) بشأن انتفاع الأطفال من لبن بنوك الحليب القائمة في البلاد الغربية، المجلس الأوروبي للإفتاء، موقع المجلس الأوروبي للإفتاء الرابط: (e-cfr.org)

قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، العز بن عبد السلام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط جديدة مضبوطة منقحة، 1414هـ/ 1991م.

قواعد المصلحة وتعلقها بنوازل فقه الأقليات المسلمة، بندر مناحي ذعار عريج، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، ع 35.

الكافي في فقه أحمد بن حنبل، ابن قدامة، دار الكتب العلمية، ط1، 1414 هـ/ 1994م.

ما حكم توريث المسلم من أقاربه غير المسلمين؟ المجلس الأوربي للإفتاء، موقع المجلس الأوربي للإفتاء، الرابط: (e-cfr.org)

المبادئ الشرعية العامة لتنظير فقه الأقليات، الواسع لاكل، مجلة أقلام الهند، ع4، أكتوبر/ ديسمبر 2020م.

مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ/1995م.

المحلى بالآثار، ابن حزم، تحقيق: عبد الغفار البنداري، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/ 2001م.

المغني، ابن قدامة، تحقيق: عبد الله التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب.

المقاربة الحداثية لنظرية المقاصد، وائل بن سلطان الحارثي، بحث منشور ضمن أعمال ندوة: إعمال المقاصد بين التهيب والتسيب، مؤسسة الفرقان، 2014م.

مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ/ 2004م.

مقاصد الشريعة، نشر ضمن موسوعة قضايا إسلامية معاصرة، محمد الزحيلي، الجزء الخامس، دار المكتبي، دمشق، بدون طبعة ولا تاريخ.

مناهج الفتوى وضوابطها في القضايا المعاصرة، الأقليات المسلمة نموذجا، محمود حيدر، (ضمن بحوث مؤتمر: الفتوى واستشراف المستقبل.

الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/ 1997م.

مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، أبو عبد الله الحطاب، دار الفكر، ط3، 1412هـ/ 1992م.

موسوعة القضايا الفقهيَّة المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، علي السالوس، مكتبة دار القرآن، ط7، 1422هـ/2003م،

نظرية المقاصد عند الشاطبي، الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2، 1412هـ/ 1992م.

Eabd Alhadi Mahmud Alzaydi; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 92-116

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal

A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies"Islamic University of Minnesota / USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

اقتصاد الأسرة ودور المرأة التنموي "رؤية إسلامية"

The family economy and the developmental role of women "An Islamic vision"

أ. م. د عبد الهادي محمود الزيدي

جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

م. د. مريم مجيد عبد الله حاجي

وزارة التربية/ ثانوية غانم حمودات المختلطة للمتميزين

Original Research Article

***Corresponding author**
' Eabd Alhadi Mahmud Alzaydi

Article History
Received: 16.07.2023
Accepted: 26.08.2023
Published:.22.09.2023

الملخص.

يمكن أن يسهم هذا الدور الاقتصادي الحيوي في بناء الأسرة وتنميتها، كما يمكن أن يكون عامل هدم لكيان الأسرة وتحطيم ركن مهم من أركانها هو الانفاق وإدارة العائدات والادخار والاستثمار والتنمية المالية وغيرها من المفاهيم الدالة على نجاح أو فشل مؤسسة الأسرة اقتصادياً في حياتنا اليومية، ومن هنا يمكن بحث موضوع اقتصاد الأسرة ببعض جوانبه المهمة ومدى إسهام المرأة فيه من خلال رؤية إسلامية تحمل الكثير من الأدلة والتفاصيل لبيانها والوصول الى نتائج بحثية تخدم العلم والمجتمع وتثري معلومات طلبة العلم لذا؛ جاء بحثنا بعنوان (اقتصاد الأسرة ودور المرأة التنموي "رؤية إسلامية").

Abstract

This effective economic role can contribute to the design and development of the family, and it can also be an effective factor in our daily lives, and from that, family returns, savings, investment, financial development and other basic concepts can discuss a specific topic, with some of the topics and the extent of women's contribution In it through an Islamic vision that carries a lot of ideas and clarification for its statement to research results that serve science and society and enrich the information of science students; Our research came under the title (Family Economy and Women's Developmental Role "An Islamic Vision").

المبحث الأول/ الإطار المنهجي للبحث

أولا/ المقدمة:

الحمد لله الذي خلقنا وهدنا العقل وجعلنا مفاتيح للخير مغاليق الشر، والصلاة والسلام على سيد الخلق اجمعين وبعد...

ربما عدّ مصطلح اقتصاد الأسرة غريباً أو جديداً بعض الشيء في التناول الأكاديمي والبحثي، ولكنه كمفهوم ليس غريباً عن هذه المجالات، إضافة للجوانب الاجتماعية التي تعمل ضمن هذا المفهوم وتتعاطى معه، وتتبدد تلك الغرابة إذا ادركنا إن الأسرة مؤسسة تحمل الكثير من سمات المؤسسات الأخرى، بما فيها من وجود أعضاء تربطهم علاقات معينة، منها: العلاقات الاقتصادية التي غالبا ما يشرف عليها الأب أو رب الأسرة، بالدرجة الغالبة، والأم مساعدة مهمة أو مشرفة، وربما تغيرت المعادلة فأصبحت الأم أو غيرها من النساء مديرة ومشرفة في أحيان اخرى، وهو ضمن ما اتاحه الإسلام للمرأة في شريعته وأحكامه.

ثانياً/ صعوبات البحث:

لعل من ابرز الصعوبات التي عاناها الباحثين هو ضيق الوقت للوصول إلى المناطق التي تمثل مجتمع بالإضافة الى اختلاف مكان الباحثين عن بعضهما فمناقشة البحث، والنتائج كانت عن بعد عبر وسائل الاتصال فقط.

ثالثاً/ محددات البحث:

1/ الحدود الزمانية والمكانية: شمل دور المرأة في عصور مختلفة وفي مناطق متباينة كالريف والمدينة.

2/ الحدود البشرية والنوعية: فقد ضم البحث المرأة في مختلف مجالات الحياة العاملة، وربت البيت.

رابعاً/ أهمية البحث:

يكتسب البحث أهميته من كون الأسرة كمؤسسة ونظام اجتماعي لا غنى عنه مطلقاً في كل المجتمعات وفي جميع الأزمان، فهي اللبنة الأولى التي تحتضن الإنسان ليترعرع فيها وينمو نمواً سليماً معافى، وهي جهة تنشئة شاملة تخرج ثمارها للمجتمع أفراداً سرعان ما يأخذوا مكانتهم التي تليق بهم في بناء المجتمع وتنميته وإعماره، كما أراده الله تعالى من مقاصد خلق الإنسان وخلافته. كما يعدّ الاقتصاد عصب الحياة المعاصرة بشكل خاص، للأسرة وللمجتمع عامة، بعد أن أثبت تداخله في تفاصيل الحياة المعاصرة، كعامل مؤثر في البناء والتنمية من جهة، وفي الهدم والركود أو الموت من ناحية أخرى، كما لا يمكن تجاهل الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً في كونه المنهج الشامل والمتكامل الذي يمتلك رؤية فلسفية وواقعية عن كل ما يخص الإنسان والمجتمع والحياة.

خامساً/ أهداف البحث:

1/ بيان مفهوم الأسرة وعلاقتها بنظام الاقتصاد الاجتماعي.

2/ إيضاح السبل المتاحة للمرأة في تنمية الواقع الاقتصادي للأسرة.

3/ كشف الجوانب الإسلامية التي تمكن المرأة من أداء دورها في تنمية الواقع الاقتصادي للأسرة.

سادسا/ مشكلة البحث: يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

1/ ما مفهوم الأسرة وما علاقتها بنظام المؤسسة الاقتصادي؟

2/ كيف تتمكن المرأة المسلمة من تحقيق التنمية عبر وجودها في الأسرة؟

3/ ما الأطر والجوانب التي أتاحها الإسلام للمرأة لتحقيق التنمية الأسرية الاقتصادية؟

سابعاً/ الدراسات السابقة:

1/ واقع الدور التنموي للمرأة المسلمة في المجتمع ، للباحث: د. الباشير عمران خليفة، وهو بحث علمي منشور في موقع: أكاديميا العربية (https://academia-arabia.com) يستعرض الباحث فيه البعد العالمي والدولي لقضية المرأة واسهامها في تنمية المجتمعات العربية والاسلامية، وذلك عبر المؤتمرات الدولية التي عقدتها الامم المتحدة لدورات وسنوات عدة.

ويعرج في بحثه الى أن المرأة ما زالت غير متحصلة على فرصتها في المجتمع المسلم، بسبب تنظيم الاسرة الاسلامية الاقتصادي واعتمادها على الاب اولا او من يخلفه من رجال الاسرة في ادارة اقتصادها، الا القليل من الفرص او الامثلة التي ظهرت فيها المرأة لتتصدى لقيادة وادارة شؤون الاسرة في مجال الاقتصاد، وقد اجاد الباحث في استخدام الجداول والاحصائيات المعززة لفكرة البحث.

ويختلف بحثنا هذا عن بحث الدكتور الباشير في كوننا ركزنا على الضوابط الاسلامية ووجهة نظر الفكر الاسلامي عموما في موضوع البحث، فهو ما يخدم عنوان فعلا، بعكس النظرة غير الملتزمة بالجانب الاسلامي الفكري.

2/ الدور الاقتصادي لربة الأسرة العاملة السعودية، ايناس احمد السليمي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2008.

وكان هدف هذه الدراسة: توضيح العلاقة بين الدور الاقتصادي لربة الأسرة العاملة وتحقيق التوافق في الزواج، بالتركيز على معرفة العلاقة بين متغيرات المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة وأبعاد الدور الاقتصادي لربة الأسرة العاملة ومحاور التوافق الزوجي, وتحديد الاختلاف بين ربات الأسر المساهمات وغير المساهمات في بنود الإنفاق المختلفة بميزانية الأسرة.

وقد اختارت الباحثة عينة قصدية من ربات الأسر المتزوجات العاملات في المملكة العربية السعودية، ومن مستويات اجتماعية واقتصادية وثقافية مختلفة, مستخدمة استبانة استقصاء لقياس الدور الاقتصادي لربة الأسرة العاملة وعلاقته بالاستقرار في الزواج، ثم خرجت الباحثة بنتائج أهمها: وجود علاقة ارتباطية موجبة بين بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة، مترابطة مع أبعاد الدور الاقتصادي لربة الأسرة العاملة, ومع محاور التوافق في الزواج.

واختلف دراستنا عنها في كوننا ركزنا على الجانب النظري التأصيلي لمفردات البحث، مع عمومية الطرح وليس خصوصية النموذج.

3/ مساهمة المرأة في التنمية الاقتصادية على ضوء المعطيات الاحصائية في التخطيط، للباحث محمد آدم، مجلة النبأ، العدد 60، 2001، ويعرج الباحث في بداية دراسته الى مفهوم عملية التخطيط، ثم يحدد هدف دراسته (وهدفنا هنا هو التخطيط لمساهمة المرأة في التنمية الاقتصادية، بمعنى أن اهتمامنا سينصب على دور المرأة في هذا المجال).

ويؤكد الباحث: أن المرأة هي بالحقيقة قضية نصف المجتمع من الناحية الكمية، إذ إن نسبة الذكور إلى الإناث قريبة من التساوي في كل المجتمعات، وهي في نفس الوقت قضية المجتمع كله من الناحية الكيفية؛ فمساهمة المرأة الكبيرة في المجتمع إنما تضيف مورداً بشرياً هاماً لمواجهة تحديات التقدم والتطور والنمو، لهذا فإن الإيمان بضرورة تمكين المرأة من الإسهام في حياة مجتمعها عطاءً وأخذاً، قد استقرّ كضرورة من ضرورات التنمية هدفاً ووسيلة، وقد أصبح من شبه المسلّمات لدرجة أنه تولدت لدى الجميع شبه قناعة بأن للمرأة دوراً اجتماعياً وإنسانياً وتربوياً واقتصادياً عليها أن تؤديه وعلينا أن نخطط له.

ومن أهم نتائج دراسته، يقول: رغم أهمية العمل القصوى بالنسبة للمرأة ومردوده بالنسبة للاقتصاد، قد لا يعود بالنفع المادي على صاحبه كما هو العمل بالريف، نظراً لسيادة بعض العادات الاجتماعية التي لا تعتقها من واقعها الاجتماعي ولا تحررها من تبعيتها الاقتصادية، وقد اختلف دراستنا مع هذه الدراسة في كوننا لم نحدد عينة ريفية أو حضرية للدراسة، لما تطلبته دراستنا من منطلقات نظرية.

ثامناً/ منهج البحث:

من المفترض أن يندرج هذا البحث ضمن خانة البحوث الوصفية – النظرية، التي تصف الظاهرة بغية معالجتها والخروج بها الى مفاهيم أكثر وضوحاً وجدة، ولابد للباحث من الاستعانة – إن شاء الله– بما ورد عن جوانب

الموضوع مما كتب سابقاً، والرجوع الى مصادر الشريعة الإسلامية وبقية ما يتعلق بموضوع البحث للخروج بنتائج علمية وواقعية.

تاسعاً/ خطة البحث:

شمل خطة بحث (اقتصاد الأسرة ودور المرأة التنموي "رؤية إسلامية") على:

مقدمة وأربعة مباحث، فكان المبحث الأول هو الإطار المنهجي للبحث، وتضمن المبحث الثاني: تحديد المفاهيم، وكان في ثلاث مطالب: الأول في مفهوم الاقتصاد، وكان الثاني في: مفهوم الاسرة، في حين كان المطلب الثالث عن: مفهوم التنمية. اما المبحث الثالث: فكان في إدارة المرأة لاقتصاد الاسرة والمساهمة في زيادة الادخار والتنمية الأسرية، وهو في ثلاث مطالب، فكان الأول عن: إدارة المرأة لاقتصاد الاسرة، وكان الثاني في: أثر المرأة في تنمية الادخار للأسرة، في حين كان المطلب الثالث عن: مساهمة المرأة في التنمية الأسرية. أما المبحث الرابع فكان عن: مساهمة الدين الإسلامي في تمكن المرأة في تنمية الواقع الاقتصادي للأسرة، وأنهينا البحث بخاتمة شملت خلاصة ما توصلنا اليه بشكل نتائج وتوصيات

المبحث الثاني

تحديد المفاهيم الرئيسة

المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد

يعنى الاقتصاد بدراسة الموارد الطبيعية وغيرها دراسة معمقة للخروج منها بجدوى معينة، ودراستها في تحقيق الحاجات البشرية، كما لهذا يمكن تعريفه بانه: البحث عن الكيفية أو الطريقة المناسبة للاستفادة من الموارد واستغلالها، وفقاً للنمط الذي يناسب المجتمعات وحاجاتها، وذلك بالحرص على إيجاد أفضل البدائل المناسبة لمعالجة الموارد المحدودة وتنميتها، وهو السعي إلى تفسير الظواهر الاقتصاديّة، وتوقع الأحداث المُؤثرة في مستقبل الموارد وتوفرها[1].

وكلمة الاقتصاد مشتقة من لفظ إغريقي قديم معناه (تدبير أمور البيت) بحيث يشترك أفراده القادرون في إنتاج الطيبات والقيام بالخدمات ، ويشترك جميع أفراده بما يحوزون ، ثم توسع الناس في مدلول البيت ، فصار يقصد به الجماعة التي تحكمها دولة واحدة[2].

[1] ينظر: صونيا عابد، التحليل الاقتصادي الجزئي، الجزائر، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 26، عدد 1، 2010–2011: ص 5.

[2] تقي الدين النبهاني، النظام الاقتصادي في الإسلام، دار الأمة، بيروت، :2004 ص55 .

ويهدف الاقتصاد الى زيادة الدخل القومي والارتقاء بمستوى معيشة الإنسان، مع العمل على توازن هيكل الاقتصاد القومي لمصلحة قطاع الصناعة والتجارة، وهذا يعد بمثابة علاج للمشكلات التي تقع في اقتصاديات الدول، خاصة الفقيرة منها، مع كون معظمها منتجة للمواد الاولية، وتعاني من ضعف الإنتاجية وانتشار الفساد الإداري، وعدم الشفافية، واختلال آليات السوق في غياب القوانين الكابحة للاحتكار، ثم الطغيان السلطوي والاستبداد، ويمكن علاج ذلك كله بالتنمية الاقتصادية.[1]

اضافة الى ذلك يحقق الاقتصاد ما يدعى بالأمن الاقتصادي، مصداقا لقوله تعالى: ((لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (4))) (سورة قريش) ويجب توسعة أمن المجتمع اقتصاديا ليشمل تدابير الحماية والضمان التي تؤهل الإنسان للحصول على احتياجاته الأساسية من المأكل والمسكن والملبس والعلاج والتعليم، وضمان الحدّ الأدنى لمستوى المعيشة، فالأمن الاقتصادي هو أن يملك المرء الوسائل المادية التي تمكّنه من أن يحيا حياة مستقرة ومشبعة، وهذا ضمن ما يجب أن يسعى اليه الاقتصاد، ولا يزال مفهوم الأمن الاقتصادي حديثا، يفتقر إلى الكثير من الأطر النظرية والتطبيقية.[2]

وقد مرت البشرية بأنظمة وتجارب اقتصادية مختلفة، منها[3]:

1/ النظام المشاعي البدائي: وقد اعتمد الإنسان فيه على الأدوات البدائيّة في الإنتاج، وكانت الأعمال والخبرات المهنية محدودة، فاعتمد الناس على العمل ضمن مجموعات للتأقلم مع الطبيعة، وعاشوا معاً ضمن قبائل معتمدة على التقاليد، وكان الإنتاج يوزع بشكلٍ متساوٍ على الأفراد.

2/ منهج العبودية الاقتصادي: وهو نظام الرق، واعتمد على استغلال الأفراد لبعضهم بعضاً، وظهور الاختلافات الطبقية، فأصبح العمل مقتصراً على الأفراد من الرقيق؛ وانقسم المجتمع إلى فئتين، وهما الرّقيق والأسياد.

---

[1] محمد زكي شافعي، "التنمية الاقتصادية"، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983: ص 122، 130.

[2] برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009: تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، نيويورك – الولايات المتحدة الأميركية، 2009، ص 117.

[3] أحمد حسين المشهراوي، تقييم دور المصارف الإسلامية في التنمية الاقتصادية في فلسطين، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، 2003:ص 38.

3/ النظام الإقطاعي: ويستند على وجود الأملاك وأدوات الإنتاج التي تمثل الأراضي في يد الأفراد من الإقطاعيين الذين يستغلون الفلاحين، ويشمل النظام الإقطاعي انتشار الأملاك الإقطاعية في أراضي القرى والمدن؛ مما يعزز استغلال الإقطاعيين للسكان الذين يعيشون على هذه الأراضي.

4/ النظام الرأسمالي: هو نظام اقتصادي حديث، يعنى بتحقيق الأرباح وتعزيز التبادل التجاري، وتمتلك وسائل وأدوات الإنتاج مجموعة معينة من الأفراد يطلق عليهم اسم الرأسماليين، أما الأفراد الذين يشكّلون الشريحة الكبيرة من المجتمع، فهم القوى العاملة التي تعمل في الوسائل الإنتاجية الخاصة بالرأسماليين.

5/النظام الاشتراكي: ويعتمد على فكرة كون ملكية المجتمع لجميع الوسائل والأدوات الإنتاجية؛ بما يعرف بالملكية الجماعية، ويهدف الى توفير جميع الحاجات الخاصة بالأفراد، رغم إنه يحمل تبايناً بين الثروة ومعدل الدخل الفردي؛ نتيجة الاختلاف في نوعية وحجم العمل.

وهناك النظام الإسلامي في الإقتصاد المتميز في آلياته ومواقفه، ذكره ابن خلدون بمعنى (المعاش) فقال: (إن المعاش هو عبارة ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله) وكذلك: (المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة ، ثم يقول : وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش)[1].

ويعدّ الاقتصاد الإسلامي مذهباً فكرياً ومنهجاً عملياً من حيث المبادئ والأُسس التي تحكمه وهي واردة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذه المبادئ الاقتصادية ثابتة لا تتغير ومستمرة ما دامت الحياة مستمرة ، وعلى المجتمع تطبيقها مهما تطورت سبل الاقتصاد وطرق إنتاجه ، ويعد الاقتصاد الإسلامي نظاماً لوضعه الحلول والتطبيقات المختلفة للمشاكل الاقتصادية التي قد تمر بها البشرية، بحيث تتناسب مع ظروف المكان والزمان لكل مجتمع، وهذه الحلول والتطبيقات الاقتصادية يرجع في شأنها لآراء المجتهدين الإسلاميين ، وهي قابلة للتغيير في إطار المبادئ التي جاء بها الإسلام، ومثال ذلك: تحديد المعاملات المستجدة التي تدخل في الربا، ومعرفة حد الكفاية، وكيفية تحديد العدالة الاجتماعية من الناحية الاقتصادية ، وغيرها من النواحي الاقتصادية التطبيقية أو العملية[2].

المطلب الثاني: مفهوم الأسرة

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988، 1/479-480 .

[2] نصير احسان عبد الله، التسول ووسائل معالجته في الاقتصاد الاسلامي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، 2017.

لو تأملنا في المفهوم اللغوي لكلمة أسرة، لوجدنا أنها تنحدر من (أسر)، وتدل على الإمساك والقيد، وأسره يأسره أسرا وإسارة: شده بالإسار، والإسار ما شد به وهو القيد، ومنه الأسير، كما في قوله تعالى: ((نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ)) (سورة الإنسان، آية: 28) ، أي شددنا خلقهم: وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه المقربون لأنه يتقوى بهم، والأسرة أيضا الدرع الحصينة[1].

وفي مفهوم الأسرة كمصطلح، فأنه لم يرد في القرآن الكريم بالمعنى المتداول لدينا، بالرغم من كونه مفهوماً معروفاً عند العرب ويدل على جماعة الرجل، وأطلقت العرب كلمة الأسرة للدلالة على هيئة التجمع البشري، وكانت هذه اللفظة ترد في كتب الأنساب واصول الاقوام والقبائل، بكونها شكلاً من أشكال التجمع الإنساني[2]، وبالعودة إلى مفهوم الأسرة في التراث الإسلامي فإننا نجد علامات بارزة في البناء المفاهيمي تتعلق بمصطلح الأسرة، كالتعارف والتآلف والاختلاف بين الذكر والأنثى، والأولاد وتكوين أسرة، بالإضافة إلى الرابطة الزوجية، الناشئة عن علاقة الزواج، كما إن مفهوم الأسرة في الفكر الاسلامي، يقوم على مبادئ، منها: الترابط بين رجل وامرأة تنعدم بينهما موانع التحريم بعقد شرعي، وقيام هذه الرابطة بهدف التأبيد وليس الزمن المؤقت، وكذلك: الرغبة في التكاثر وتكوين أسرة من هذه الرابطة[3].

إن عناية الشريعة الاسلامية بالأسرة هدفه تمكين أركانها وأسسها من أجل عمران الحياة والكون، وتقوية العلائق الأسرية وآفاقها، وأنها تمتد وتنتهي لتأسيس أمة الدعوة الاسلامية، لهذا جعل الإسلام لكل مرحلة من مراحل نشوء الاسرة وقوتها تشريعات وأحكاماً دقيقة تضبط بناءها وتربط كل مرحلة بمن تليها وتصوب مسيرتها نحو الدائرة الكبرى: المجتمع الاسلامي والأمة والرسالة الدعوية الأسمى، وهي أمانة الاستخلاف وإعمار الأرض والكون تنفيذا لأوامر الله تعالى، فهذه المراحل جميعها مترابطة ومتداخلة فيما بينها، فلا يمكن أن ننظر لمرحلة اجتماعية – اسرية بعيداً عن المراحل الأخرى، وتظل المرحلة المركزية الأهم في ذلك كله هي الدائرة التي تضم الزوجين معاً، لأن المواقف والقيم والعلاقات التي تسودها تؤثر على باقي العلائق الأخرى في مجالات التربية

---

[1] ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1380هـ:174/1؛ ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت:711هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، ط/3،، بيروت، 1414هـ: 19/4.

[2] فتح الباري.6/528

[3] عبد المحسن حمادي، مدخل على أصول التربية، الكويت، المركز العربي للإعلام، ص90؛ وهبة الزحيلي، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، سوريا، دار الفكر، 2008، ص20.

والبناء والتنمية وصولاً الى تحقيق مجتمع الأمة، وكأننا بهذا الفهم نصل الى معنى يتضح من خلاله أنها – الاسرة– لا تتكون فقط من زوجين وأبناء تربطهم علاقة اجتماعية وتحيط بهم أربعة جدران وتعزلهم عن غيرهم، بل الأسرة تمثل اجتماعاً بنظام تعيش في داخله كل القيم المجتمعية، كما إن الأسرة في حد ذاتها ليست مجموعة منغلقة، أو جزيرة منعزلة عن غيرها، بل هي مجموعة علاقات وروابط اجتماعية وأخلاقية تتفاعل وتتكامل مع غيرها لتكوين المجتمع في جماعة أكبر وهي أمة الإنسان والإسلام[1].

ويستخدم الموروث الاسلامي كلمة (الأهل) للدلالة على الاسرة المتكونة من الزوج والزوجة والأولاد، واحيانا تدل على جزء من الأسرة وهو الولد الذكر – مثلا– كما في خطاب الله تعالى لنوح (ع) بعد الطوفان بخصوص ولده الذي عصى الله سبحانه: ((حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)) (سورة هود، آية: 40) وفي موضع آخر من نفس السورة: ((قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)) (سورة هود، آية: 46) فالعلاقة أسرية بين والد وولده، ولكنه إنسان غير صالح من منظور العقيدة الإسلامية التي لا تجامل على حساب الحق وتكوين الأسرة السليمة فيها لابد أن يكون على أساس التقوى والرحمة والتعايش الشرعي المحمود، كما في قوله تعالى: ((وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ)) (سورة طه، آية: 132) والمقصود بها الزوجة والاولاد وهما من ركائز الاسرة كما هو معلوم.

ومن أسس بناء الأسرة الناجحة:

أ/ حسن الاختيار: وبدايته البحث عن توافر الدين والخلق فيمن يراد الارتباط به، فالزواج ليس مجرد قضاء حاجة أو إشباع شهوة، بل هو فطرة إنسانية و ضرورة اجتماعية تتكون من خلالها الأسرة، فلابد أن يسعى الانسان السوي الى التدقيق التام في مسألة انتقاء الزوج أو الزوجة، لقول النبي(□): ((تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك))[2].

ب/ أداء الحقوق الزوجية: أمرت شريعتنا الغراء الأزواج بحسن معاملة زوجاتهم، كما في قوله تعالى: ((وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)) (سورة النساء، من الآية:19)

---

[1] رولا محمد الحيت، المفردات القرآنية في موضوع الأسرة: دلالاتها الفقهية وامتدادها الاجتماعي، منشور ضمن أعمال، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، المعهد العلمي للفكر الاسلامي، لندن، 2015: ص23.

[2] متفق عليه، البخاري برقم (5090)، ومسلم برقم (1466).

لقول النبي(□): ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))[1] كما أمر الإسلام الزوجات بحسن عشرة أزواجهنّ، لقول النبي(□): ((لو كنت آمراً أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدّي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه))[2].

ج/ المحبة والاحترام المتبادل بين الزوجين، وقد أكد القرآن الكريم ذلك كأساس مهم في الحياة الزوجية: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) (سورة الروم، آية: 31) وتعني: (المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض).[3]

د/ حسن تربية الأولاد: يشدد الإسلام على حسن تربية الأولاد تنشئتهم نشأةً إسلامية مستقيمة، وفي ذلك لقول النبي(□): ((كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ فالأميرُ الذي على الناسِ راعٍ عليهم وهو مسؤولٌ عنهم والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِهِ وهو مسؤولٌ عنهم والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلها وولدِهِ وهي مسؤولةٌ عنهم وعبدُ الرجلِ راعٍ على بيتِ سيدِهِ وهو مسؤولٌ عنهُ ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ))[4] .

المطلب الثالث: مفهوم التنمية

أولا/ تعريف التنمية: هناك جوانب مختلفة لتعريف التنمية، فيركز أهل الاقتصاد على جوانب اقتصادية، وعند أهل الاجتماع تتضح بتفصيل أكبر الزوايا الاجتماعية في المفهوم، أما المنظمات الدولية (كاليونسكو) ومنظمات حقوق الإنسان، فتحاول رسم صورة المفهوم بما يحقق شكلاً عالمياً عاماً، تشترك في إدراكه والعمل به دول العالم، فالتنمية: (الاستثمار الأمثل للموارد محدودة الوفرة لتأمين حالة من الرفاهية الاجتماعية المستمرة

---

[1] الشوكاني الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:1250هـ) فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط/1، 1414هـ: 635/1.

[2] رواه ابن ماجة في سننه، برقم 1515، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (ت:237هـ)، سنن ابن ماجه، تحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد– محمَّد كامل قره بللي– عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، 1430هـ– 2009م.

[3] الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط/2، 1384هـ– 1964م: 14/ 406.

[4] اخرجه الترمذي في سننه (حديث رقم: 113)، سنن الترمذي، حمد بن عيسى بن الضحاك ابو عيسى الترمذي،(ت:279هـ)تحقيق احمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي ،ابراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط/2، مصر، 1975م:189/1.

والمتزايدة لتبلغ حدها الأقصى)[1] وهي: (عملية توسيع الخيارات للأمم والشعوب ، وتنطوي عملية توسيع الخيارات الإنسانية على ارتباطها محورياً بموضوعين: القدرات والفعاليات من جانب ، والفرص المتاحة من جانب آخر)[2].

ويصل مفهوم التنمية إلى النتيجة القائلة : التنمية الاجتماعية بمعناها الشامل غدت هدفاً من أهداف المجتمع الإسلامي، وبناء المجتمع الحضاري المتقدم المؤمن بعقلية علمية دقيقة في الوقت الحاضر، وهي ذات جانبين :

الأول: جانب مذهبي نظري (أيدلوجي) يشكل الإطار الموجه، وهو من مهمة الوحي الإلهي، إذ يضع الإنسان على الطريق السوي.

والثاني: جانب معرفي، بحيث يشكل الاستفادة القصوى من قوانين الوجود والحياة في التخطيط والتنفيذ والتطوير، وهي مهمة العقل الإنساني في حركته الدائبة لاكتشاف قوانين الوجود وتسخيرها في سبيل إخراج التنمية من حالة الاستعداد والقوة إلى حيز الفعل الحركي[3].

كما وينظر لمفهوم التنمية بأنها[4]: (دراسة واقع حال من حيث نقاط القوة والضعف للإمكانيات المادية البشرية، ثم محاولة تسخير هذه الإمكانيات عن طريق خطة معتمدة من قبل مخططين بأقل الكلف لتحقيق الأهداف الاستراتيجية التنموية في بلدٍ ما) ويشترط هذا التعريف وضع خطة للتنمية، تقسم الى ثلاثة أنواع:

1/خطة بعيدة المدى (تمتد لأكثر من عشرين سنة).

2/خطة متوسطة المدى (تمتد لخمس سنوات).

3/ خطة قصيرة المدى (تمتد لسنة واحدة أو تسمى بالخطة السنوية).

وتشير معظم المذاهب والآراء والنظريات الى وجود ما يسمى بمؤشر التنمية، وهو الذي يعرف من خلاله مستوى التنمية في بلدٍ ما أو شان معين أو في زمن ما، والذي يقسم بدوره على مؤشرات فرعية تجمعها هذه المعادلة: مؤشر التنمية = (مؤشر التعليم + مؤشر الصحة + مؤشر الدخل).[5]

ثانيا/ علاقة الإسلام بالتنمية:

---

[1] الامم المتحدة، اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا، السكان والتنمية في الشرق الاوسط، بغداد، 1985، ص 1.

[2] د. يوسف الشريدة ، واقع ومستقبل التنمية الانسانية في العراق ،بغداد ،2006 ، ص 7.

[3] د. محسن عبد الحميد ، الاسلام والتنمية الاجتماعية ،بغداد ، 1989 ، ص 45.

[4] د. أياد محمد صالح ، التعليم والتنمية ، مجلة نداء الحرية ،العدد الاول ، ايلول 2006 ، ص 38.

[5] د. يوسف الشريدة ، مصدر سابق، ص 9.

للإنسان عند الله تعالى قيمة كبرى ووجود حيوي مهم، له درجات تفضيل، ومؤهلات قيادة، وقدرة لتسخير بقية الموجودات لمصلحته، وللأهداف التي خلق من أجلها ، يقول الله تعالى: ((إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآَخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرا) (سورة الاسراء، آية: 7) وكثير من آيات أخرى مباركات تؤكد هذ الجانب وهذا التسخير لبقية الموجودات لخدمة الإنسان، وقدرة الإنسان على سيطرته وقيادته لم يأت اعتباطاً، أو بلا مسؤولية يجب أن يتحملها الإنسان مقابل ذلك ، فهي أمانة ثقيلة تلخصت في خلافة الإنسان للأرض ليحكم بما أنزل الله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) (سورة البقرة، من الآية: 30) فكل ذلك مقابل جهد وعطاء وعمل وشروط ربانية يجب أن يتحملها الإنسان :((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا))(سورة النساء، آية: 58).

وهذا كله يؤكد وجوب أن يؤدي الإنسان مهمة خلافته في الأرض بأن يطبق ما يريده الله تعالى على حياته، وأسرته، ومجتمعه، وعالمه كله؛ وصولاً الى الصورة المثلى التي يريدها الخالق – جلّ جلاله – للحياة، وذلك باتخاذ التنمية طريقاً ومسلكاً لبلوغ هذه الأهداف العظيمة ، ومن المفروض أن يكون المسلم أشد اتباعاً وأكثر عمقاً للاقتداء بسنن الله الكونية في بناء الحياة وتحقيق التنمية في كل المجالات : (ولابد أن اسجل هنا بيقين كامل إن المسلم في كل عصر أجدر الناس بفهم مفاصل العملية التنموية الاجتماعية الحضارية، ولا سيما اليوم، لا في كلياتها فحسب بل وحتى في جزئياتها الدقيقة).[1]

إنّ الحقائق المؤكدة توضح في هذا العصر إن المجتمع الإسلامي اليوم لا بدّ أن يدرك تماماً أنه يعيش زمناً يحتدم فيه الصراع الحضاري بين الأمم بدرجة كبيرة، وإنها قضية مصيرية في إثبات الوجود، وهذا الصراع ليس عسكرياً أو سياسياً فحسب، بل كانت هذه واحدة من نتائج صراع حضاري كبير، تمثل التنمية فيه قدرة أي مجتمع على الاحتفاظ بأسباب نجاحه، و من أهم مقومات البقاء والانتصار، وهواجس التنمية في الإسلام تخاطب عقل ونفس الإنسان وروحه وغرائزه لتصل به في النهاية إلى مركز للطاقة على أتم الاستعداد لكي ينمو ويبني حياة حرة كريمة، يقول الله تعالى :((لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)) (سورة قريش)، فحصول الإنسان على متطلبات حياته الرئيسة هي من أهم أهداف الإسلام لتنمية الحياة البشرية : (الإطعام من جوع والأمن من خوف، هما العنصران

[1] د. محسن عبد الحميد ، الاسلام والتنمية الاجتماعية، مصدر سابق، ص 74.

الأساسيان في أهداف التنمية في الإسلام، والإطعام ليس من شبع ولكن من جوع ، والأمن ليس من غفلة ولكنه أمن من خوف ، وحالتا الجوع والخوف هما المقابلتان لحالتي (الترف والغفلة) والإسلام يكرهما، قال تعالى: ((وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)) (سورة الاسراء، آية: 16) وكلاهما الترف والغفلة تؤديان إلى هلاك الحضارات وزوال المجتمعات).[1]

المبحث الثالث

إدارة المرأة الاقتصاد الأسرة والمساهمة في زيادة الادخار والتنمية الاسرية

المطلب الأول: إدارة المرأة الاقتصاد الأسرة.

هناك عوامل مختلفة ومتنوعة تتحكم في اقتصاد الاسرة ومدى اسهام الرجل والمرأة في ادارة هذا الاقتصاد، منها العامل الديني الذي فرض القوامة العامة ومنها الانفاق على المرأة والأسرة، على الرجل، كما في قوله تعالى:((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم)) (سورة النساء، من الآية:34) فإذا لم يؤدِّ الرجل ما كلفه به الله تعالى من القضايا المتعلقة بالقوامة من نفقة على الأسرة، فإن الحق في ذلك يُسلب منه، وعندها يجوز للمرأة فسخ النكاح بالوسائل الإسلامية المشروعة، فالقوامة في الآية القرآنية الكريمة ربطت القوامة بالإنفاق، كما أن تفضيل الرجل على المرأة بالقوامة لا تعدّ قاعدة عامة لكل الحالات، فهناك العديد من النساء اللاتي يتفوقن على أزواجهن بالقدرة المالية أو بالعلم، أو بالدين، أو بالعمل، أو بالحكمة وغيرها، فقوله تعالى خصّ تفضيل بعض الرجال دون تفضيل جميعهم:(بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ).

في الجانب الاجتماعي والعرفي يعني ذلك: أنه ليس هناك قانون عام يمكن تطبيقه أو اللجوء إليه لاتخاذ القرار الصائب في مسألة إدارة دخل الأسرة وتدبير الانفاق اليومي على شؤونها، فلا يبقى أمام الزوجين إلا التعامل مع هذا الموضوع تعاملا واقعيا، ما دام المال يعد طرفاً مؤثراً في حياة كل أسرة، وهنا لابد من توافر جانب الثقة بقدرة كل من الرجل والمرأة على التعاون وتأدية المهمات المالية للأسرة، ففقدان ثقة الرجل بقدرة زوجته على التعامل المناسب مع دخل الأسرة يماثل عدم ثقته بها في تربية أبنائه، مع الاهمية القصوى لموضوع التربية، كما أن فقدان الثقة بالآخر في موضوع المال يؤدي حتماً إلى خلاف اجتماعي منفر ومستمر، لابد ان يدرك الزوجان عواقبه.

[1] د. سيد دسوقي حسن ، دراسة قرآنية في فقه التجدد الحضاري ، القاهرة، 1999، ص 13.

ومن هنا ننطلق من حديث رسول الله (□): ((والمرأةُ راعيةٌ في بيت زوجها ومسئولةٌ عن رعيتها...))[1] الذي يثبت أن المرأة هي المدبرة والمديرة الأولى للمنزل اقتصادياً، كما ثبت عرفاً أن النساء أحرص وأدق في الانفاق المنزلي من الرجل، لهذا فمن واجب الرجل فسح المجال للمرأة، وتمكينها من هذه الادارة ومساعدتها في تنفيذ خطتها في اقتصاد الأسرة، كما يجب على المرأة العناية بهذه المهمة وتطوير امكاناتها من خلال:

1/ إكتساب المهارات المنزلية المساعدة في الانفاق: الزوجة الذكية لا تكتفي بما تعلمته في المدارس والجامعات مما لا يمكن الاستفادةُ منه إلا عبر وظيفة ما، فالزوجةُ الفطنة تحرص، إلى جانب تعليمها النظري، على اكتساب حرفة أو مهنة تكون عونا لها في أوقات الأزمات والشدائد التي يمكن أن تلم بزوجها أو بيتها، ومن ميزات الحضارة المعاصرة : أنها أوجدت فرصًا أكثر للعمل، فقد صار هناك الكثيرُ والكثير من المهن والحرف والصناعات التي يمكن اكتسابها وإتقانها في بضعة أسابيع، سواء في مجالات الدعاية والإعلان، أو الحاسوب، أو الاتصالات، أو الصيانة، أو غير ذلك من الأعمال.[2] وفي ذلك قال تعالى: ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...)) (سورة القصص، من الآية: 77)).

2/ التوسط في الإنفاق وحسن التدبير: وهو المقصود من قوله تعالى: ((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا)) (سورة الاسراء، آية:29) فحسن استغلال المال وتدبير دخل الاسرة وعدم تبذيره، أولى بالحفاظ عليه وزيادته، ولأن ربة المنزل هي المكلفة بتدبير شؤون الاسرة مالياً، فعليها تقع هذه المسؤولية المهمة.

والزوجة الفطنة الواعية تكون بطبيعتها مقتصدة في الانفاق، فتبحث عن أفضل وأنفع الوسائل لحسن استخدام ما لديها من المال، لتعين أسرتها على مصاعب العيش، ثم لتحسين وضعهم المعاشي، وكذلك مساعدتهم على تقلبات الأيام وطوارئ الزمان، وبذلك تسهم بفاعلية في زرع السرور والاطمئنان في أفراد أسرتها[3].

3/ تقليل النزعة الاستهلاكية: وهذا من واجبات المرأة المهمة للحفاظ على دخل الأسرة، بعد أن تحول الإنسان المعاصر إلى مستهلك كبير، وصار رفع مستوى المعيشة هدفه الرئيس، وأصبحت الحياة ترتبط بالمزيد من الاستهلاك؛ للحصول على المزيد من المتعة، وقد توالت الضغوط المالية على ميزانية الأسرة، مما زاد من حجم

---

[1] من حديث طويل رواه البخاري

[2] ينظر: د. عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في زمانه الصعب، دار القلم ، دمشق، ط 1، 1421هـ–2000م.

[3] ايناس احمد السليمي، الدور الاقتصادي لربة الاسرة العاملة السعودية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2008، ص 67 وما بعدها.

الأعباء الاقتصادية على أفرادها نتيجة الارتفاع العام في مستوى الأسعار لكثير من السلع؛ مما شكّل ضغطًا على ميزانية الأسرة[1]، فأن لم تستطع المرأة وهي ربان المنزل الاقتصادي والموجه المالي للأسرة، السيطرة على هذه النزعة الاستهلاكية ضاعت أموال الاسرة وتشتت جهود افرادها فيما لا ينتفع منه أو يحقق لهم مصلحة منشودة.

المطلب الثاني: أثر المرأة في تنمية الادخار للأسرة

واجب المرأة في الأسرة له جانبان: المعنوي والمادي، فالمعنوي يتمثل: بالعلاقات الإنسانية الحميمة بين أفرادها: من محبة، وتعاطف، ورغبة في التعاون والتكافل والتضحية، ويتمثل الجانب المادي: بتوفير حاجات الأسرة المادية، كدخل الأسرة وإنفاقها، والغذاء والملبس والصحة والتعليم وغيرها، فلا بد من إدارة ذلك كله بحكمة ووعي، تستند إلى ثقافة يمكن أن نسميها بثقافة الاقتصاد المنزلي والادخار، الذي يحتاج بدوره إلى وسائل في مهمة لترشيد الإنفاق، وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وإدارة واعية يقع عاتقها على المرأة، وبخاصة في هذا العصر الذي أصبحت الأسرة فيه تقوم على التعاون بين أفرادها في كل ما يخصها[2].

ويظهر دور المرأة في تنمية الأسرة من خلال التدبير الذي تقوم به عن طريق الادخار فهي تعد صمام الامان في أسرتها لأنها؛ تعمل على صيانة الأمن الاقتصادي لأسرتها من خلال ادخار الجزء الفائض عن حاجة الاسرة الذى يتحول بعد ذلك إلى استثمار عندما توفر الفرص فما هو الادخار؟

أولاً: الادخار لغةً: وهو على وزن افتعال، وهو من الذخر" 3. وجاء معنى الادخار من الملاء، فيقال: ذخر القربة ماءً، إذا ملأها بالماء4. كما وجاء الادخار بمعنى الاخفاء فقد ورد ذلك في قوله تعالى:{ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ}[5] ومعنى وما تدّخرون، أي: ما ترفعونه أي وتخفون[1]. كما يأتي الادخار بمعنى

---

[1] ينظر: د. زيد بن محمد الرماني، الضربات المالية على ميزانية الأسرة، موقع الالوكة: https://www.alukah.net

[2] ايناس احمد السليمي، الدور الاقتصادي لربة الاسرة العاملة السعودية، مصدر سابق، ص 68.

[3] جمال الدين، محمد بن مكرم بن منظور (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار الفكر، مادة ذخر،302/4.

[4] ينظر: أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ) جمهرة اللغة، بيروت، دار العلم للملايين، ط/1، 1987م، مادة ذخر581/1. أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، (ت: 770) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة ذخر، 207/1.

[5] سورة آل عمران، الآية: 49.

الاحتفاظ بالشيء لحين الحاجة إليه[2]، لقول النبي(□): ((كنت نهيتكم من ادخار لحوم الأضاحي لأجل الدافة[3]، ألا فكلوا وادخروا))[4] .

ثانياً: الادخار اصطلاحاً: هو ذلك الفرق الحاصل بين ما يحصل عليه الفرد من دخل، وبين ما يلزم إنفاقه على استهلاكه الخاص[5]. ولعل أفضل تعريف لمفهوم الادخار: هو : ذلك الجزء من الناتج القومي الصافي الذي لم ينفق على الاستهلاك" [6]. ويقسم الادخار على نوعين: النوع الأول: ادخار الأفراد: وهو قيام الأفراد بقرار الادخار من تلقاء أنفسهم دون أي تدخل من عوامل خارجية كسلطة أو دولة أو غير ذلك.

---

[1] ينظر: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري(ت: 310هـ)، تفسير الطبري المسماة جامع البيان في تأويل القران، ط1، دار الكتب العلمية، 1992م: 279/3.

[2] أنيس، إبراهيم، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد حلف الله محمد، المعجم الوسيط، دار الفكر، مادة ذخر،309/1.

[3] الدافة: هم مجموعة من الضعفاء والمساكين الأعراب الذين كانوا يدفعون إلى المدينة للمواساة، أي يأتونها على شكل جماعات يدف بعضهم بعضا، أي يسيرون سيرا خفيفا، من اجل أخذ لحوم الأضاحي، فلما انتشر الإسلام بين الأعراب في المدينة لم يعد هناك مسوغ للدف نحو المدينة؛ لأن الأعراب صاروا يضحون، فلم تعد بهم بحاجة لهم في المدينة. ينظر: محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، عون المعبود شرح سنن ابي داود، كتاب الضحايا، باب 10 في حبس لحوم الأضاحي، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ–1990م، حديث رقم (2810)، 7/8.

[4] أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، النيسابوري (ت 261هـ)، في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله □، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النبي عن أكل الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام، وبيان نسخه وإباحته إلى متى تشاء، حديث رقم (1971)، 1561/3. وأخرجه محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت 279هـ)، في سنن الترمذي، كتاب أبواب الأضاحي، باب ما جاء في الرخصة في أكلها بعد ثلاث، تحقيق و تعليق، احمد محمد شاكر، مصر، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط2 ، 1395هـ– 1975م، حديث رقم (1510)، 4/ 94، قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح.

[5] ينظر: حسن، الهادي احمد، الادخار في النظام الإسلامي، مجله العلوم والبحوث الإسلامية، جامعه السودان للعلوم والتكنولوجيا، ط2، 2011م: ص2.

[6] الفولي، أسامة محمد، وآخرون، أساسيات الاقتصاد السياسي، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 1998م: ص95.

النوع الثاني: ادخار الدولة: وهو أن تعمد الدولة إلى ادخار بعض المبالغ في ميزانياتها من خلال ضغط النفقات لتحقيق فائض في الميزانية للقيام بتغطية بعض النفقات الطارئة التي لم يحسب حسابها في الميزانية [1].

ومع أن الإسلام يحث على الادخار إلا أنه قد نبه إلى ضرورة الوسطية والتوازن لقوله تعالى: ((وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً)) (سورة الاسراء ، آية: 29) ويمكن تلخيص مفهوم الادخار: بأنه الاحتفاظ بِجُزء من الدخل للاستخدام في المستقبل.

المطلب الثالث: مساهمة المرأة في التنمية الأسرية

تؤدي المرأة دورًا محوريًا في النهضة قديماً حديثاً وأثبتت قدرتها على التغيير الإيجابي في المجتمع، فكانت حاضرة في مختلف جوانب الحياة وأكدت على ذلك من خلال وقوفها بجانب الرجل ومساندتها له فهي عنصرًا أساسيًا في إحداث عملية التغيير في المجتمع، وأن المرأة هي التي تسعى فعلياً إلى تفعيل دورها في المشاركة في جوانب الحياة (2).

وتعد مساهمة المرأة في التنمية هو نهج لمشاريع التنمية التي تطالب بمعالجة قضايا المرأة في مشاريع التنمية بدمجها في الاقتصاد العالمي لتحسين وضعها ومساهمتها في التنمية الشامل. مما جعل نظرية الاقتصاد تقوم على أساس الحاجة فهي التي تقرر في صورة فرض الحق غير المشروط لكل فرد، بأن يحصل على خبزه اليومي، وهو رأي المفكر الإسلامي مالك بن نبي [3] الذي يرى بأن العمل واجباً يومياً فلقمة العيش حق لكل فم، والعمل واجب على كل ساعد سواء كان لرجل او امرأة للعيش الكريم. ثم أن النظريات التي كان مفادها بقاء المرأة في البيت دون مزاولة اي عمل آخر معه قد تلاشت والتي كانت تعتقد بأن المرأة إذا عملت عملا اضافياً فشلت

---

[1] ينظر: فالح بن عبد الله بن محمد الحقباني، الادخار العائلي وأثره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي مع دراسة تطبيقية على المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1999، ص23.

[2] ينظر: المساهمة الاقتصادية المرأة في المملكة العربية السعودية، نادية باعشن، ورقة عمل مقدمة لمنتدى الرياض الاقتصادي الثاني، المنعقد في الفترة من 4-6 ديسمبر، 2005م، ص 51.

[3] مالك بن بني: مفكر إسلامي جزائري، ولد في مدينة قسنطينة سنة1905م ودرس القضاء، ثم تخرج مهندسا ميكانيكيا في معهد الهندسة العالي بباريس، وتولى إدارة التعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي الجزائري (1964م) وتوفي ببلده 1973م. الاعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط/15، 2002م.

في ادارة بيتها او تربية أبنائها ففي مثل هذه الحالة فأن من المؤكد أن المكان الانسب لها هو بيتها وتربية أبنائها لكن؛ لا مانع من عملها إن هي استطاعت التوفيق بين العمل والبيت [1] .

ودعم عمل المرأة تشجيعها لحسابها الخاص وقيامها بمشاريع صغيرة عن طريق حصولها على الائتمان ورؤوس الأموال بشروط مناسبة لمساواتها مع الرجل وذلك؛ عن طريق الزيادة التدريجية في نسبة المؤسسات المكرسة لتشجيع تنظيم المشاريع، بما في ذلك نظم الائتمان غير التقليدي، ونظم الائتمان المتبادل، فضلاً عن إقامة روابط مبتكرة مع المؤسسات المالية[2].

وتعد المرأة ركناً اساسياً من أركان المجتمع؛ لإعادة إنتاج القيم والمبادئ الاساسية للمجتمع من خلال دورها الكبير البناء الاسري، والاجتماعي، والاقتصادي، وقد ضمن لها الاسلام حقها في حرية التصرف بأموالها فلها أن تبيع وتتاجر، وتعقد الصفقات، ولها الحق في حرية كسب المال بالطرق المشروعة[3].

خلاصة القول:

كما تسهم المرأة في تعزيز دور الزوج في الأسرة من خلال التعامل معه بالاحترام والتقدير وتقديم العون ومساعدته في أموره الحياتية المختلفة، ويظهر دورها المهم عند الوقوف إلى جانب زوجها في الأزمات من خلال تقديم المشورة والرأي النافع الذي يفيده في تدبير أموره وحل مشاكله، وتعينه من خلال حفظ ماله وسرّه، وتدبير أمر أسرتها بالاقتصاد في بعض الأمور لتوفر ما يلزم الاسرة، وتهون عليه المصاعب بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة التي تشعره بالارتياح والاطمئنان في بيته وبين أفراد أسرته، وبالإضافة الى ذلك فأن الكثير من النساء من تعين زوجها في الانفاق وتقدم له العون المادي حتى وأن لم يطلب ذلك فهي تقدمه بدافع الحب والحرص للمحافظة على تقوية أواصر الاسرة وحفظها من الضعف والتفكك، وكذلك مساهمتها في دورها كأم في تقديم الدعم العاطفي للأولاد بشكل أكبر من الاب بحكم تواجدها معهم أكثر منه.

المبحث الرابع

تمكين الإسلام للمرأة في تنمية الواقع الاقتصادي للأسرة

---

[1] ينظر: المسلم في عالم الاقتصاد، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت: 1393هـ)، دار الفكر، دمشق، 2000م: ص24 .

[2] ينظر: دراسة للجهاز المركزي للإحصاء التابع لوزارة التخطيط – العراق، تمكين المرأة، بيئة مساعدة وثقافة داعمة – ص94.

[3] ينظر: حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة، مرزوق بن هايس الزهراني، ط/1، 2007: ص45.

تتمتع المرأة في الإسلام منذ أربعة عشر قرناً بشخصيتها الاقتصادية المستقلة وحريتها الكاملة في التصرف بأموالها دون إذن زوجها فهي كالرجل سواء بسواء، فمنحتها الشريعة الاسلامية الحق في أن تبيع وتُتاجر وتعقد الصفقات وتؤجر البيوت وترهنها، ولها الحق في أن تمتهن أي مهنة تحبها وتختارها، ولها أن تنتخب وتُنتخب في أي مجلس تشريعي أو سياسي أو اقتصادي، ولها أن تتولى القضاء بل لها أن تفتي في الناس بأحكام الشريعة إذا كانت عليمة بها، مثلما كانت السيدة عائشة أم المؤمنين(رض) تفتي الصحابة في المسائل التي عرفتها وغابت عنهم، فقد أجاز الدين الإسلامي عمل المرأة في كافة المهن بما يصون كرامتها ولا يسيئ اليها، وقد أثنى الله على من يتلقى أجراً نظير عمل، فالعاملون والعاملات لهم عند ربهم أجر عظيم، وفضلاً عن ذلك فإن الله يساوي بين الجنسين لقوله تعالى: ((من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)) (سورة النحل، آية: 97). كما أكدت السنة النبوية الشريف على مساواة المرأة بالرجل لقوله(□) يقول:((إِنَّما النِّساءُ شَقائِقُ الرِّجالِ))[1]، فالمرأة في الشريعة الاسلامية مساوية للرجل في الحقوق والواجبات داخل الأسرة وخارجها.

عند محاولة تمكين المرأة يجب أن نضع دائما أمامنا ما اعتبره الشارع من مقاصد في أحكام المحافظة على فطرة المرأة، ومراعاة اختصها الله به من رعاية أبنائها، والحفاظ على بناء الأسرة ذلك هو مجال عملها الحقيقي، دون إغفال ما تقتضيه الضرورة الظرفية من الخروج للعمل عند الحاجة، كفقدان العائلة، وتحسين مستوى المعيشة، سد شواغر في الاختصاصات النسائية التي يحتاجها المجتمع. والإسلام لا يمنع عمل المرأة حسب الضوابط الشرعية من الاحتشام وعدم الاختلاط غير المبرر مع الرجال. ومن يطالع التاريخ الاسلامي والسيرة النبوية الشريفة، يجد السيدة خديجة(رض) زوجة الرسول الكريم (□) كانت امرأة صاحبة مال وتجارة حتى جاء في السيرة انها "كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم وكانت قريش قوما تجاراً فلما بلغها عن رسول الله (□) ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله (□) منها وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام. ثم باع رسول الله (□) سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلاً إلى مكة وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته فلما أخبرها ميسرة مما أخبرها به عن رسول الله

[1] سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: 275 هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط/1، 1430-2009. (حديث:236، 171/1) حكمه حسن لغيره.

(□). عرضت عليه نفسها وكانت خديجة(رض) يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه"[1].

كما كانت السيدة زينب بنت جحش(رض) تعمل بيدها فتدبغ الجلود (وتنظم الخرز) وجاء عنها في الأثر:"كَانَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةً صَنَاعَ الْيَدِ فَكَانَتْ تَدْبَغُ وَتُخَرِّزُ وَتَتَصَدَّقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[2].

وزوجات خير البرية كن يعملن من اجل كسب المال الازم لآمور الحياة، كذلك كانت زوجات الصحابة الكرام منهن السيدة "رائطة امرأة الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود(رض) إنها كانت امرأة صنعاء اليدين تصنع بيديها فتبيع من ذلك فكانت تنفق على عبد الله وعلى ولده"[3].

وذكر في كتب السيرة بأن الإسلام لم يمنع عمل المرأة واعانتها لأسرتها فكان العمل مباحاً لها، وتعد المرأة مسؤولة عن اسرتها في حال فقر الزوج او غيابه.

خلاصة القول:

أن كل الاعمال المباحة التي تقوم بها المرأة التي تدر عليها المال لسد حاجاتها وهو افضل بكثير ممن امتهن التسول في الشوارع والاماكن العامة بعد الحروب، فالسماء لا تمطر ذهباً على احد؛ بل يحتاج تعب وكد لجلب الرزق، والتمكين الاقتصادي يعزز الانتعاش الاقتصادي، عن طريق توفير ظروف عمل لائقة للمرأة بدعم الجهود لزيادة الدخل وتحسين ظروف العمل اللائق؛ من أجل التعاون وجمع الموارد، وأكد الله تعالى على الكسب الحلال في المعيشة في قوله تعالى: ((فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)) (سورة الجمعة، آية: 10).

كما جاء في الأثر عن طلب الرزق:" لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وإن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض"[4]. وان تبنى مفهوم تمكين المرأة

---

[1] تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، دار المصطفى، دمشق، 2020، 51/1.

[2] الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت:230 هـ) المحقق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/1 ،2001م:105/10.

[3] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري(ت: 1414هـ) إدارة البحوث العلمية ، الهند، بنراس، ط/3 ،1984، 165/6.

[4] ينظر: العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ،المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ)، دار الكتب العلمية ، ط/1، بيروت،1404هـ:342/2.

حيث من الشؤون الإجرائية الأساسية التي تعالج قضايا حقوق الإنسان والتنمية، حيث تشير التنمية البشرية، وأسلوب الإمكانيات وأهداف التنمية، والأهداف الموثوقة إلى أهمية تمكين المرأة ومشاركتها من الخطوات الضرورية التي يجب اتخاذها إذا أرادت الدول أن تغلب على العقبات المرتبطة بالفقر والتنمية. ويعد تمكين المرأة باختصار عملية للتخطيط لمساعدتها ودعمها لنفسها ولمن تعوله في وقت الازمات من اجل الحصول على العيش الكريم.

نتائج البحث:

1/ الاقتصاد الإسلامي يعدّ مذهباً فكرياً ومنهجاً عملياً من حيث المبادئ والأُسس التي تحكمه وهي واردة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

2/ من أسس بناء الأسرة الناجحة: حسن الاختيار، المحبة والاحترام المتبادل بين الزوجين، وأداء الحقوق الزوجية.

3/ إنّ الحقائق المؤكدة توضح في هذا العصر إن المجتمع الإسلامي لا بدّ أن يدرك تماماً أنه يعيش زمناً يحتدم فيه الصراع الحضاري بين الأمم بدرجة كبيرة.

4/ واجب المرأة في الأسرة له جانبان: المعنوي والمادي، فالمعنوي مثل: العلاقات الإنسانية الحميمة كالمحبة، والتعاطف، والتضحية، ويتمثل الجانب المادي: بتوفير حاجات الأسرة المادية، كدخل الأسرة وإنفاقها.

5/ الإسلام لم يمنع عمل المرأة، واعانتها لأسرتها، وتعد المرأة مسؤولة عن أسرتها في حال فقر الزوج أو غيابه.

المصادر

- القرآن الكريم

1. صونيا عابد، التحليل الاقتصادي الجزئي، الجزائر، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 26، عدد 1، 2010–2011.
2. تقي الدين النبهاني، النظام الاقتصادي في الإسلام، دار الأمة، بيروت، 2004.
3. محمد زكي شافعي، "التنمية الاقتصادية"، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983.
4. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009: تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، نيويورك – الولايات المتحدة الأميركية، 2009.
5. أحمد حسين المشهراوي، تقييم دور المصارف الإسلامية في التنمية الاقتصادية في فلسطين، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، 2003.

6. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط/2، 1988.
7. نصير احسان عبد الله، التسول ووسائل معالجته في الاقتصاد الاسلامي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، 2017.
8. أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1380هـ.
9. ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت:711هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، ط/3، بيروت، 1414هـ.
10. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت، دار المعرفة، د/ط، 1379م.
11. عبد المحسن حمادي، مدخل على أصول التربية، الكويت، المركز العربي للإعلام، بلا سنة طبع.
12. وهبة الزحيلي، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، سوريا، دار الفكر، 2008.
13. رولا محمد الحيت، المفردات القرآنية في موضوع الأسرة: دلالاتها الفقهية وامتدادها الاجتماعي، منشور ضمن أعمال الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، المعهد العلمي للفكر الاسلامي، لندن، 2015.
14. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311 هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني تصوير: د. محمد زهير الناصر، ط/1 عام 1422هـ، دار طوق النجاة – بيروت.
15. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:1250هـ) فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط/1، 1414هـ.
16. الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط/2، 1384هـ- 1964م.
17. سنن الترمذي، حمد بن عيسى بن الضحاك ابو عيسى الترمذي،(ت:279هـ)تحقيق احمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي ،ابراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط/2، مصر، 1975م
18. الامم المتحدة، اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا، السكان والتنمية في الشرق الاوسط، بغداد، 1985.
19. د. يوسف الشريدة ، واقع ومستقبل التنمية الانسانية في العراق، بغداد، 2006.

20. د. محسن عبد الحميد، الاسلام والتنمية الاجتماعية، بغداد ، 1989.
21. د. أياد محمد صالح، التعليم والتنمية ، مجلة نداء الحرية، العدد الاول، أيلول، 2006.
22. د. سيد دسوقي حسن ، دراسة قرآنية في فقه التجدد الحضاري ، القاهرة، 1999.
23. د. عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في زمانه الصعب، دار القلم ، دمشق، ط/1، 1421هـ– 2000م.
24. ايناس احمد السليمي، الدور الاقتصادي لربة الاسرة العاملة السعودية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 2008.
25. أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد (ت 321هـ) جمهرة اللغة، دار العلم للملايين، ط/1، بيروت، 1987م.
26. أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، (ت: 770) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو770هـ)، بيروت، المكتبة العلمية.
27. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري(ت: 310هـ)، تفسير الطبري المسماة جامع البيان في تأويل القران، ط/1، دار الكتب العلمية، 1992م.
28. أنيس، إبراهيم، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد حلف الله محمد، المعجم الوسيط، دار الفكر.
29. محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، عون المعبود شرح سنن ابي داود، كتاب الضحايا، باب 10 في حبس لحوم الأضاحي، دار الكتب العلمية، ط/1، 1410هـ– 1990م.
30. النيسابوري مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، (ت:261هـ)، في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
31. محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت:279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق، احمد محمد شاكر، مصر، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط/2، 1395هـ– 1975م.
32. حسن، الهادي احمد، الادخار في النظام الإسلامي، مجله العلوم والبحوث الإسلامية، جامعه السودان للعلوم والتكنولوجيا، ط/2، 2011م.

33. الفولي، أسامة محمد، وآخرون، أساسيات الاقتصاد السياسي، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 1998م.

34. الحقباني، فالح بن عبد الله بن محمد، الادخار العائلي وأثره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي مع دراسة تطبيقية على المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1396–1415هـ.

35. نادية باعشن، المساهمة الاقتصادية المرأة في المملكة العربية السعودية، ورقة عمل مقدمة لمنتدى الرياض الاقتصادي الثاني، المنعقد في الفترة من 4–6 ديسمبر، 2005م.

36. . خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الاعلام، دار العلم للملايين، ط/15، 2002م.

37. مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت: 1393هـ)، دار الفكر، دمشق، 2000م.

38. دراسة للجهاز المركزي للإحصاء التابع لوزارة التخطيط – العراق، تمكين المرأة، بيئة مساعدة وثقافة داعمة.

39. مرزوق بن هايس الزهراني، حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة، ط/1، 2007.

40. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: 275 هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط/1، 1430–2009.

41. عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، دار المصطفى، دمشق، 2020.

42. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت:230 هـ) المحقق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/1 ،2001م.

43. أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله الرحماني المباركفوري(ت: 1414هـ) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية، ط/3، الهند– بنراس،1984م.

44. أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ،المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية ، ط/1 ، بيروت،1404هـ.

45. د. زيد بن محمد الرماني، الضربات المالية على ميزانية الأسرة، موقع الالوكة: https://www.alukah.net

Tahir Mohammad Khalifa; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 117-147

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal
A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota /USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

السلم بين مقاصد الشريعة والمواثيق الأممية

The Peace between the Purposes of Shariah Law and UN Conventions

د. طاهر محمد خليفة

دكتوراه في أصول الفقه

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Original Research Article

*Corresponding author
Tahir Mohammad Khalifa

Article History
Received: 18.07.2023
Accepted: 28.08.2023
Published:.20.09.2023

المستلخص

يهدف إبراز مبادئ وقيم ومقاصد للسلم في الشريعة الإسلامية مما تفتقدها المواثيق الأممية، واعتمد على المنهج الاستقرائي في جمع المعلومات عن موضوع الدراسة وتحليلها وتفسيرها واستخلاص دلالتها بما يحقق أهدافها. فتوصل الباحث إلى: أن مبادئ السلم وقيمه ومقاصده في الشريعة هي قوانين ذات أصل سماوي، دعت إليه الشريعة الإسلامية على كافة مستوياتها العقدية والتعبدية والسلوكية التشريعية، وأن صد العدوان أصل دعت إليه الكثير من التشريعات، وأن العهود والمواثيق جاءت لرعاية هذا السلم وتحقيقه، وأن الإسلام سابق في وضع قواعد ومبادئ ومواد قانونية في تحقيق وحفظ السلم، وأن الدعائم التي يستند عليها السلم في الإسلام كل متكامل، وأن الإسلام يقيم العلاقات الدولية في السلم والحرب على قاعدة أخلاقية وغاية هي نشر الدين والعقيدة وتحقيق العدل الإلهي، فليس للمصالح الذاتية والطبقية، وحب التسلط والقهر والأنانية مكان في ذلك، وأن الإسلام يربط الجزاء الدنيوي بالأخروي، وهو واضح في تشريعات العقوبات على الجرائم المخلة بالسلم، وبيان الوعيد على نقض العهود والمواثيق، وهذا ما يفقد في المواثيق الدولية، فلا مكان فيها للضمير والرقابة الذاتية، ولذلك قد تعجز عن تحقيق السلم عند انحياز دولة ما لمصالحها في استمرار الحرب وأن دعوة الإسلام للسلم واقعية ومحققة وقد أثمرت نتائجها على أرض الواقع في عصر سيادته على العالم، بعكس ما نراه من عجز مواثيق هيئة الأمم من تحقيق واقعي للسلم الدولي. كما يوصي الباحث بمزيد من الدراسات من هذا النوع لإبراز محاسن السلم في الشريعة، وإيصالها للرأي العام العالمي.

الكلمات المفتاحية: سلم ـ دولي ـ مبادئ ـ مقاصد ـ شريعة ـ مواثيق ـ أممية

المقدمة:

لا شك أن السلم ضرورة إنسانية، ومطلب الشعوب،، وبغية الأمم بنيت عليه جميع مصالح البشر الأمنية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وقد سعت لأجله الأديان والدول والمنظمات الدولية والإقليمية، فوضعت مبادئ وأسسا ونظما ومقاصد تسعى لتحقيق السلم في المجتمعات البشرية، كما تعهدت بالالتزام بها في حالتي السلم والحرب.

بيد أنه في العقدين الماضيين برزت أزمات دولية، وصراعات واسعة النطاق ألحقت أضرارا كبيرة بالمجتمعات البشرية، سقطت من خلالها أنظمة قائمة، وشردت مجموعات بشرية مستقرة، وهددت الأمن والسلم الدوليين، وبقيت تلك دون معالجة ناجحة.

فتلك الأزمات كشفت للرأي العام العالمي عن أزمة حقيقية تعاني منها منظومة السلام العالمي، والقائمون عليها في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وبرهنت على فشله الذريع في أداء المهام المناطة بها لحفظ السلام الدولي، بل وانشغال المسؤولين عنها بمصالح ضيقة على حساب حقوق شعوب وأمم مقهورة وضعيفة، فيتساءل المرء أين الخلل وكيف يمكن علاجه ؟

وقد سبقت الشريعة الإسلامية كل تلك المواثيق بمبادئ ذات أصل سماوي عادل، وبمقاصد واضحة لتلك المبادئ والقوانين، تربطهما بالعقيدة والضمير والرقابة الذاتية والأخلاق، مما له أثر إيجابي مباشر على المجتمعات البشرية، كما تتضح نتائج ذلك جليا على أرض الواقع في عصر سيادتها على العالم، بعكس ما نراه من عجز مواثيق هيئة الأمم من تحقيق واقعي للسلم الدولي.

فقد قام هذا البحث بمقارنة موجزة حول المبادئ ومقاصدها لتحقيق السلم الدولي بين الشريعة الإسلامية ومواثيق الأمم المتحدة ذات الصلة، بعنوان "السلم بين مقاصد الشريعة والمواثيق الأممية" ساعيا للرد على التساؤلات الواردة على السلم الدولي القائم، سائلا المولى التوفيق والسداد.

مشكلة الدراسة:

عالمنا اليوم يشهد صراعا دوليا على مصالح آنية وخاصة، ومخلا بالسلم الدولي، مع وجود منظومة قوية لحفظ السلم الدولي، وتسخير الإمكانيات الهائلة لذلك، كما أثبتت الأحداث الناتجة عن ذلك الصراع على الأرض عجز تلك المنظومة وضعفها في تحقيق السلم المنشود.

فهل ذلك لخلل وقصور في المواثيق الأممية لحفظ السلم الدولي ؟

وهل منظومة السلم في الشريعة الإسلامية يمكنها تحقيق ما عجزت عنه المواثيق الدولية ؟

وهل هناك مثال واقعي متحقق لمنظومة السلم في الشريعة الإسلامية حققت السلم الدولي للبشرية ؟

هدف الدراسة:

إبراز مبادئ وقيم ومقاصد السلم في الشريعة الإسلامية مما تفتقدها المواثيق الأممية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

- **الكشف عن مراحل التشريع الإسلامي وتطوره في السلم.**
- **إبراز مبادئ وقيم ومقاصد السلم الدولي مما تفتقده المواثيق الدولية.**
- **إبراز نموذج واقعي ومتحقق للسلم في عصر سيادة الإسلام على العالم.**

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج النوعي القائم على النمط الاستقرائي في جمع وتحليل المعلومات عن موضوع الدراسة وتحليلها وتفسيرها، واستخلاص دلالتها بما يحقق أهداف الدراسة.

الدراسات السابقة:

الناظر في المكتبة الشرعية سيجد جملة من المؤلفات التي تتحدث عن مبدأ السلم أو السلام على ضوء نصوص القرآن والسنة، وقليل منها تحدث عن السلام من منطلق مقاصدي، ووفق منهجيات النظر المقاصدي، وأقل من ذلك المؤلفات التي عقدت المقارنة بين السلام في مقاصد الشريعة ومنهج رعايته فيها، وبين القوانين الدولية.

ومن الكتب التي تحدثت عن السلام أو السلم عموما في ضوء نصوص القرآن والسنة:

1. **كتاب: "السلم والحرب في الإسلام" للأستاذ عبد العزيز زهران.**

وهو كتاب متوسط نسبيا تقارب صفحاته المائة، تحدث فيه المؤلف عن السلم وأنه الأصل في الرسالة المحمدية ويسوق مجموعة من الأدلة من القرآن والسنة وبعض المواقف من السيرة النبوية، وطبيعة الدعوة المحمدية من حيث المضمون والتعاليم ومن حيث طريقة دعوته وبلاغه.

ويجنح إلى أن الحرب كانت ضرورة وفق ربطه لبعض الآيات المتعلقة بالجهاد وحديث القرآن عن أسباب الحرب، وناقش قضية هل الأصل في الإسلام الحرب أو السلم بصورة مفصلة يقوي ما جنح إليه ويجيب عن أسئلة المعترضين، كما أنه تحدث عن الجندية في الإسلام وصفاتها وقد جعل الإيمان أساس صفات الجندية، وختم بفصل رابع عن التربية العسكرية من خلال سور القرآن.

2. **كتاب: "هذا هو الإسلام" للدكتور مصطفى السباعي.**

وهو كتاب من جزءين، تناول هذا الموضوع في الجزء الأول منه، وقد بدأ حديثه عن السلام بعقد مقارنة بين الديانات ومفهوم السلام فيها، وقد ابتدأ بموقف المسيحية من السلام من خلال نصوص الإنجيل.

ثم انتقل إلى الحديث عن السلام في الإسلام وأصل اشتقاق الكلمة، واستعمالات القرآن لمفردة السلم ومشتقاتها.

وما يميز هذا الكتاب أنه قدم مفهوم السلام في الإسلام في شكل مبادئ يمكن أن تعتبر من باب النظر المقاصدي، لأنه استقرأ جملة من الأحكام الشرعية والتوجيهات القرآنية التي تظهر أن الحكمة والغاية منها تحقيق السلام الاجتماعي والدولي.

كما أنه تحدث عن مفهوم الحرب، وأن من غاياتها حفظ السلام، أو بمعنى آخر أنها شرعت لرعاية السلم، وتحدث كذلك عن نظام الحرب في الإسلام وجملة من التشريعات المتعلقة بها، وواقع الحروب عند المسلمين والأخلاقيات التي التزموا بها في تلك الحروب وما ترتب عليها من الدخول في الإسلام وغير ذلك من العهود والمواثيق.

3. كتاب: "الإسلام والقانون الدولي" للدكتور إحسان الهندي.

وهو من الكتب التي حاولت أن تناقش السلام كمقصد من مقاصد الشريعة، وقد تحدث كثيرا عن المعاهدات في الإسلام.

4. كتاب: "الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب" للشيخ محمود شلتوت.

وانتهج فيه المؤلف منهج التفسير الموضوعي من خلال جمع الآيات التي تحدثت عن السلم والحرب وأنواع المعاهدات، وقد جمع الآيات التي تتحدث عن القتال وبين حكمها وحديثها عن أسباب القتال، مجيبا ومعترضا على من قال أن القتال سببه حمل الناس على الدخول في الإسلام، وربط بينها وبين آيات العفو.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: التعريفات والمفاهيم

السلم لغة:

السلم: بفتح السين أو كسرها، معناهما واحد وكلاهما يستخدم بمعنى الإسلام والطاعة والمسالمة والتزام الصلح وترك الحرب[1]، وكلاهما قراءتان متواترتان كما في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:208] فقد قرأ نافع وابن كثير والكسائي بالفتح (السَّلْمِ)، وقرأ الباقون بالكسر (السِّلْمِ).[2]

وتناول كتاب القانون الدولي في الإسلام مفردة السلم:

(السلم: على وزن العلم، مرادف للصلح، ويعني المسالمة وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:208]، وكذلك السَلْم على وزن العقل فإنه يعني المسالمة العادلة والتعايش قال تعالى : ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[الأنفال:61])[3]

السلم اصطلاحا:

يمكن تعريف السلم على أنه اتفاق بين طرفين على إنهاء حالة العداء (الحرب) بينهما بشروط يتفق عليها، أو هو عقد ينهي حالة العداء بين المتقاتلين.

إن مفهوم السلم يدور دوما ضد الحرب، ويحكي عن وضع يسود فيه الأمن والسلام، ويشعر فيه الفرد بالأمان والسكينة والاستقرار.

وفي الموسوعة السياسية :

(هو الجنوح بكافة الوسائل نحو تشجيع السلام والبعد عن الحرب، وهو نشاط تتبعه دولة أو عدة دول للبعد عن الحرب).[4]

أما مفهوم السلم بصورة عامة عند الغرب فلا يختلف كثيرا من هذا الجوهر فقد عرف بعدة مفاهيم منها:

(الابتعاد عن مصدر التوتر ، أو أن نهاية التوتر هي مصدر السلام، والسلام أن تمنع غيرك مما يسبب فعله ضررا للآخرين فإذا منعته فهذا هو السلام بعينه، أو التسلح القوي لمنع غيرك الذي تتوقع منه الإساءة للمجتمع، من إعاقة ما يصبو إليه المجتمع من مبادئ السلام ..)

وهناك مجموعة من المفردات جرت في استخدام الفقهاء مرادفة للسلم مثل: الموادعة، والمعاهدة، والمصالحة، والمراوضة والمتاركة، والمسالمة، والمواضعة، والمقاضاة.

---

[1]() محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، دار العلم للملايين، بيروت (ط: الأولى– 1987م) (858/2). وأحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر (1979م) (90/3)

[2]() محمد فهد خاروف، الميسر في القراءات الأربع عشرة، دار الكلم الطيب، دمشق بيروت (الأولى، 2000 م) ص(32)

[3]() عباس علي العميد الزونجاني، القانون الدولي في الإسلام، أصفهان ، الطبعة الأولى، ص (333).

[4]() د. وضاح زيتون، المعجم السياسي، الأردن–عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع (ط: الأولى–2010م) ص (214).

وأهم مرادفات السلم شائعة الاستعمال في الحديث المعاصر عن السلم هي:

أ- الهدنة: وهي مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معينة بعوض أو بغيره.[1]

ب- الأمان: وهو رفع استباحة دم الحربي ورقه وماله حين قتاله أو العزم عليه مع استقراره تحت حكم الإسلام مدة ما. [2]

ج- الذمة: التزام تقرير الكفار في ديار المسلمين وحمايتهم، والذب عنهم.[3]

د- الموادعة: وهي المصالحة والمسالمة على ترك الحرب والأذى، وحقيقة الموادعة المتاركة، أي يدع كل واحد منهما ما هو فيه.[4]

و- المعاهدة: ميثاق يكون بين اثنين أو جماعتين وهي المهادنة عند الفقهاء، وعرفها بعضهم بأنها : عقد يقوم الفرد أو الدولة بعقده مع طرف آخر.[5]

المبحث الثاني: مشروعية السلم وضروريته

الإنسان بطبعه يميل للركون إلى السلم والسلامة، وكراهية الحرب والقتل والأذى، وهذه الفطرة التي تعيش معه هو ما حملته على تعزيزها بأنواع العهود والمواثيق والأحلاف، وامتلاك أدوات القوة لمنع ما يعكر السلم والأمان.

ولقد استقرت هذه المعاني في عقول وضمائر واتجاهات المسلمين لكون السلم مبدأ من المبادئ التي عمقت الشريعة الإسلامية جذورها في نفوسهم ويعلم ذلك من تتبع واستقراء نصوص القرآن والسنة، ومنهج وطبيعة التشريع الإسلامي.

أولا: القرآن الكريم

ومن تتبع آيات القران وجد أن لفظ " السلم" وما اشتق منه ورد فيما يزيد على 133 آية، بينما لم يرد لفظ الحرب في القرآن كله إلا في ست آيات، ونستطيع أن نؤكد فكرة السلام تحتل المقام الرئيسي بين أهداف

---

[1]() وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية، الكويت، مطابع دار الصفوة، مصر (ط: الأولى- 1427/1404) (230/25)

[2]() الموسوعة الكويتية مصدر سابق (231/25)

[3]() المصدر نفسه.

[4]() الموسوعة الكويتية مصدر سابق (231/25)

[5]() العتيبي، فقه المتغيرات في علائق الدولة الإسلامية بغير المسلمين (331/1)، عفيفي، محمد الصادق، الإسلام والعلاقات الدولية ص (256)

ومقاصد الإسلام العامة، بل يصرح القرآن بأن الثمرة المرجوة من اتباع الإسلام هي الاهتداء إلى طرق السلام والنور ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[المائدة15–16].

ومن أجل هذه الغاية وضع الإسلام هذه المبادئ التالية كأسس ثابتة للسلام:

1– الناس جميعا إخوة مهما اختلفت لغاتهم وأنسابهم وأوطانهم فهم أبناء أب واحد وأم واحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء:1]، وقد كثر في القرآن الخطاب بنسبة الناس جميعا إلى آدم ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:26] ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[الأعراف:27]

بل من تتبع القرآن وجده يقيم علاقات توحد بين كل الكون؛ الإنسان وبقية العوالم. قال تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾[الأنعام:38]

2– المحبة والتعاون وبذل الخير للناس جميعا هو أساس الإيمان الذي يقبله الله، ويتفاضل الناس به عند ربهم ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[المائدة:2]

3– الصفح والتسامح في حقوق الأفراد، ومعاملة المسيء بالإحسان وغير ذلك من مكارم الأخلاق ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾[فُصِّلَت: 34–35]

4– تحريم كل ما يؤدي إلى المشاحنات والعداوات والبغضاء كالغيبة والنميمة والتجسس والاستهزاء والظن السيئ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَ لَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحُجُرات:11–12].

5– الأديان السماوية واحدة في أصولها وأهدافها العامة، وأن الأنبياء والرسل إخوة بلغوا رسالات الله إلى الناس لا يفرق بينهم أحد في إيمانه ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾[آل عمران:144]، فلا ينبغي

أن يكون تعدد الأديان سببا لاقتتال الناس واختصامهم ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:136].

6- تقرير مبدأ التزام المسلمين بالسلم والأمن عندما يعرض الأعداء عن القتال، فليس للمسلمين سبيل على هؤلاء الأعداء قال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾[النساء:90]

7- الأمر بعقد المعاهدات من أجل تحقيق السلم، بل يصرح القرآن بوجوب المصير إليها من غير قيد ولا شرط قال تعالى: ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[الأنفال:61]

بهذا أقام الإسلام صرح الدعوة إلى السلام في نفوس الناس على مبادئ كريمة من الأخلاق الفاضلة والحرية المتسامحة.[1]

اعتراض وجواب:

قد يقول قائل هناك آيات أخرى تفيد أن أصل علاقة المسلمين بغيرهم هي علاقة الحرب الدائمة كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:193]

وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴾ [البقرة:191]

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[التوبة:5]

والجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: الجواب المجمل

إن الآيات المطلقة التي دعت إلى القتال، إن مجموعها يدل على أن القتال محدد بالسبب الأصلي الذي من أجله شرع الجهاد، ألا وهو الهداية حفظا ونشرا، أو ابتداء وإدامة، فوجوب الجهاد وجوب وسائل لا مقاصد، فقتل الكفار فليس بمقصود، فلو أمكن الهداية بغير جهاد كان أولى من الجهاد، ولذلك انحصر الجهاد في واحد من أمرين:

[1]() راجع: الدكتور مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام ، دار ابن حزم، بيروت (ط:1430-2010م) (18/1)

1- دفع العدوان، ونصر المستضعفين في الأرض وهذا المقصد ظاهر في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾[الحج:39]

ووجه الدلالة من الآية أن شرع الجهاد كان بسبب ظلم المشركين لهم.

2- قطع الفتنة وحماية الدعوة وفتح آفاقها بين الناس، وهذا المقصد المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:193]

فإن الآية تفهم وتشير إلى القتال مستمر ما بقيت الفتنة للمسلمين في دينهم وصدهم عنه.

الوجه الثاني: الجواب التفصيلي عن الآيات المذكورة.

1- الآيتان _الأولى والثانية_ جاءتا في سياق آيات تحدثت عن القتال بين المسلمين وغيرهم وقد بدأت هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[البقرة:190] وقد حددت الآية الباعث على القتال وهو وقوع العدوان (الذين يقاتلونكم)، وبينت أنه يحرم على المسلمين ان يكونوا هم البادئين بالعدوان (ولا تعتدوا) وعللت ذلك بقوله (إن الله لا يحب المعتدين) فيجب أن يحكم السياق في فهم الآية، وفهمها في إطار ذلك السياق العام الذي وردت فيه، ودون انتزاعها من ذلك السياق.

وعلى هذا الوجه من التأويل أو التفسير سار صاحب التحرير والتنوير فقال: (فالمعنى واقتلوهم حيث ثقفتموهم إن قاتلوكم)[1]

وبعد هذا جاءت الآية الأخرى ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:193] مبينة سبب القتال وهو فتنة المسلمين عن دينهم، فإن لم تكن فتنة فلا قتال بدليل ما جاء فيها ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ والذي تفيده الآية الكريمة هو أن (الوقوف في وجه الدعوة بأي وسيلة وصد الناس عنها والحيلولة دون حريتها، والطعن فيها، والعدوان عليها وعلى دعاتها والمستجيبين لها، مما يبرر للدولة الإسلامية والمسلمين عامة الجهاد حتى ينتهي الباغون عن موقفهم، ويضمن للدعوة ودعاتها والمستجيبين لها الحرية والسيادة والانطلاق)[2]

2- أما آية سورة التوبة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[التوبة:123

---

[1] () الإمام الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر- تونس (ط: 1984م) (201/2)

[2] () محمد عزة دروزة، الدستور القرآني، المكتب الإسلامي – بيروت (ط: الثانية-1981م) (88/2)

(فإن هذه الآية ليست واردة في بيان سبب القتال وما يحمل عليه، وإنما جاءت إرشادا لخطة حربية تترسم عند نشوب القتال المشروع فعلا، فهي ترشد المسلمين إلى وجوب البدء عند تعدد الأعداء بقتال الأقرب فالأقرب عملا على إخلاء الطريق من الأعداء المناوئين وتسهيلا لسبل الانتصار.

وهذا المبدأ الذي قرره القرآن من المبادئ التي تعمل بها الدول المتحاربة في هذا العصر الحديث، فلا تخطو دولة مهاجمة خطوة إلا بعد إخلاء الطريق أمامها، والاطمئنان إلى زوال العقبات من سبيلها

وبهذا يتبين أنه لا صلة لها بسبب القتال الذي تضافرت الآيات الأخرى على بيانه).[1]

ثانيا: السنة النبوية

بالنظر إلى السنة المنقولة عن النبي ﷺ وسلوكه وحياته؛ يتضح جانب السلم والتأكيد عليه واضحا وجليا، وأنه مقصد عام طلبه النبي ﷺ من خلال حياته وتعاليمه.

أولا: مبدأ السلم في التصرفات النبوية قبل النبوة

وهنا نشير إلى موقفين من حياته ﷺ:

الأول: الدور السلمي للنبي ﷺ في حلف الفضول.

فحلف الفضول حسب ابن إسحاق قال: (تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف: حلف الفضول).[2]

وهو الحلف الذي قال فيه النبي ﷺ: «لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً لو دُعيتُ له في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وألاّ يغزوَ ظالمٌ مظلوماً».[3]

وفي رواية: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت» .[1]

---

[1]() الشيخ محمود شلتوت، الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر ص(37).

[2]() السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط: الأولى–1412هـ) (63/2)

[3]() الفاكهاني، أخبار مكة (320/3)

وكان حلف الفضول ميثاقا وتعاهدا على نصرة المظلوم ورد الظلم والدفاع عنه بغض النظر عن انتسابه القبلي أو مكانته العشائرية أو وطنه وسماه النبي ﷺ حلف الفضول.

الثاني: قضية التحكيم في وضع الحجر الأسود بين قريش

قال ابن إسحاق: (ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا؛ وأعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة، فسموا: لعقة الدم، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، وتشاوروا وتناصفوا.

فزعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذ أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش! اجعلوا بينكم- فيما تختلفون فيه- أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا: فكان أول داخل عليهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال صلى الله عليه وسلم: هلم إلي ثوبا، فأتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه.[2]

هذه الحادثة تبين لنا ما كان عليه النبي ﷺ من الحكمة والفطنة، وحسن القضاء، وكف الاحتراب والقتال عن الناس والعمل على إشاعة السلم المجتمعي آنذاك.

ثانيا: تأكيد مبدأ السلم في حياته بعد النبوة.

حين حمل النبي عبء الدعوة أمره الله تعالى بلين الجانب، والموادعة في السلوك لتتوفر بينه وبين من يدعوهم روح المؤالفة الداعية إلى الاستجابة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[النحل:125]، ولم يكن مكلفا بإلزام أحد أو إكراهه على اتباعه، ويظل ذلك هو السمت النبوي في الدعوة وتأليف الناس، وإعطائهم حق الاختيار في قبول الدعوة أو رفضها، حتى لو خرج المدعو من دائرة السلمية إلى العدوان والأذى ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[الأحزاب:48] ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ

---

[1]() البيهقي السنن الكبرى (596/6/ ح13080)

[2]() الروض الأنف، مصدر سابق (263/2)

عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنعام:68]

ولما انتقل النبي إلى المدينة وهم ليسوا من ذوي عشيرته سار على نفس السمت في الدعوة، وفتحت عليه أبوابا من الجدال العقدي والتحدي المعرفي من أهل الديانات الأخرى التي لم تكن ذات أثر في العهد المكي فيرسم له القرآن طريق المسالمة والمعاملة المطلوبة ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾[الحج:67] ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[آل عمران:20]، ومع ذلك لم يسكت النبي ﷺ من تبصيرهم وتحذيرهم من عواقب الإعراض والتكذيب ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[الجن:21-23]

طبيعة الدعوة: من مواطن النظر كذلك بعد النظر في حالة الداعي، النظر في طبيعة الدعوة التي يبشر بها النبي فمنذ بداية ظهور العقيدة الإسلامية وحرية الاعتقاد بها حق مكفول وهو مبدأ من مبادئ هذه العقيدة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة:256] كما أنها ساقت حججها للناس بشرط ارتفاع الموانع الحاجبة من سماعها كالكبر والإعراض، فنجدها دائما ما توجه الخطاب لقوم يعقلون، ويفقهون، ويتذكرون .[1]

ومن أظهر التصرفات النبوية التي تدل على مبدأ السلم في حياته هذه المواقف المختارة من حياته ﷺ:

1- أول عمل قام به النبي في المدينة بعد بناء مسجده وأد أسباب الخلاف والقتال بين المكونات الاجتماعية (الأوس والخزرج) وأقام واجب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

2- كتب النبي وثيقة المدينة كعهد للتعايش السلمي بين كل المكونات، والالتزام بمبدأ استدامة السلم، والدفاع المشترك في حال المخاطر التي تهدد المدينة.

(تضمنت الصحيفة مبادئ عامة، درجت دساتير الدول الحديثة على وضعها فيها، وفي طليعة هذه المبادئ تحديد مفهوم الأمة، فالأمة في الصحيفة تضم المسلمين جميعا مهاجريهم وأنصارهم ومن تبعهم، ممن لحق بهم

[1]() راجع: عبد العزيز زهران، السلم والحرب في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة (ط:1974) ص (18)

وجاهد معهم أمة واحدة، من دون الناس وهذا شيء جديد كل الجدّه في تاريخ الحياة السياسية في جزيرة العرب، إذ نقل الرسول صلى الله عليه وسلم قومه من شعار القبلية، والتبعية لها إلى شعار الأمة، التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد، فلقد قالت الصحيفة عنهم «أمة واحدة» وبهذا الاسم الذي أطلق على جماعة من المسلمين والمؤمنين ومن تبعهم من أهل يثرب، اندمج المسلمون على اختلاف قبائلهم في هذه الجماعة التي ترتبط بينها برابطة الإسلام، فهم يتكافلون فيما بينهم، وهم ينصرون المظلوم على الظالم، وهم يرعون حقوق القرابة، والمحبة، والجوار لقد انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين، وأصبحوا أمة واحدة)[1]

3- إن الحروب التي خاضها النبي كانت حروب وقائية أو دفاعية قام على رصد وتفكيك التجمعات قبل أن تتحرك لعمل عسكري مثل غزوة غطفان، وبني سليم، وذات الرقاع، وغزوة بني المصطلق، وخيبر، وغزوة ذات السلاسل، ثم تبوك في آخر حياة النبي ﷺ.

4- صلح الحديبية، كانت الحديبية معاهدة سلام وموادعة تضع فيها الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنين فيها يأمن الناس، ورغم ما فيها من الشروط المجحفة على النبي ﷺ وأصحابه فقد قبلها الرسول ﷺ رغم ما خامر بعض الصحابة من كراهية تلك الشروط التي اعتبروها مذلة لهم، ولكن كان مآلات هذه التصرف النبوي خيرا كثيرا فكان الحديبية وما حصل فيها من السلم سببا لتعرف الكثيرين على الإسلام والدخول فيه طواعية، وكانت كذلك الفتح الأصغر الذي يعقبه الفتح الأكبر، وقد قال بعض الباحثين أن من دخل الإسلام في سنتي الصلح أكثر مما دخلوه في المدة التي تقرب من عشرين عاما منذ بدء الإسلام. [2]

ومما يجدر ذكره عند الحديث عن الحديبية هو التزام النبي ﷺ بهذه المعاهدة مراعاة للسلم رغم ما حصل من أحداث يعكر صفوها ووقائع أكدت حرص النبي ﷺ على الوفاء:

أ- فقبل أن يجف حبر المعاهدة وتنتهي كتابتها جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد هاربا من قريش بعد أن جاء في كتاب العهد (أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا) فقال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين، وقد جاء مسلما.

---

[1]() علي محمد الصلابي ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، بيروت (ط: السابعة 2008م) ص(227)

[2]() ينظر: محمد حسين فضل الله، الإسلام ومنطق القوة ، الدار الإسلامية، بيروت (ط: الثالثة 1986م) ص(235)

فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده، قال: فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد، قال: فو الله إذا لا نصالحك على شيء أبدا، قال النبي ﷺ: فأجره لي، قال: ما أنا بمجيره لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بلى قد أجرناه.

قال أبو جندل: معاشر المسلمين أأرد إلى المشركين وقد جئت مسلما! ألا ترون ما قد لقيت! وكان قد عذب عذابا شديدا في الله[1]

فمضى النبي ﷺ في عقده مع ما أثاره في نفسه ونفوس المؤمنين مجيء أبي جندل يرسف في قيوده، وقال لأبي جندل: (اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم).[2]

ب- جاء أبو بصير إلى النبي ﷺ بالمدينة هاربا من قريش وكان ممن يعذب من المسلمين فيها، فأرسلت قريش في طلبه رجلين وقالوا للنبي ﷺ العهد الذي جعلت بيننا، فدفعه النبي ﷺ للرجلين وقال له: (يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فانطلق إلى قومك، قال: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ قال: يا أبا بصير، انطلق، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا)[3]

5- أما بعد فتح مكة (8من الهجرة) وقد دخلها رسول الله ﷺ فاتحا منتصرا، وأزيلت صنائع المشركين من الأصنام والأوثان بالكعبة المشرفة، ودوى صوت بلال بالتوحيد فيها، واجتمعت قريش على النبي ﷺ لا حول لهم ولا قوة، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادتهم، فقد جاء إعلان العفو عنهم وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكم الرسول ﷺ فيهم فقال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم. فقال﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [يوسف:92] وقد نزلت الآية الكريمة ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:126].

فاختار الرسول ﷺ أن يعفو عنهم ويصبر على ما كان منهم ويدع عقوبتهم تفضلاً منه واحتسابًا فقال: «نصبر ولا نعاقب».[4]

---

[1]() البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية،بيروت (ط: الأولى 1405هـ) (106/4).

[2]() السهيلي، الروض الأنف (463/6)

[3]() ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر (ط: الثانية- 1955م) (323/2).

[4]() د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة (محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة

وقد ترتب على هذا العفو العام حفظ الأنفس من القتل أو السبي وإبقاء الأموال المنقولة والأراضي بيد أصحابها وعدم فرض الخراج عليها، فلم تعامل مكة كما عوملت المناطق الأخرى المفتوحة عنوة لقدسيتها وحرمتها، فإنها دار النسك ومتعبد الخلق وحرم الرب تعالى.[1]

7– وفي حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة في يوم عرفة ألقى النبي ﷺ آخر خطبه في حجة الوداع وكان مما جاء فيها التأكيد على حرمة الدماء والأموال والأعراض فقال ﷺ (إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا إنّ كلّ شيء من أمر الجاهلية تحت قَدَمِيَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أخرجه دماؤنا: دَمُ –قال عثمان: دم ابن ربيعة. وقال سليمان: دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وقال بعض هؤلاء: كان مُسْتَرضَعًا في بني سعد)[2]

ثالثا: مبدأ السلم في علاقات النبي ﷺ الخارجية

يكشف لنا النظر والتقصي لأحوال النبي ﷺ وتصرفاته مع الشعوب والأمم الأخرى، وما حصل من تبادل الرسل والسفارات والعهود والمواثيق والمناظرات والحوارات عن هذا النوع من التواصل الذي كان أساسا للسلم وكف العداوات بين الأمم ، ولا شك أن ذلك كله كان مبنيا على تكليف النبي ﷺ بالبلاغ والتبشير والإنذار.

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم سنجد هذا النوع من التواصل الذي يرشد إليه القرآن ويحكي لنبيه الكريم ولأصحابه نجاعة هذا التواصل السلمي في دخول الناس للإسلام ففي سورة النمل يأتي خبر بتبادل العلاقات بين نبي الله سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:22]، ورد سليمان على هذا السفير وما نقله من خبر ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[النمل27–28]، ورد بلقيس ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[النمل29–31]

وقد حوت أحوال النبي ﷺ الكثير من الأحكام ذات الصلة بإرسال الرسل والسفارات وبيان كيفية استقبالهم وتأمينهم في أداء المهام الموفدين إليها.

العلوم والحكم، المدينة المنورة (ط: السادسة 1415هـ–1994) (481/2)

[1]() نفس المصدر.

[2]() رواه ابن ماجة في سننه ،كتاب المناسك، رقم الحديث 175

فالمراسلات والمكاتبات النبوية فقد راسل وكاتب النبي ﷺ أمير البحرين، وملك حمير وأهل عمان، والنجاشي الأول، والنجاشي الثاني، وملك غسان، وحاكم اليمامة، وأسقف الروم، وأسقف نجران، وأهل اليمن، وعشرات الرسائل الأخرى. [1]

ويمكننا أن نقف على بعض هذه المكاتبات والنظر في مضامينها وتأكيدها على مبدأ السلم:

1- مكاتبة النبي ﷺ لنصارى نجران .

جاء وفد نجران إلى النبي ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة، ودار بينهم وبين النبي ﷺ حوار حول عقائدهم وانتهى الأمر إلى رفض المباهلة والرضى بدفع الجزية، وتفاصيل هذه الوفد قد استوعبتها كتب السيرة، ولكن ما نريده ما كاتبهم عليه النبي ﷺ فقد جاء نص ذلك الكتاب في الطبقات الكبرى لابن سعد ودلائل النبوة للبيهقي.

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لنجران إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق وأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفي حلة من حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة ومع كل حلة أوقية من الفضة فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب.

وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين يوماً فدونه ولا تحبس رسلي فوق شهر وعليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثون فرسا وثلاثين بعيراً إذا كان كيد ومعره وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسلي حتى يؤدوه إليهم.

ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضيهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وأن لا يغيروا مما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم ولا يغيروا أسقف عن أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا وقهاً من وقيهاه وكلما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ولا ومن سأل فيهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين بنجران ومن أكل رباً من ذي قبل فذمتي منه بريئه ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر وعلى ما في هذه

[1]() ينظر: علي بن حسينعلي الأحمدي، مكاتيب الرسول، دار صعب بيروت، وعلي الأحمدي الميانجي، مكاتيب الرسول، دار الحديث-مصر ، الطبعة الأولى 1998م.

الصحيفة جوار الله عز وجل وذمة محمد رسول الله أبداً حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم). [1]

ونص الكتاب عند ابن سعد :

(هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل نجران أنه كان له عليهم حكمه في كل ثمرة صفراء أو بيضاء أو سوداء أورقيق فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفي حلة حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة كل حلة أوقية فما زادت حلل الخراج أو نقصت على الأواقي فبالحساب، وما قبضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم فبالحساب، وعلى نجران مثواة رسلي عشرين يوما فدون ذلك، ولا تحبس رسلي فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا إذا كان باليمن كيد وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسلي حتى يؤدوه إليهم ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم وصلواتهم لا يغيروا أسقفا عن أسقفيته، ولا راهبا عن رهبانيته، ولا واقفا عن وقفانيته وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس ربا ولا دم جاهلية ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين لنجران، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤاخذ أحد منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبي أبدا حتى يأتي الله بأمره إن نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم)[2] ومن خلال هذه المعاهدة يظهر أن النبي ﷺ أجرى عليهم من الأحكام ما يجعلهم تحت رعاية دولة المدينة آنذاك، وقد فصل لهم النبي ﷺ ما عليهم من الحقوق تجاه هذه الرعاية. وكفل لهم النبي ﷺ السلامة على دينهم وعقائدهم وصلبانهم وكنائسهم، ولهم الحق في تعيين قادتهم الدينيين دون تدخل للمسلمين في ذلك.

وقد كف النبي ﷺ عن قتالهم وما كان للنبي ﷺ وسلم أن يحارب قوما اعتزلوا حربه وألقوا إليه السلم، فما كان القتال، كما يبدو من أخباره، لأجل خلاف الدين، إنما كان لحماية الدعوة لتصل إلى الشعوب، فلا يحجز بينهم وبينها أمراء أو ملوك، أو أحبار ورهبان، بل تكون وجوههم لله تعالى، يختارون في الأديان ما يرونه حقا، ولأنه، لا بد أن يسمع الناس دعوة الحق (الدعوة الإسلامية) من غير إرهاق أمير، أو إغراء زعيم ديني أو غير ديني.

---

[1] () البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية– بيروت (ط: الأولى–1405هـ) (389/5)

[2] () ابن سعد، أبوعبد الله محمد بن سعد البغدادي، الطبقات الكبرى، دار صادر_بيروت (ط: الأولى–1968م) (288/1)، وجاء هذه المكاتبة أيضا في: فتوح البلدان للبلاذري (76)، أبو عبيد في الأموال ص 187، جمهرة رسائل العرب (1 / 76)، الخراج لأبي يوسف 72 ،وتاريخ اليعقوبي (2 / 67).

2- كتاب النبي إلى المقوقس عظيم القبط:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[آل عمران:64] ([1])

وقد أخذ كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس حاطب بن أبي بلتعة فاستقبله استقبالا حسنا وجرى حوار بين حاطب والمقوقس قال فيه حاطب: إن هذا النبي دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى. وما بشارة موسى بعيسى عليه السلام إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل. وكل نبي أدرك قوما فهم أمته، فحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به.([2])

وقد أعرب المقوقس عن موقفه المسالم من الرسول بأن بعث إليه رسالة جاء فيها: «لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليكم، أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وتدعو إليه، وقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط، وبثياب، وأهديت لك بغلة تركبها»([3]) . وقد دعا حاطب- في طريق عودته الجاريتين مارية وأختها سيرين إلى الإسلام فأسلمتا. وردا على هذا الموقف الطيب تقبل الرسول الهدية وتزوج مارية التي ولدت له- فيما بعد- إبراهيم.

رابعا: مبدأ السلم في التشريع النبوي

إن من تتبع تشريعات النبي ﷺ وهداياته لقومه وتصرفاته يجد أن السلم كان مقصدا أساسيا لكثير من هذه التشريعات فكانت تحيته ﷺ السلام، وكان يسأل الله السلامة مع غرة كل شهر فكان إذا رأى الهلال قال: (الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله)([4])

---

[1]() علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة- بيروت (1400هـ) (295/2)

[2]() الروض الأنف مصدر سابق (518/7)

[3]() محمد بن يوسف الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، دار الكتب العلمية- بيروت (ط: الأولى- 1414هـ/1993م) (349/11)

[4]() أخرجه أحمد في المسند ح 141، والترمذي كتاب الدعوات، باب ما يقوله عند رؤية الهلال ح3451.

وعند مقدم النبي ﷺ المدية كانت أولى كلماته «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[1]

والمقصد من السلام كما هو معروف قصد الاستئناس ودفع الوحشة بين الناس، والنبي ﷺ يصرح بذلك المقصد فيقول : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[2] ويجعل النبي ﷺ الأصل في المسلم السلم ودفع أذاه عن الناس فيقول : «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[3] وقال أيضا ﷺ : « تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ»[4] ونهى عن أشياء من أهون الأذى ، وقد تكون خرجت مخرج المزاح والمفاكهة فعن عبدِ الله بنِ يسارٍ، عن عبدِ الرحمن بنِ أبي ليلى: حدَّثنا أصحابُ محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – أنهم كانوا يسيرونَ مع النبيِّ – صلى الله عليه وسلم –، فنامَ رجُلٌ منهم، فانطلقَ بعضُهُم إلى حَبْلٍ معه فأخذه، ففزِعَ، فقال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–: "لا يَحِلُّ لمسلم أن يُرَوِّعَ مُسْلِماً"[5]

وقد كان مبدأ السلم في توجيهات النبي ﷺ أمرا مطردا حتى في جهاده وقتاله ﷺ الذي قد يظن البعض أنه موطن للتجاوز ولا مكان فيه للمسامحة والاستثناء، فإن وصاياه واضحة في هذا الجانب ومن ذلك ما جاء عن بريدة كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: (اغْزُوا بِسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ، أَوْ خِلَالٍ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ إِلَيْهِ فَأْقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا أَنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ

---

[1]() أخرجه أحمد في المسند ح 24307، والترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ح 2485.

[2]() أخرجه مسلم في الصحيح ح (203)

[3]() أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح(10)، ومسلم في الصحيح ح(171)

[4]() أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل ح(2517)

[5]() أخرجه أبو داود في السنن، باب من يأخذ الشيء على المزاح ح (5003)، وأحمد في المسند ح (23114)

وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّكَ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَبِيكَ وَذِمَمَ أَصْحَابِكَ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ آبَائِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِنْ حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا)[1]

ومن وصاياه كذلك ﷺ : «انْطَلِقُوا بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُقَاتِلُونَ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، أَبْعَثُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تَغُلُّوا، وَلَا تَجْبُنُوا، وَلَا تُمَثِّلوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَلَا تَحْرِقُوا كَنِيسَةً، وَلَا تَعْقِرُوا نَخْلًا»[2]

فمما تقدم أن الحرب تخضع للمبادئ والقيم لا للمصالح والمآرب الشخصية، ولذلك لا يجوز أن تخرج عن مبادئها بما يوسع دائرة العدائية والعنف في المجتمعات.

المبحث الثالث: السلم في مواثيق الأمم المتحدة

إن المتتبع لتأريخ العالم في الحرب واللاسلم يجد أن المفاهيم التي كانت سائدة تدور حول العنصرية والنازية والحرب والتسلط والقوة والنزاع، والرغبة في السيادة المطلقة، وأصبحت الحروب واجبا مقدسا في نظر الحكومات مما دفع العالم إلى حروب عالمية راح ضحيتها الملايين من الناس.

وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ساد جميع الأمم شعور مشترك بضرورة تنظيم العلاقات الدولية على أساس قواعد جديدة، وفي تاريخ 8 يناير 1918م أعلن ويلسون المبادئ الأربعة عشر وتتضمن الآتي:

1- عقد معاهدات الصلح بشكل علني، على ألا تعقد فيما بعد اتفاقات دولية خاصة، مهما كان نوعها، وأن يكون النشاط الدبلوماسي بعد الآن صريحا وعلنيا.

2- إقرار الحرية المطلقة للملاحة البحرية خارج البحر الإقليمي، في حالتي السلم والحرب سواء بسواء باستثناء البحار المغلقة جزيئا أو كليا بموجب اتفاقية دولية.

3- إلغاء جميع الحواجز الاقتصادية وإقامة علاقات تجارية تتساوى فيها جميع الأمم التي تقبل بالصلح وتحاول المحافظة عليه.

4- تقديم الضمانات الكافية لتخفيض الأسلحة الوطنية إلى الحد الذي يتناسب مع الأمن الداخلي.

5- إنشاء (جمعية للأمم) تتولى ضمان الاستقلال السياسي والإقليمي للدول الصغرى والكبرى على حد سواء.[1]

---

[1]() أخرجه مسلم في صحيحه، ح (4619) (139/5).

[2]() مصنف عبد الرزاق، ح(9430) (219/5)

وتشكل إثر ذلك عصبة الأمم المتحدة التي كانت بصدد تنسيق العلاقات الدولية على أساس السيادة والمساواة بين الدول. وأحدثت في الوقت نفسه محكمة العدل الدولية ذات الطابع القانوني، ووقعت عدد من الاتفاقيات لضمان السلم والأمن منها بروتوكول جنيف1924م لفض النزاعات الدولية بالطرق السلمية دون اللجوء للحرب.

غير أن عصبة الأمم المتحدة وما قامت به من جهود سياسية وقانونية، ومواثيق ومعاهدات قد باءت بالفشل فقد نشبت الحرب بين الصين واليابان عام 1933م، واعتدت ايطاليا على الحبشة عام 1936م، واندلعت نار الحر الأهلية في إسبانيا واشتركت فيها عناصر أجنبية اضفت عليها طابعا دوليا، وهاجمت ألمانيا النمسا 1938م، وتوسعت في عدد من الدول الأوربية، واندلعت نيران الحرب العالمية الثانية واستمرت حتى تاريخ استسلام ألمانيا 1945م.[2]

وبعد فشل عصبة الأمم في تحقيق السلم والأمن الدوليين ظهر ميثاق الأمم المتحدة بتاريخ 26يونيو1945م، وبعد توقيع هذا الميثاق دخلت العلاقات الدولية مرحلة جديدة ومنعطفا تاريخيا تختلف عما كانت عليه سابقا واختلف معها مفهوم السلم.

المادة الأولى والثانية من الفصل الأول تنصان على مقاصد الهيئة، وأما المبادئ التي على الأمم المتحدة أن تعمل وفقا لها في سعيها وراء المقاصد المذكورة في المادتين الأولى والثانية فقد عددتها المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة فبلغت سبعا:

أولا: أن تقوم الهيئة على مبدأ المساواة بين جميع أعضائها.

ثانيا: أن ينفذ أعضاء الهيئة الالتزامات التي أخذوها على أنفسهم بحسن نية.

ثالثا: أن يفض أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن الدوليين عرضة للخطر.

رابعا: أن يمتنع أعضاء الهيئة في علاقتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي والاستقلال السياسي لأية دولة أو على وجه آخر لا يتفق مع مقاصد الأمم المتحدة.

---

[1]() مجموعة مؤلفين ، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، بيروت (ط: الثانية/1985) (364/7).

[2]() يراجع: د. عبد العزيز سليمان نوار، د. عبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت (1435هـ/2014م) ص(626)

خامسا: أن يقدم الأعضاء كل ما في وسعهم من عون للهيئة في أي عمل تتخذ وفق الميثاق، كما يمتنعون عن مساعدة أية دولة تتخذ الأمم المتحدة إزاءها عملا من أعمال المنع أو القمع.

سادسا: أن تعمل الأمم المتحدة على أن تسير الدول غير الأعضاء فيها على المبادئ بقدر ما تقتضيه ضرورة حفظ الأمن الدولي.

سابعا: ألا تتدخل الأمم المتحدة في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما، دون أن يخل ذلك بتطبيق تدابير القمع إذا اقتضى الأمر تطبيقها.[1]

وقد تضمن الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة عددا من المواد المنظمة للسلم والأمن الدوليين، فهو يختص بـ (فيما يتخذ من أعمال في حالات تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان) وهذه هي نصوص الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة:

نصوص الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة:

المادة 39: يقرر مجلس الأمن ما إذا كان قد وقع تهديد للسلم أو إخلال به أو كان ما وقع عملا من أعمال العدوان، ويقدم في ذلك توصياته أو يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير طبقا لأحكام المادتين 41 و 42 لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه.

المادة 40: منعا لتفاقم الموقف، لمجلس الأمن، قبل أن يقدم توصياته أو يتخذ التدابير المنصوص عليها في المادة 39، أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضروريا أو مستحسنا من تدابير مؤقتة، ولا تخل هذه التدابير المؤقتة بحقوق المتنازعين ومطالبهم أو بمركزهم، وعلى مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة حسابه.

المادة 41: لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته، وله أن يطلب إلى أعضاء "الأمم المتحدة" تطبيق هذه التدابير، ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وغيرها من وسائل المواصلات وقفا جزئيا أو كليا وقطع العلاقات الدبلوماسية.

المادة 42: إذا رأى مجلس الأمن أن التدابير المنصوص عليها في المادة 41 لا تفي بالغرض أو ثبت أنها لم تف به، جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدولي أو

---

[1] () ميثاق الأمم المتحدة والنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية موقع الأمم المتحدة : w w w .un.org

لإعادته إلى نصابه. ويجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات والحصر والعمليات الأخرى بطريق القوات الجوية أو البحرية أو البرية التابعة لأعضاء "الأمم المتحدة".

المادة 43: 1- يتعهد جميع أعضاء "الأمم المتحدة" في سبيل المساهمة في حفظ السلم والأمن الدولي، أن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن بناء على طلبه وطبقا لاتفاق أو اتفاقات خاصة ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والأمن الدولي ومن ذلك حق المرور.

2- يجب أن يحدد ذلك الاتفاق أو تلك الاتفاقات عدد هذه القوات وأنواعها ومدى استعدادها وأماكنها عموما ونوع التسهيلات والمساعدات التي تقدم.

3- تجرى المفاوضة في الاتفاق أو الاتفاقات المذكورة بأسرع ما يمكن بناء على طلب مجلس الأمن، وتبرم بين مجلس الأمن وبين أعضاء "الأمم المتحدة" أو بينه وبين مجموعات من أعضاء "الأمم المتحدة"، وتصدق عليها الدول الموقعة وفق مقتضيات أوضاعها الدستورية.

المادة 44: إذا قرر مجلس الأمن استخدام القوة، فإنه قبل أن يطلب من عضو غير ممثل فيه تقديم القوات المسلحة وفاء بالالتزامات المنصوص عليها في المادة 43، ينبغي له أن يدعو هذا العضو إلى أن يشترك إذا شاء في القرارات التي يصدرها فيما يختص باستخدام وحدات من قوات هذا العضو المسلحة.

المادة 45: رغبة في تمكين الأمم المتحدة من اتخاذ التدابير الحربية العاجلة يكون لدى الأعضاء وحدات جوية أهلية يمكن استخدامها فورا لأعمال القمع الدولية المشتركة. ويحدد مجلس الأمن قوى هذه الوحدات ومدى استعدادها والخطط لأعمالها المشتركة، وذلك بمساعدة لجنة أركان الحرب وفي الحدود الواردة في الاتفاق أو الاتفاقات الخاصة المشار إليها في المادة 43، والمادة 46: الخطط اللازمة لاستخدام القوة المسلحة يضعها مجلس الأمن بمساعدة لجنة أركان الحرب.

المادة 47: 1- تشكل لجنة من أركان الحرب تكون مهمتها أن تسدي المشورة والمعونة إلى مجلس الأمن وتعاونه في جميع المسائل المتصلة بما يلزمه من حاجات حربية لحفظ السلم والأمن الدولي ولاستخدام القوات الموضوعة تحت تصرفه وقيادتها ولتنظيم التسليح ونزع السلاح بالقدر المستطاع.

2- تشكل لجنة أركان الحرب من رؤساء أركان حرب الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن أو من يقوم مقامهم، وعلى اللجنة أن تدعو أي عضو في "الأمم المتحدة" من الأعضاء غير الممثلين فيها بصفة دائمة للاشتراك في عملها إذا اقتضى حسن قيام اللجنة بمسؤولياتها أن يساهم هذا العضو في عملها.

3– لجنة أركان الحرب مسؤولة تحت إشراف مجلس الأمن عن التوجيه الاستراتيجي لأية قوات مسلحة موضوعة تحت تصرف المجلس. أما المسائل المرتبطة بقيادة هذه القوات فستبحث فيما بعد.

4– للجنة أركان الحرب أن تنشئ لجانا فرعية إقليمية إذا خولها ذلك مجلس الأمن وبعد التشاور مع الوكالات الإقليمية صاحبة الشأن.

المادة 48: 1– الأعمال اللازمة لتنفيذ قرارات مجلس الأمن لحفظ السلم والأمن الدولي يقوم بها جميع أعضاء "الأمم المتحدة" أو بعض هؤلاء الأعضاء وذلك حسبما يقرره المجلس.2– يقوم أعضاء "الأمم المتحدة" بتنفيذ القرارات المتقدمة مباشرة وبطريق العمل في الوكالات الدولية المتخصصة التي يكونون أعضاء فيها.

المادة 49: يتضافر أعضاء "الأمم المتحدة" على تقديم المعونة المتبادلة لتنفيذ التدابير التي قررها مجلس الأمن.

المادة 50: إذا اتخذ مجلس الأمن ضد أية دولة تدابير منع أو قمع فإن لكل دولة أخرى –سواء أكانت من أعضاء "الأمم المتحدة" أم لم تكن– تواجه مشاكل اقتصادية خاصة تنشأ عن تنفيذ هذه التدابير، الحق في أن تتذاكر مع مجلس الأمن بصدد حل هذه المشاكل.

المادة 51: ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء "الأمم المتحدة" وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي، والتدابير التي اتخذها الأعضاء استعمالا لحق الدفاع عن النفس تبلغ إلى المجلس فورا، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيما للمجلس –بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمدة من أحكام هذا الميثاق– من الحق في أن يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه[1]

ومن خلال تحليل مواد هذا الميثاق فيما يتعلق بحفظ السلم، فإن الأمم المتحدة تسعى لتحقيق ما يلي:

1– في المجال السياسي :

أ– حل النزاعات الدولية بأسلوب سلمي.

ب– توطيد العلاقات الودية بين الأمم.

ج– المساواة بين الأمم في السيادة.

2– في المجال الاقتصادي:

أ– أكدت على حق الشعوب في استغلال مواردها الطبيعية.

---

[1]() المصدر نفسه.

ب– منع الدول من المساس بالحقوق الاقتصادية.

ج– التأكيد على حق الشعوب في التنمية المستدامة.

3– في المجال الاجتماعي والثقافي:

أ– شددت على ضرورة احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس

ب– نبذ التعصب للجنس واللغة واللون والدين.

ج– المساواة بين الرجال والنساء في الممارسات.

وللمجلس نوعان من الاختصاصات في حفظ السلم والأمن الدوليين:

أولهما: اختصاص حل المنازعات سلميا

وقد ورد ذلك في الفصل السادس من الميثاق، وقد أكدت فيه على مبدأ حظر استخدام القوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية، إلا أنها عادت وربطت هذا المبدأ بالتسوية السلمية للنزاعات التي يمكن أن تثور بين الدول، وأن أدوات القمع وحدها ليست كافية لدحر العدوان، بل لابد من حشد كل الموارد المتاحة وتوظيفها من أجل الحيلولة دون اندلا ع الأزمات ابتداءا، وإيجاد تسويات عادلة ودائمة للأزمات إذا اندلعت.[1]

ثانيهما: قمع ورد النزاعات المفضية إلى الإخلال بالسلم والأمن الدوليين.

فهو دور علاجي تقوم به الأمم المتحدة وفقا للمادة (39) من الميثاق (هو الذي يقرر ما إذا كان قد وقع تهديد للسلم أو إخلال به أو كان ما وقع عملا من أعمال العدوان) وتقريره هذا مستمد في الواقع من سلطته التقديرية الكاملة فليست هناك ضوابط يلتزم بها أو تعريفات يرتبط بها.

وقد حدد ميثاق الأمم خمس استثناءات على مبدأ استخدام القوة في العلاقات الدولية:

1– تدابير الأمن الجماعي التي يتم اتخاذها من قبل مجلس الأمن طبقا لأحكام الفصل السابع من الميثاق، أو التدابير التي تتخذها الجمعية بناءا على قرار الإتحاد من أجل السلام.

2– التدابير المتخذة ضد الدول الأعداء خلال الحرب العالمية الثانية طبقا لأحكام المادتين (1/53، 107) حيث أجاز الميثاق استخدام القوة ضد الدول المعادية للدول التي وقعت على ميثاق الأمم المتحدة، و سواء أكان استخدام هذه القوة من قبل مجلس الأمن بمقتضى المادة (107) أو عن طريق الوكالات والتنظيمات الإقليمية بمقتضى المادة (1/53)

[1] () محمد بو سلطان، من حفظ السلم عن طريق النصوص القانونية إلى ثقافة السلم، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية ، (الجزء39، رقم 4 ، سنة 2001)، ص 71

إلا أن هذا الاستثناء قد فقد علة وجوده بعد تغير الأوضاع والظروف الدولية ودخول الدول المذكورة في هذه المواد إلى عضوية الأمم المتحدة، وهو ما يعني حظر إعمال هذين النصين، رغم أنهما لم يجدا أصلا حظهما في التطبيق.

3- التدابير المشتركة التي تتخذها الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن بموجب المادة (106) من الميثاق، والتي أتاحت لهذه الدول استخدام القوة لحفظ الأمن الجماعي الدولي نيابة عن مجلس الأمن ، وذلك إلى أن تدخل الاتفاقيات الواردة في المادة (43) من الميثاق والمنظمة للقوات المسلحة التي تضعها الدول تحتتصرف مجلس الأمن حيز النفاذ.

4- حالات الكفاح المسلح لتقرير المصير: لم ينص ميثاق الأمم المتحدة صراحة على جواز استخدام القوة للحصول على الحق في تقرير المصير، إلا أنه قد أورد بعض الإشارات التي تدل على ذلك خصوصا في المواد (1 و 55) وفي الفصلين الحادي عشر والثاني عشر من الميثاق.

5- الدفاع الشرعي: أجاز ميثاق الأمم المتحدة للدول استخدام القوة للدفاع عن النفس وذلك في المادة 51 من الميثاق، التي اعتبرت أن الدفاع الشرعي هو حق طبيعي للدول وليس مجرد حق قانوني منحه الميثاق للدول، واعتبرت المادة سالفة الذكر أن استخدام القوة من أجل الدفاع الشرعي هو استثناء على مبدأ حظر استخدام القوة، إلا أنها قيدته بثلاث شروط وإلا عد استخدامها للقوة عملا من أعمال العدوان.

الشرط الأول: وجود اعتداء مسلح على أحد أعضاء الأمم المتحدة.

الشرط الثاني: تقييد ممارسة حق الدفاع الشرعي من حيث المدة: فتستطيع الدولة المعتدى عليها أن تمارس حق الدفاع الشرعي حسب المادة (51) (...وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي) على اعتبار أن حق الدفاع الشرعي هو حق مؤقت وليس بديل عن الإجراءات المتخذة بموجب نظام الأمن الجماعي، حيث يسقط هذا الحق عن الدولة المعتدى عليها بمجرد قيام مجلس الأمن باتخاذ التدابير اللازمة لرد العدوان.[1]

وبعد هذا الاستعراض لأهم بنود ميثاق الأمم المتحدة المتعلقة بالسلم، يأتي السؤال:

هل حققت هيئة الأمم المتحدة السلم والأمن الدوليين أم لا؟

[1]() مديوس فلاح الرشيدي، مدى شرعية قرارات مجلس الأمن لعام 1990 الصادرة بشأن تفويض الدول الأعضاء في ممارسة حق الدفاع الشرعي نيابة عن دولة الكويت، (مجلة الحقوق الجزء 18، العدد4 ، سنة 1994) ص 227

لا شك أن ما جاء في هذه المواثيق، وما ترتب عليها من آلاف المعاهدات والمواثيق قد ساعدت وارتقت بمبدأ السلم وحولته إلى قاعدة أممية ودولية، وأصبح مبدأ ملزما من مبادئ القانون الدولي لا يجوز تجاهله أو استبعاده في العلاقات الدولية[1]

ولا شك كذلك أن الأمم المتحدة قامت بدور رئيس في المساعدة على نزع فتيل الأزمات الدولية وحل الصراعات التي طال أمدها.

ومع ذلك من خلال النظر إلى واقعنا المعاصر نستطيع أن نحكم أن الهيئة لم تستطع تحقيق مقاصدها على الوجه التنظيري المطلوب، كما في حال فلسطين، والعراق، وأفغانستان، وبوسنة وهرسك، وميانمار وغيرها ، ولا يمنع هذا من المطالبة بإبقاء هذه الهيئة والمطالبة والعمل على إصلاحه الدائم ومقاومة الدول الكبيرة التي تسيطر على دواليبه، ويتحكمون في صناعة القرارات دون رضى أممي.

الخاتمة:

بعد التتبع والاستقراء لمبدأ السلم في التشريعات الإسلامية، و المواثيق الدولية يتجلى لنا الآتي:

1- إن التعليمات والتشريعات الإسلامية المتعلقة بالسلم هي قوانين ذات أصل سماوي، دعت إليه الشريعة الإسلامية على كافة مستوياتها العقدية والتعبدية والسلوكية التشريعية.

فقد بينا أن الأصل في الإسلام السلم لا الحرب، وأن كف وصد العدوان أصل دعت إليه الكثير من التشريعات، وأن العهود والمواثيق والمكاتيب جاءت لرعاية هذا السلم وتحقيقه.

2- إنه متى ما أقمنا مقارنة حول مبادئ السلم والأمن الدوليين بين التشريع الإسلامي ومواثيق الأمم المتحدة، فإن الإسلام سابق في وضع قواعد ومبادئ ومواد قانونية في تحقيق وحفظ السلم.

3- إن الدعائم التي يستند عليها السلم في الإسلام كل متكامل، بحيث لا يمكن الاستغناء بجزء دون الآخر، فلا يمكن أن ننشد السلام في ميدان دون آخر، فننادي بالسلام والأخوة والمساواة دون الاكتراث بالوفاء بالعهود والتعاون على تحقيق السلم والأمن للجميع دون محاباة.

4- إن الإسلام يقيم العلاقات الدولية في السلم والحرب على قاعدة أخلاقية وغاية هي نشر الدين والعقيدة وتحقيق العدل الإلهي، فليس للمصالح الذاتية والطبقية، وحب التسلط والقهر والأنانية مكان في ذلك.

---

[1]() محمد سعيد نور البازيابي، مفهوم السلم في الفكر الإسلامي دراسة تحليلية مقارنة بين الشريعة والقانون (دراسة دكتوراه- الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – المملكة المتحدة لندن- 2006م) ص (320)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إنه من المعلوم أن السيف لا سيما سيف المسلمين وأهل الكتاب هو تابع للعلم والحجة، بل وسيف المشركين هو تابع لآرائهم واعتقادهم، والسيف من جنس العمل، والعمل – أبدا – تابع للعلم والرأي.

وحينئذ فبيان دين الإسلام بالعلم وبيان أن ما خالفه ضلال وجهل هو تثبيت لأصل دين الإسلام، واجتناب لأصل غيره من الأديان التي يقاتل عليها أهلها)[1]

5– إن من أهم الفروق التي يجدها الباحث بين تقرير الإسلام للسلم وبيم المواثيق الدولية ما يلي:

أ– ربط الجزاء الدنيوي بالأخروي، وهو واضح وبين في تشريعات العقوبات على الجرائم المخلة بالسلم، وبيان الوعيد على نقض العهود والمواثيق، وهذا ما يفقد في المواثيق الدولية، فلا مكان فيها للضمير والرقابة الذاتية ولذلك قد تعجز عن تحقيق السلم عند انحياز دولة ما لمصالحها في استمرار الحرب.

ب– دعوة الإسلام للسلم واقعية ومحققة، فما جاء به من تعليمات في هذا الجانب بلغت مراداتها، وأثمرت نتائجها على أرض الواقع في عصر سيادته على العالم، بعكس ما نراه من عجز مواثيق هيئة الأمم من تحقيق واقعي للسلم الدولي.

فهرس المراجع والمصادر

– القرآن الكريم

1. أخبار مكة، الفاكهي، محمد بن إسحق بن العباس، بيروت، دار خضر (الطبعة الثانية 1414هـ)
2. الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب، الشيخ محمود شلتوت، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر.
3. الإسلام والعلاقات الدولية، عفيفي، محمد الصادق، موسوعة الحضارة والنظم الإسلامية، مصر ، مكتبة الخانجي– القاهرة .
4. الإسلام ومنطق القوة، محمد حسين فضل الله، ، الدار الإسلامية، بيروت (ط: الثالثة 1986م)
5. التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د. عبد العزيز سليمان نوار، د. عبد المجيد نعنعي، دار النهضة العربية، بيروت (1435هـ/2014م)
6. التحرير والتنوير، الإمام الطاهر بن عاشور، ، الدار التونسية للنشر– تونس (ط: 1984م)

[1]() ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة السعودية (ط: الثانية/1999م) (245/1).

7. جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، دار العلم للملايين، بيروت (ط: الأولى– 1987م)
8. الدستور القرآني محمد عزة دروزة، ، المكتب الإسلامي – بيروت (ط: الثانية–1981م)
9. دلائل النبوة، البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، دار الكتب العلمية،بيروت (ط: الأولى 1405هـ)
10. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط: الأولى–1412هـ)
11. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالح الشامي، ، دار الكتب العلمية– بيروت (ط: الأولى–1414هـ/1993م)
12. السلم والحرب في الإسلام، عبد العزيز زهران، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– القاهرة (ط:1974)
13. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، ، دار المعرفة– بيروت (1400هـ)
14. السيرة النبوية الصحيحة (محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة (ط: السادسة 1415هـ–1994)
15. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلابي، لبنان، بيروت، دار المعرفة (الطبعة السابعة 1429هـ–2008م)
16. السيرة النبوية، ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر (ط: الثانية–1955م)
17. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، القاهرة، دار الشعب، (الطبعة الأولى 1987/1307م)
18. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، بيروت، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة –بيروت.
19. الطبقات الكبرى، ابن سعد أبوعبد الله محمد بن سعد البغدادي، ، دار صادر_بيروت (ط: الأولى–1968م)
20. فقه المتغيرات في علائق الدولة الإسلامية بغير المسلمين، العتيبي، سعد بن مطر المرشدي، الرياض، دار الفضيلة (الطبعة الأولى 1430هـ–2009م)
21. القانون الدولي في الإسلام، عباس علي العميد الزونجاني، أصفهان ، الطبعة الأولى.

22. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة– بيروت (الطبعة الأولى 1421–2001م).
23. المعجم السياسي، د. وضاح زيتون،الأردن–عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع (ط: الأولى– 2010م)
24. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، بيروت، دار الفكر (1979م)
25. مفهوم السلم في الفكر الإسلامي دراسة تحليلية مقارنة بين الشريعة والقانون، محمد سعيد نور البازيابي، (دراسة دكتوراه– الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – المملكة المتحدة لندن– 2006م
26. مكاتيب الرسول، علي الأحمدي الميانجي، دار الحديث–مصر ، الطبعة الأولى 1998م.
27. مكاتيب الرسول، علي بن حسين علي الأحمدي، دار صعب بيروت
28. الموسوعة السياسية، مجموعة مؤلفين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، بيروت (ط: الثانية/1985)
29. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ، الكويت، مطابع دار الصفوة، مصر (ط: الأولى–1427/1404)
30. ميثاق الأمم المتحدة والنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية موقع الأمم المتحدة : w w w .un.or
31. هذا هو الإسلام، الدكتور مصطفى السباعي، دار ابن حزم، بيروت (ط:1430–2010م)

المجلات:

32. مدى شرعية قرارات مجلس الأمن لعام 1990 الصادرة بشأن تفويض الدول الأعضاء في ممارسة حق الدفاع الشرعي نيابة عن دولة الكويت، مديوس فلاح الرشيدي، ، (مجلة الحقوق الجزء 18، العدد 4 ، سنة 1994)
33. من حفظ السلم عن طريق النصوص القانونية إلى ثقافة السلم، محمد بو سلطان، ، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية ، (الجزء 39، رقم 4 ، سنة 2001).

Manal Abdalla Ali Ahmed; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 148-168

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal

A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota / USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

البعد الإنساني للنوازل الفقهية المتعلقة بالأسرة–الأصول والمقاصد

The Human Dimension Of Jurisprudential Issues Related To The Family – Assets And Purposes.

د.منال عبدالله على أحمد

أستاذ مشارك بقسم أصول الفقه– كلية الشريعة والقانون

جامعة أم درمان الاسلامية–السودان.

Manalabdalla596@gmail.com

Original Research Article

***Corresponding author**
Manal Abdalla Ali Ahmed

Article History
Received: 20.07.2023
Accepted: 28.08.2023
Published:.20.09.2023

ملخص

تنطلق الدراسة من مسلمات أساسها أن انتظام أمر الأمة يرتكز على انتظام الأسرة وتحقيق مقصد الأنس بها ورعاية مصالح أفرادها، مما يحقق مصالح المجتمع واستقراره وأمنه.

من أهداف الدراسة التأكيد على حاكمية أصول التشريع– القرآن والسنة– وما انبنى عليهما من أدلة الفقه، وبيان أن مقصد حفظ النسل دعت إليه الشريعة وكلياتها ويتطلب أن يُراعي فيه النوازع البشرية، وكيف أنها عملت على ضبطها بمنهج قويم يراعي الفطرة بحيث يسمو بها فوق الانحطاط نحو الحيوانية و لا يرتفع حتى الملائكية؛ وإنما ضوابط تؤسس لمنهج صالح لأن تتفق معه المباديء والأخلاق الإنسانية وإن صدرت من غير المسلمين.

لذا فمن أهم الأسباب التي دعتني للكتابة: محاولة المساهمة لنشر الوعي بسماحة الشريعة والتنبيه إلى مواطن الحكمة ووسائل إدارة الإختلافات الطبيعية بدءً بالأسرة مروراً بالجماعة وصولاً لمجتمع إنساني ينعم بالسلام.

فكرة الدراسة: التعريف بالنوازل سيما وأن الباحثين قد أكثروا من دراسة النوازل المتعلقة بالجوانب العلمية المختبرية أو الطبية وغيرها، والإجابة على الآتي؛ ما أثر النوازل على المجتمع؟ وما مدى تأثيرها على العلاقات المنشئة بموجب عقد الزواج؟.

المنهج استقرائي تحليلي. والخطة تتكون من: مقدمة إضافة إلى:

المبحث الأول: مفاهيمي للتعريف بالمصطلحات ومفاهيم الدراسة.

المبحث الثاني: النوازل التي تهدد التماسك والاستقرار للأسرة. خاتمة: النتائج والتوصيات.

كلمات مفتاحية: المصلحة، المنهج، المستجدات، التماسك، السعادة.

المقدمة

قضايا الناس وأحوالهم متتجددة، ولها أبعاد متعددة، ونحتاج لمعرفة الأحكام الشرعية لها، والإلمام بما يسمى فقه النوازل والمستجدات، وقد نالت حظاً من البحث الشرعي للمجالات الطبية، والتكنولوجية، أما البعد الإنساني والأثر الإجتماعي مازال في حوجة.

أهمية الدراسة: تتمثل في عِظم الأثر الإجتماعي للمستجدات التي يمثلها الوباء والظواهر السالبة أياً كان نوعها، أما المتعلقة بالأسرة، فقد تؤدي لتفككها واستحالة ديمومتها، وتقطيع أواصر القربى الناشئة عنها, وبالتالي فقدان المودة والرحمة والسكن وكآفة مقاصدها.

أهداف الدراسة: الالتفات إلى مباديء الشريعة، ومواطن الحكمة عندها وكفالتها لكرامة الإنسان، والتأكيد على حاكمية أصول التشريع، وبيان أن مقصد حفظ النسل دعت إليه الشريعة وكلياتها، مع مراعاتها النوازع البشرية، وأنها عملت على ضبطها بمنهج قويم يراعي الفطرة بحيث يسمو بها فوق الانحطاط نحو الحيوانية و لا يرتفع حتى الملائكية؛ وإنما ضوابط تؤسس لمنهج صالح ومصلح للإنسانية جمعاء.

الأسباب التي دعتني للكتابة: محاولة المساهمة لنشر الوعي بسماحة الشريعة والرغبة في بيان وسائل تحقيق المقاصد بدءً بالأسرة مروراً بالجماعة وصولاً لمجتمع إنساني ينعم بالسلام.

فكرة الدراسة: تقوم على تحديد البعد الإنساني للنوازل والمستجدات التي تطرأ على الأسرة وبالمجتمع، ومن ثم تحاول الورقة الإجابة على الأسئلة: ماهية بالنوازل، وما هو أثرها على المجتمع؟ وما مدى تأثيرها على العلاقات المنشئة بموجب عقد الزواج؟

الدراسات السابقة: لا توجد حسب ما توصل إليه بحثي دراسة تناولت الموضوع من هذه الزاوية. وغالباً يكون التركيز على النوازل في مجال العبادات بالتطبيق على باب الطهارة مثلاً، أومجال المعاملات بالتطبيق على التجارة الإلكترونية ، أو في المجالات المختبرية والطبية ونحوها.

المنهج استقرائي يتتبع جزيئات الدراسة ويلحقها بالأصول والكليات، ومنهج تحليلي. **الخطة:** تتكون من مقدمة ومبحثان، على النحو التالي:

المبحث الأول: مفاهيمي للتعريف بالمصطلحات والمفاهيم للدراسة. وفيه:(مطلبان)

المطلب الأول: مفهوم أحكام النوازل.الفرع الأول: الفرق بين المفهوم والإصطلاح والتعريف فيه مسائل. الفرع الثاني: التعريف بمفهوم أحكام النوازل والبناء الأصولي.وفيه مسائل.

المطلب الثاني: مفهوم الأسرة ومقاصدها الشرعية.الفرع الأول:مفهوم الأسرة. وفيه مسائل.

الفرع الثاني: أهمية الأسرة ومرتكزات تحقيق المقاصد الشرعية الخاصة بها.

المبحث الثاني: النوازل ومدى تأثيرها على المقاصد الخاصة بالأسرة. (فيه مطلبان)

المطلب الأول: النوازل التي تهدد الأسرة، ومرتكزات المنهج الاسلامي في التعامل معها

الفرع الأول: المنهج الإسلامي للتعامل مع النوازل.الفرع الثاني: النوازل والمستجدات ومقصد حفظ النسل.

المطلب الثاني: النوازل ومرتكزات تحقيق المقاصد الخاصة بالأسرة في ظل القانون

الفرع الأول:**التعريف بالقانون. الفرع الثاني: مقارنة بين نصوص القانون ومقاصد الشريعة.**

خاتمة: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفاهيم ومصطلحات الدراسة

يتناول هذا المبحث المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بدراسة البعد الانساني للنوازل من جهة التعريف بها ومحاولة تصورها التصور الأقرب إلى حقيقتها.

المطلب الأول: مفهوم أحكام النوازل

نلاحظ أن هنال تداخل في تحديد بعض المفاهيم نحتاج لبيانها في هذا المطلب:

الفرع الأول: الفرق بين المفهوم والإصطلاح والتعريف

يعتقد البعض أنها مترادفات لفظية، والواقع أن كل واحد منها يختلف من حيث الدلالة والماهية على النحو التالي:

(أ) **المفهوم**: فكرة أو صورة عقلية تتكون من خلال الخبرات المتتابعة التي يمر بها الفرد سواء أكانت مباشره أم غير مباشرة ويمكن أن يتصف بخاصيتي التجريد والتعميم. يختلف المفهوم عن المصطلح في أن المفهوم يركز على الصورة الذهنية أما المصطلح فإنه يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم.فكل مفهوم مصطلح وليس العكس.

(ب) **المصطلح**: مصطلح أو إصطلاح في اللغة العربية مشتقان من اصطلح (وجزره صلح) بمعني إتفق ويدل على الإتفاق على إستخدامه للتعبير عن مفهوم علمي محدد، وقيل: إخراج

الشيء عن المعني اللغوي الى معني آخر لبيان المراد". وهي مفاتيح العلوم، قيل: أن فهم المصطلحات نصف العلم؛ لأن المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم .

(ج) **التعريف**: فهو عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفه شيء آخر، وينقسم إلى تعريف حقيقي، ويقصد به أن يكون حقيقة ما وضع اللفظ بإزائه من حيث هي، فيعرف بغيرها؛ وتعريف لفظي ويقصد به أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معني، فيفسر بلفظ أوضح دلالة على ذلك المعني.[1]

الفرع الثاني: مفهوم أحكام النوازل والبناء الأصولي

من المعلوم أن لفظ أحكام جمع للفظ حكم، وهو في اللغة: إثبات أمر لأمرِ ما أو نفيه عنه.وفي اصطلاح الأصوليين" خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أو تخييراً أو وضعاً."[2]. أما النوازل التي نحن بصدد معرفة أحكامها فهي:

المسألة الأولى: التعريف والمصطلح لكلمة النازلة

(أ) **من حيث اللغة**: من نزل بمعنى النزول، أي الحلول. والنازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس.[3] والنازلة جمعها نوازل ونازلات، وهي المصيبة الشديدة.[4]

(ب) **من حيث الاصطلاح**: يختلف مفهوم النازلة عند أهل العلم في القديم والحديث؛ ففي القديم تطلق ويراد بها الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، ومن ذلك مشروعية القنوت في النوازل، وقد ترجم الإمام النووي–رحمه الله– في شرحه على صحيح مسلم باباً قال في ترجمته له(باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا

1– رابط الموضوع :www–alukah–net/web/khedr/0/51050

2– الشوكاني: الإمام الحافظ محمد بن علي بن محمد الشوكاني" 1173 – 1250هـ "/ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول, حققه: أ. د شعبان محمد إسماعيل, دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة, مصر– القاهرة, الطبعة الثالثة 1430هـ – 2009م, 1 / 6.

3 – ابن منظور: لسان العرب ص 113، ن

4– إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج2/ ص955.

نزلت بالمسلمين نازلة والعياذ بالله في الصبح دائماً)[5] ثم ذكر أنواعاً من النوازل:" ك عدوٍ وقحط ووباء، وعطش، وضرر ظاهر في المسلمين ونحو ذلك." وحديثاً عرفت النازلة بعدة تعريفات منها: تعريف معلمة الفقه المالكي هي:"قضايا ووقائع يفصل فيها القضاة طبقاً للفقه الآسلامي"[6] " جميع الحوادث التي تحتاج إلى فتوى تبينها سواءٌ أكانت هذه الحوادث متكررة أم نادرة الحدوث، وسواءٌ أكانت قديمة أم مستجدة"[7]

المسألة الثانية: تسمية الفقهاء للواقعات بالنوازل وأقسامها: أنهم قد يقصدون شدة وقوعها عليهم كالمصيبة، فهي بمعنى الأمر والخطب العظيم الشديد الذي ينزل بالناس، فيحتاجون رفعه عنهم، وبيان الحكم الشرعي لها. أو لملاحظة معنى الشدة لما يعانيه الفقهيه في استخراج حكم النازلة، وما قد تحتاجه من اجتهاد يخشون من الوقوع في الخطأ فيه.أو لملاحظة معنى الحلول فهي نازلة يجهل حكمها تحل بالفرد أو الجماعة. كما أن ضبط البناء الأصولي والمقاصدي لفقه النوازل يعتمد على تقسيم النوازل من حيث خطورتها وأهميتها إلى: (أ) **نوازل كبرى:** القضايا المصيرية التي نزلت بأمة الإسلام كالحوادث والبلايا التي تدبر للقضاء على المسلمين من قِبل أعدائهم، وما يتصل بذلك من المكائد والمؤامرات والحروب المعلنة وغير المعلنة في شتى المجالات العسكرية والفكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.[8] وهذا بالطبع يهدد التماسك والاستقرار للأسرة الكبرى(المجتمع). وقد تطورت صور الحروب والمكائد وأتخذت أشكال مستحدثة مثل الحروب البيولوجية كما يتردد عن وباء(كرونا- كوفيد 19)، **ونوازل أخرى** دون ذلك.

---

5 – النووي: صحيح مسلم بن حجاج القشيري بشرح النووي، م3/ ج5/ص176، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1 سنة 13347–1929م.

6– عبدالعزيز: بن عبدالله، معلمة الفقه المالكي، ص18، دار الغرب الإسلامي، ط2 سنة 1403هـ–1983م.

7 – أبوالبصل: عبدالناصر أبوبصل، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، ج2/ص602 دار النفائس – الأردن–عمان ط1 سنة1421هـ–2001م.

15 – الأصم: عبدالله بن محمد الأصم، بحث ضوابط فقه النوازل، موقع المسلم 1349/3/8هـ

(ب)كذلك قسموها بالنسبة لجدتها إلى:

1- **نـوازل محضـة**: وهـي الـتي لم يسـبق وقوعهـا مـن قبـل، لا قلـيلاً ولا كثـيراً مثـل أطفـال الأنابيب- الحقن المجهري-.

2- **ونوازل نسبية**: وهي التي سبق وقوعها من قبل لكنه تطورت من جهة أسبابها والواقع المحيط بها وتجددت في بعض هيئاتها وأحوالها، حتى صارت بهذا النظر كأنها نازلة جديدة، مثل البيع بالتقسيط، والعمليات الجراحية المناظيرية والزواج بنية الطلاق وغيرها.

وعليه فالبناء الأصولي والمقاصدي للنوازل يعتمد على أهمية تحقيق المصالح وارتباطها ارتباطًا مطردًا بالتشريع في الإسلام، بمنهج حياةٍ متكاملٍ ومتجدد قائم على ما يُحقِّق مصالح المكلفين، ويضْمَن لهم حياة كريمة، **و**التأكيد عليها ضمانًا لتحقيق التوازن في المجتمع، والحد من التناحرِ والتطاحنِ، وما يترتب عليه من عدم استقرار المجتمعات وانتشار الفوضى. وقد أظهر وباء كرونا كوفيد19، أن قوة المجتمعات وسلامتها وتماسكها مرهونة بالقيم الاسلامية التي تسعى الشرعية لتحقيق مقاصدها عبرها إذ كثير من من المبادرات الإنسانية والإجتماعية الخيرة قد ظهرت في تلك النازلة والتي عالجت مشكلات عميقة وكثيرة إنما صدرت بدوافع قيمية فاضلة.[9]وعليه فالتكافل من مرتكزات مواجهة النوازل المجتمعية.كما أن قوام البناء الأصولي لأي قضية لا ينفك عن البناء المقاصدي؛ حيث أن الفقه مبني على قواعد أصولية وفقهية كبرى، أهمها: لا ثواب إلا بنية، الحرج مرفوع شرعاً، العادة محكمة، وتتفرع عنها قواعد لا ضرر ولا ضرار، الضرورات تبيح المحظورات، وغيرها.

المطلب الثاني: مفهوم الأسرة ومقاصدها الشرعية

16- كُهُوس: أد. رشيد كهوس ، أستاذ التعليم العالي بكلية أصول الدين بتطوان- جامعة عبدالمالك السعدي -المغرب-/ وباء كورونا وسؤال القيم- بحث منشور في المؤتمر الدولي الخامس(الأسرة في زمن كورونا =الفرص والتحديات)5-6 ديسمبر2020م، منشورات مركز الدولي للاستراتجيات التربوية والأسرية- كتاب المؤتمر سنة النشر 2021م.

يتطرق هذا المطلب للتعريف بالأسرة ونشير إلى أن مفهوم الاسرة من خواص الانسان، فلا يطلق على ذكر الحيوان وأنثاه أنها أسرة؛ لأن العلاقة بينهما لا دوام ولا بقاء لها، ولا تتوقف على شروط ولا تترتب عليها التزامات.

الفرع الأول:مفهوم الأسرة: يعتمد تصور البعد الإنساني للنوازل بإعتبار أثره على أصغر وحدة في المجتمع؛ وهي الأسرة، لذا نحاول في هذهالأسطر توضيح المراد بالأسرة .

المسألة الأولى: التعريف لغة للأسرة وأنواعها

(أ) **الأسرة من حيث اللغة:** وكلمة الأسرة أصلها من" أسر " ألف سين راء ومعناه الحبس والامساك أسر إسارة هي شدة وربطة. وقد اشتق من هذه المادة اللغوية لما يترتب على كل واحد من أعضائها من التزامات نحو الآخرين، كما انها تعطي معنى القوة والشدة وهي الدرع الحصين فهي تعد لكل فرد من أعضائها الدرع الحصين.[10]وهي عشيرة الرجل ورهطه الأقربون، سميت بهذا لما فيها من معنى القوة حيث يتقوى بها الرجل.[11]

(ب) **الأسرة من حيث الإصطلاح:** لم ترد كلمة أسرة في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية كإسم أوصفة لنظام الزوجية الإنساني أوغيره؛ فالقرآن الكريم أشار للزوجين الذكر والأنثي: (يَا أَيُهاَ النَّاسُ إنَا خَلَقنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ..) سورة الحجرات- آية 13. وقد جمع القرآن الكريم ما انحدر من الزوجين وأبنائهم تحت اسم"الأرحام" أي الذين تجمع بينهم قرابة الدم وهي مشتقة من الرحم مستودع الجنين في أحشاء الأم. كما سماهم القرآن الكريم الأقربين وذوي القربى. ويبدو أن الفقهاء المؤسسين لمذاهب الفقه ومدارس التفسير في صدر الاسلام لم يكن يعنيهم إيجاد مصطلح يسمى به نظام الزوجية وما ينضوي تحته من بنين وحفدة، بينما كان تركيزهم على الأحكام الخاصة بالزوجية تكويناً وفروعاً وتنظيماً للعلاقات وتحديداً للواجبات

---

9 – ابن منظور: جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت. الطبعة 5، ج3/60 [10]

10– البستاني: بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان – بيروت– ص9.

والحقوق بين أطراف وفروع هذا النظام. لكن مؤخراً أمكن إطلاق مصطلح الأسرة على الجماعة المعتبرة نواة المجتمع، والتي تنشأ برابطة.[12]

أنواع الأسرة:**الصغرى**: فهي المقصورة على الزوجين والأولاد.(وما اتحدر منهما من بنين وحفدة) **الوسطى**: فهي تضم الدرجة الثانية من سائر الأقارب لتشمل الآباء والأجداد والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات والأخوال والخالات. وهي المقصودة بالأمر بصلة الرحم، جاء في الحديث القدسي:" أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من أسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته".[13] **الكبرى**: فهي المجتمع المسلم، وقد أوصي الله بهم جميعاً، وجعل العلاقة معهم علاقة أخوة قال تعالى:(إِنَّمَا المؤمِنُونَ إخوةَ) سورة الحجرات:آية 10.وتشمل أيضاً المجتمع الانساني و البشرية جمعاء.

الفرع الثاني: أهمية الأسرة ومرتكزات مقاصدها الشرعية: الأسرة مظلة إنسانية ضرورية لبناء النفس، ورفد نظام المجتمع بعناصر البناء وإبقاء النوع الإنساني؛ حيث إن ممارسة المعيشة الهانئة في الحياة تحصل من خلال الأسرة التي تُوجد تجمعاً صغيراً، يبني أصول حياته ومعيشته بهدوء، ويحقق تعاوناً بناءً، وقوياً في التغلب على مشكلات المعيشة، وتخيم فيها أجواء المحبة والود والأنس والطمأنينة والسلامة، والأخذ بيد الأطفال نحو النمو والاكتمال، ورعاية الكبار حتى لا يصبحوا مهملين لا عائل لهم يساعدهم على أحوال ضعفهم، والتخلص من متاعبهم. وفي مظلتها تنمو روح التبعية المحمودة أو المسؤولية،وتعمير الكون، وتعلم معاني الايثار والتضحية، وغرس الأخلاق والفضيلة، والتعايش في المجتمع الاكبر وتجسيد معنى التكافل الاجتماعي المادي والمعنوي.فيتحقق من خلال إنجاب الذرية والأولاد الأصحاء، والأسرة

11– كرار: خديجة كرار الشيخ، الأسرة في الغرب أسباب تغير مفهومها ووظيفتها– دراسة نقدية– ص23. [12]

13– الحديث أخرجه الشيخان، عن عبدالرحمن بن عوف، و الترمذي قال حديث صحيح، وأبوداؤود: كتاب الزكاة / باب في صلة الرحم 1694. صححه الألباني. [13]

المسلمة ملتزمة بنظام الشريعة، وبالأخلاق والآداب الاسلامية فتعمل لخيري الدنيا والآخرة. تعيش في المجتمع[14].

المسألة الأولي: مرتكزات تحقيق المقاصد الشرعية الخاصة بالأسرة

مفهوم الأسرة يؤطر لإخراج الزواج من إطار اللذة والشهوانية فقط إلى دائرة أوسع بل إلى بناء المؤسسة القائمة على تحقيق عبادة الله، ويقوم على قيم أبرزها **التوحيد** إذ لا يُعد قيمة عقدية أو مفهوم ديني فحسب وإنما رؤية تحدد الغاية من خلق الانسان وعلاقته بالكون والحياة بحيث تكون المصلحة قرين الحق ومحكومة به. ثم **الاستخلاف** ضابط حركة الانسان بحيث تقوم على أوامر الله واجتناب نواهيه وبالتالي **التذكية** المطلوبة والمرجوة،[15] الخطاب القرآني يُسكن قضية الزواج في أكثر مستوى من مستويات العمران الاجتماعي: الرجل والمرأة، الأسرة، المجتمع، الإنسانية.

(أ)مرتكزات المقاصد على مستوى الرجل والمرأة: للشارع الحكيم نوعين من المقاصد: مقاصد الخالق من الخلق، ومقاصده من التشريع، ويتمثل أولها في عبادته سبحانه وتعالى، حين يتمثل الثاني في الغاية التي يرمي إليها التشريع والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من الأحكام. وبذلك تستهدف الشريعة تحقيق مقصد عام هو إسعاد الأفراد والجماعة وحفظ النظام وتعمير الدنيا بكل ما يوصل إلى الخير والكمال الإنساني فالدنيا مزرعة الآخرة.[16] وبالتالى العلاقة بين الرجل والمرأة في إطار الزوجية: تسودها المودة والرحمة؛ **فالمودة:** المحبة، و**الرحمة:** صفة تبعث على حسن المعاملة.[17] وهي رقة تقتضي الإحسان إلى

14– الزحيلي: وهبة الزحيلي، الآسرة المسلمة في العالم المعاصر، [14] بتصرف دار الفكر بيروت طبعة 2000م، ص 20–23.

23 – العلواني: زينب طه العلواني، الأسرة في مقاصد الشريعة (قراءة في قضايا الزواج والطلاق – في أمريكا) منشورات المعهد العالمي للفكر الاسلامي – فيرجينيا– أمريكا 1434هـ–2013م/ ص48.

24– العالم: يوسف حامد العالم، مقاصد الشريعة [16]

25 – ابن عاشور: محمد الطاهر محمد ابن عاشور، التحرير والتنوير [17]

المرحوم.[18] والمودة والرحمة نعمتان من الفيض الرباني على الأسرة، وإن الفرك من قبل الشيطان.[19] فالمودة تكون أولاً ثم تفضي ألى الرحمة، فلهذا فإن الزوجة قد تخرج من محل الشهوة بكبر أو مرض ويبقى قيام الزوجية بها وبالعكس. ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم الرأفة فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إلية في الإنفاق أو للإلفة بينهما أو غير ذلك"[20] **مقصد السكن والاستقرار الأسري** ومنه القوامة وتبعاتها: فالمقاصد التبعية للزواج: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن.

(ب) مرتكزات المقاصد على مستوى العائلة: العائلة شبكة من العلاقات المنتظمة والمستقرة، وهي الخلية الأساسية المكونة للمجتمع، وهي عبارة عن جماعة من الناس تربط بينهم صلات القربي القوية المرتبطة بالدم والزواج، فهي تتكون من وحدات أسرية لا يعشيون في مكان واحد لكن بينهم صلة القرابة، والإعالة هي تقديم الرعاية الاجتماعية. ونشير إلى ما ذكره بنعاشور؛ حيث تُعد قراءته في المقاصد الخاصة بأحكام العائلة متميزة في المجال الأصولي والفقهي إذ ركز على تحديد المباديء العامة في أصل تشريعات الأسرة وهو كما قال: أحكام ضبط العلاقات الانسانية في ثلاثة مناطق أساسية: آصرة النكاح، آصرة القرابة وآصرة الصهر.[21] خلاصته مجموعة فضائل كالاحترام والتواصل والمحبة؛ دور التفعيل المقاصدي لها إخراجها من دائرة الفضائل إلى الدوائر المنهجية.

المبحث الثاني

النوازل ومدى تأثيرها على المقاصد الخاصة بالأسرة

---

18 – مفردات غريب القرآن ص 347

27– الزمخشري: الكشاف 473/3

28– ابن كثير: 309/6

29– ابن عاشور: محمد الطاهر محمد بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية تحقيق الشيخ محمد الحبيب الخوجة.طبعة على نفقة قطر1425هـ–2004م/ ج3/ ص421–وما بعدها.

النوازل التي تصيب الأسرة وتحدث خرقاً للمقاصد الخاصة بالأسرة الرامية لتحقيق الأنس بالعائلة والشعور بالسعادة بين أفرادها. والتي تهدد مقاصد الأسرة الكبرى(المجتمع) من حيث الأمن والتعايش السلمي والإستقرار، نتناولها كما يلي.

المطلب الأول: النوازل التي تهدد الأسرة، ومرتكزات المنهج الاسلامي

تقرر أن مفهوم الأسرة يتسع بحيث يشمل المجتمع بإعتباره الأسرة الكبرى، وبإعتبار أنه مكون من مجموعة الأسر الصغري، وعليه هي الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع وهي التي عن طريقها حفظ النوع الانساني وهي في أبسط صورها- رجل وأمرأة- تربط بينهما علاقة زواج شرعي وما ينتج عن هذا الزواج من أولاد.[22] لذا نتعرض للنوازل التي تهددها في سياق المعنى اللغوي للنازلة(المصيبة) وسياق المفهوم الاصطلاحي(الإشكالية المستجدة).

الفرع الأول: المنهج الإسلامي للتعامل مع النوازل. ليس المصاب من حل به البلاء بل المصاب هو من حرم الثواب. سواءٌ أكان بفقدان الأب، ومن ثم تفقد غالب الأسر مصدر الدخل، أو فقدان الأم ومن ثم تفقد البيوت الحنان ورعاية الأولاد، أو بفقدان أحد الأبناء. أو كان المصاب بالمرض، أو كان المصاب بتدهور الأحوال الاقتصادي.

المسألة الأولى المنهج الاسلامي في النوازل الاجتماعية: في التعامل مع النازلة بمعناها اللغوي-أي المصيبة- كالمرض أو الطلاق أو نقص الأموال، أو الموت؛ هنا يقوم على مرتكزات منها:

1- **الصبر والاحتساب:** وقد حثت الشريعة عليه وعظمت له الأجر والثواب.
2- **التحرز من شرك الأسباب:** وفي هذا أمران؛ **أولهما** الأخذ بالأسباب أمر مطلوب شرعاً، **والأمر الثاني**؛ اليقين بأن تلك الأسباب جعلها الله طرقاً إلى النتائج وأن المسبب الأوحد هو الله تعالى.
3- **عدم اليأس واستعجال الفرج:** ذلك أن اليأس من علامات ضعف الإيمان والشك في قدرة المولى عز وجل. فحسن الظن بالله واليقين في أمره وفعله من الإيمان. قال تعالى:" إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون" سورة يوسف:

---

17 – السيد: إبراهيم جابر السيد/ التفكك الأسري الأسباب والمشكلات علاجها، ص 47.

87. ومن اليأس استعجال الشفاء، فالناس في لقاء الابتلاء ليسوا سواء فمنهم من يعي مقاصده فيتقبله بقبول حسن، ومنهم من تزل قدماه وتعمى بصيرته.

المسألة الثانية: مرتكزات المنهج الاسلامي عند التعامل مع النازلة الطبية: أي التعامل مع النازلة – المستجدة- بمعناها الإصطلاحي؛ يقوم على المحافظة على النسل إذا كانت الزوجة لا يمكنها الحمل إلا بطرق مختبرية.وذلك بوضح شروط وضوابط منها:

1- أن يتم التلقيح من مني الزوج نفسه وفي رحم الزوجة نفسها.

2- أن يتم في حياة الزوج وليس بعد مماته على أساس أن موته سبب لإنقطاع رابطة الزوجية بالوفاة وبعد ذلك يعتبر التلقيح منه محرماً.

3-أن يكون الطبيب الذي يقوم بالعمل والفريق المساعد له مسلمين و مؤتمنين.

4-الاحتياط لعدم اختلاط النطف وعدم الاحتفاظ بالمني في الثلاجات بل إجراء التلقيح فور أخده من الزوج للزوجة.

والمنهج الوقائي الذي اتبعته الشريعة الإسلامية لحفظ النسل وبقية المقاصد الضرورية سار على أسلوبين: **الأول**: أسلوب التحريم، وذلك بتحريم كل ما يدخل الفساد.

الثاني: بأسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك إذا ظهر في الناس ترك المأمورات من الواجبات والمندوبات وظهر بينهم فعل المنهيات من المحرمات والمكروهات ففي هذا الأسلوب تذكير وإصلاح.[23] وعلى طريقتين:

الأولى: حفظ من جانب الوجود؛ بعقد الزواج لأنه وسيلة لبقاء النوع الإنساني طيب الأصل محفوظ النسب.[24] و**الثانية** بطريقة وقائية حفظ من جانب العدم؛ بتحريم الزنا، وكل الوسائل المثيرة للغريزة والتي تكون داعية إليه سداً للذرائع؛ بتحريم النظر إلى الأجنبية والإختلاط، وبتحريم تحديد النسل بصورة جماعية وبدون ضرورة مُلحة.

الفرع الثاني: النوازل والمستجدات ومقصد حفظ النسل.

---

21 – ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، ص 110 وما بعدها.[23]

22 – سيد سابق: فقه السنة، 10/2.[24]

مراعاة المصالح ومعالجة فقه الواقع وفق الأسس والضوابط للإجتهاد التنزيلي من سدٍ للذرائع ونظرٍ في مآلات الأفعال، بمعنى استشراف النتائج والآثار المترتبة عن تلك الأفعال؛ فهذه النتائج والآثار تعتبر العملية المتوخاه من الاجتهاد التشريعي كله.[25] نوجزها في الآتي:

المسألة الأولى: دورانها مع الأسرة

1-**قبل تكوين الأسرة:** من المعلوم أن بداية تكوين الأسرة تبدأ في الغالب من الخطبة؛ وهي الوعد بالزواج، كما عرفها الفقهاء.[26] إذ هي أظهار الرغبة في الزواج بإمرأة معينة، وإعلام المرأة وليها بذلك. ولها أحكام خاصة بها فصل الفقهاء فيها مما لايتسع المقام لذكرها، لكن من أهمها التواصل عبر الوسائط الحديثة وضوابطه.

2- **أثناء تكوين الأسرة:** ثم بعد الزواج أباحت الشريعة لكل من الزوجين الاستمتاع بالآخر بكآفة الوسائل المشروعة، والتي تيسر إنجاب الذرية نتيجة الشهوة الغريزية التي ضبطتها الشريعة وسنت الأحكام لتفريغها في الحلال المباح. الا أنه هناك إشكالية فقهية: الحمل عن طريق التلقيح الصناعي: الحمل بواسطة التلقيح الصناعي أو ما يسمى بطفل الأنبوب وله صور؛ منها الجائز، ومنها المحرم، والصور الجائزة صدر به ا قرار مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي؛ ومما جاء فيه:(إن الإسلوب الثالث– الذي يؤخذ فيه البذرتان الذكرية والأنثوية من رجل وامرأة زوجين أحدهما للآخر، ويتم تلقيحها خارجياً في انبوب إختبار، ثم تزرع اللُقيحة، في رحم الزوجة نفسها صاحبة البويضة؛ هو اسلوب مقبول مبدئياً في ذاته بالنظر الشرعي، لكنه غير سليم تماماً من موجبات الشك فيما يستلزمه

---

18 –الدريني: فتحي الدريني/ المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي – مؤسسة الرسالة– الطبعة3 لسنة 1434هـ– 2013م. ص 13.

19 – الزحيلي:وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، القسم السادس الأحوال الشخصية، [26] الباب الأول: الزواج وآثاره، الفصل الأول_ مقدمات الزواج– الثالث عشر–العدول عن الخطبة وأثره.ص 6509.

ويحيط به من ملابسات. فينبغي الا يُلجأ إليه الا في حالات الضرورة القصوى، وبعد أن تتوفر الشروط مما جاء في نص القرار)[27]

المسألة الثانية:النوازل التي تهدد استقرار الأسرة(الطلاق): ومن النوازل وقوع الطلاق الذي يحل آصرة النكاح لكنه لا يحل آصرة النسب ولا يسقط النفقة وغيرها من التبعات التي قد يُلجاء للقضاء لحسم الخلاف فيها. وهو آخر مراحل معالجة الخلاف وعدم التوافق في الأسرة، إذ ليس الطلاق يفسد الزوجية ويحل عراها المقدسة، و إنما سوء التفاهم الذي يقع بين الزوجين ويعوق أحكام هذه العروة ويدك صرحها والطلاق وحده هو الذي يضع جدا لما عساه ينشأ بين الزوجين من نفور قبل أن يستفحل ويصبح شراً مستطيراً على المجتمع[28]"

المطلب الثاني: النوازل ومرتكزات تحقيق المقاصد الخاصة بالأسرة في ظل القانون

هذا المطلب معالجة تطبيقية ذات بعد إنساني لمدى فاعلية تنزيل المقاصد الأسرية في معالجة الإشكالات الأسرية، فضلاً عن الضوابط التي ينبغي لفقهاء القانون مراعاتها لضبط عملية التفعيل المقاصدي لضمان الالتزام بشرع الله وتكامل التنظير مع التنزيل. بالتطبيق على القانون (قانون الأحوال الشخصية السوداني للمسلمين لسن1991م)

الفرع الأول:التعريف بالقانون

المسألة الأولي: اسم القانون ومشتملاته؛ يسمي قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لسنة 1991م.وقد اشتمل على خمسة كتب لها أبواب تتضمن فصول ومواد تزيد عن الأربعمائة مادة غالبها لها فروع عالجت خمسة مواضيع كلية هي:1- أحكام الزواج وآثاره، 2- الفرقة بين الزوجين، 3- الأهلية والولاية، 4- الهبة والوصية والوقف، 5- الإرث. حيث ضبط طرق كسب المال المعتبرة شرعاً في توافق مع النص الشرعي لبيان أسس نظام مالي محكم لا تستطيع

---

[27] 20 – موقع إسلام ويب :أحكام تتعلق بالتلقيح الصناعي، فتوى رقم 5995 تاريخ النشر،السبت 20جمادى الاخر 1422هـ الموافق 8-9-2001م

[28] الكعكي: أحمد يحي، معالم النظام الاجتماعي في الاسلام، ط3/ دار النهضة –بيروت 1992م ص 30 – 235.

كل جهود المشرعين الوضعين أن يوجدوا ما يضاهيه لأنه عادل صادر من العدل الحكم عز وجل.

المسألة الثانية: نبذه تاريخيه: وضعته حكومة الجبهةالاسلامية القومية في بداية استلامها للسلطة إبان انشغالها بتطبيق المشروع الحضاري الاسلامي، الذي تتمحور غالبية تصوراته لمجتمع الفضيلة، برؤى تقدمية لشيخ الحركة الإسلامية وعراب نظام حكومة الإنقاذ الراحل حسن الترابي وهو بحمد قانون مستمد من أحكام الشريعة الاسلامية، وقد وردت عليه تعديلات، وفي الآونة الأخيرة وزير العدل السوداني المقال بإصدار القرار رقم(47) لعام 2020م، بتشكيل لجنة لتعديل القانون، غير أن القرار بحمد الله لم ينفذ. أما البنود التي يتحفظ عليها بعضهم: بند سن الزواج؛ المحدد بعشر سنوات للفتاة – والولاية في الزواج. وبنود الطلاق والعصمة، والميراث والإثبات النسب، والنفقة وغيرها. وأما البنود التي أجرت الحكومة الانتقالية تعديلات جوهرية ف1- تجريم ختان الإناث 2- السماح للمرأة باصطحاب أطفالها للسفر خارج البلاد دون إذن أو موافقة الأب في حال إنفصال الزوجين. وتم ردّ تعديلات مقترحة تمس ثوابت الأمة بمنطقية مخالفات إجرائية وأخرى موضوعية تتمثل في طريقة اختيار اللجنة المعنية ومعيار اختيارهم لأنهم ليسوا أكثر من ناشطين سياسياً يحملون تناقضات وانفعالات.

الفرع الثاني: مقارنة بين نصوص القانون ومقاصد الشريعة:

المقصد الأصلي للزواج هو ما عملت نصوص القانون لترسيخه وبناء مصلحة الأبناء عليه كما أكدت حقوقهم بالتفصيل.

المسألة الأولى: التقعيد لقيام مؤسسة الزواج بصورة تخفف من وقوع نازلة الطلاق

تناولت المواد من1-4: التسمية ونطاق التطبيق وإلغاء المواد التي موضوعها الأحوال الشخصية في القوانين السودانية الأخرى كالقانون المدني والمنشورات الشرعية والمذكرات والتعليمات السابقة. **والمقصد** من كل هذا توضيح وبيان القانون ومن ثم يسهل التطبيق، المادة 6 أشارت للمباديء الفقهية التي تتم مراعاتها عند تطبيق القانون. والمقصد تفعيل قاعدة حاكمية النصوص الشرعية بالمعنى الواسع للنص وليس المعنى المحدود بالآيات.حيث إشتمل **الكتاب الأول: أحكام الزواج وآثاره**(الباب الأول: الخطبة المواد من7-10، الباب الثاني:

الزواج تعريفه المادة 11، الباب الثالث: ركنا عقد الزواج المادة 12وفيه فصول من المادة 13-52، الباب الرابع: أنواع الزواج من المادة 53-64، الباب الخامس: آثار الزواج" أحكام النفقات والطاعة والنسب والحضانة" وفيه فصول وفروع من المادة 65-126). و**المقصد** منه ترتيب الآثار الشرعية على الزواج الشرعي في صورته الصحيحة وبيان الحقوق والواجبات بصورة واجبة وملزمة؛ بحيث تودي لديمومة الحياة الزوجية واستمرارها.

المسألة الثانية: التقعيد لحفظ الحقوق ومعالجة القصور عند وقوع الطلاق

كما تضمن **الكتاب الثاني:الفرقة بين الزوجين** (المادة 127تناولت وجوه الفرقة، الباب الأول: الطلاق من المادة 128-141، الباب الثاني: الخلع من المادة 142-150، الباب الثالث: التطليق من المادة 151- 203، الباب الرابع: الفسخ المواد 204-206، الباب الخامس: آثار الفرقة بين الزوجين من المادة 207-213) **والمقصد** منه معالجة نازلة النشوز وبيان الضوابط القانونية-وهي مستمدة من أحكام الشريعة- للفرقة وتطبيق مقاصد الشريعة العامة كالعدل والتيسير ورفع الضرر. وفي المواد أعلاه تمت مراعاة المحافظة على مقصود الشارع الحكيم من تشريع الزواج والأحكام الخاصة به واعتبار بعض وجوه الفرقة وكل ما من شأنه تحقيق المقصد الشرعي العام(جلب المصلحة ودفع المفسدة) حتى في حال النوازل وسد الذرائع بل ومرعاة مآلات الأفعال.

الخاتمة

تعتبر النوازل والوقائع المستجدة من سنن الله في الكون حيث حاجات الناس لا متناهية بالتالي لابد من ضبطها وتنزيل الأحكام الشرعية عليها بعد تصورها التصور السليم والتعرف عليها وهي ذات أبعاد متعددة اختصت الدراسة بالبعد الإنساني لها في إطار الأسرة بمفهومها الواسع- المجتمع- والأسرة بمفهوم الزوجية وما أنحدر منها، وخرجت ب**النتائج** التالية:

1- المقاصد الخاصة بالمجتمع(الأسرة الكبرى) هي التماسك والتعاون والاستقرار، مؤخراً قد أظهرت نازلة وباء كرونا أهمية القيم والأخلاق التي تبعث على تحقيق التكافل والتعاضد حتي يتم تجاوز المحن، كما أظهرت المجتمع الغربي بثوب قبيح حيث تجرد من

أنسانيته بالتخلص من المرضى كبار السن بالامتناع عن علاجهم بدعوى حاجة الأصغر سناً له.

2- المنهج الاسلامي في التعامل مع النوازل يقوم على مرتكزات عدة منها الصبر والاحتساب وقد حثت الشريعة عليه وعظمت له الأجر والثواب. ثم التحرز من شرك الأسباب وفي هذا أمران؛ أولهما الأخذ بالأسباب أمر مطلوب شرعاً، والأمر الثاني؛ اليقين بأن تلك الأسباب جعلها الله طرقاً إلى النتائج. وعدم اليأس واستعجال الفرج ذلك أن اليأس من علامات ضعف الإيمان والشك في قدرة المولى عز وجل. فحسن الظن بالله واليقين في أمره وفعله من الإيمان.

3- مع إن المقصد الأصلي للزواج هو نقاء النسل وحفظه من الاختلاط إلا أن هناك نوازل عكف المعاصرون عليها واستخراج أحكامها خشية أن توقع خللاً أو ضرراً للمقصد الشرعي الذي يعتبر من كليات الشريعة(حفظ النسل/ العرض/ النسب).

4- مفهوم الأسرة يؤطر لإخراج الزواج من إطار اللذة والشهوانية فقط إلى دائرة أوسع إلى بناء المؤسسة القائمة على تحقيق عبادة الله ويقوم على قيم أبرزها **التوحيد، الاستخلاف** وبالتالي **التزكية** المطلوبة. وعليه فإن الخطاب القرآني يُسكن قضية الزواج في أكثر مستوى من مستويات العمران الاجتماعي: الرجل والمرأة، الأسرة، المجتمع، الإنسانية. ولكلٍ نوازل تتفاوت تأثيراتها على المستوى الانساني.

5- للشارع الحكيم نوعين من المقاصد: مقاصد الخالق من الخلق، ومقاصده من التشريع، ويتمثل أولها في عبادته سبحانه وتعالى، حين يتمثل الثاني في الغاية التي يرمي إليها التشريع والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من الأحكام. وبذلك تستهدف الشريعة تحقيق مقصد عام: إسعاد الأفراد والجماعة وحفظ النظام وتعمير الدنيا بكل ما يوصل إلى الخير والكمال الإنساني فالدنيا مزرعة الآخرة.[29]

6-المشرع السوداني في قانون الأحوال الشخصية لسنة 1991م وضع بصمات واضحة لمعالجة النوازل وضبط الوقائع قانوناً بصورة متوافقة مع أحكام الشريعة وراعي كلياتها القائمة على العدل والتيسير ورفع الضرر وغيرها.

24- العالم: يوسف حامد العالم، مقاصد الشريعة [29]

التوصيات:

1- ضرورة الاهتمام بقضايا الأسرة وإشكالاتها والفهم العميق للواقع التنبوء للقادم حتى يمكن ضبط تنزيل الأحكام للنوازل والمستجدات على ضوء الكتاب والسنة.

2- الانتباه لمآلات الاجتهادات الفقهية واستصحاب المصلحة في مراحل ضبط الوقائع.

3-التشبيك بين المؤسسات والهيئات ومراكز دراسات الأسرة للعمل معاً في شبكة واحدة لتهيئة حياة الأسر لتنعم بالأنس والتواصل الوجداني والحسي.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور: محمد الطاهر محمد ابن عاشور،الدار التونسية للنشر 1984م.
- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الناشر مؤسسة الرسالة 2006م.
- صحيح مسلم بن حجاج القشيري بشرح النووي: النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1 سنة 13347-1929م.

لسان العرب: ابن منظور: جمال الدين بن محمد بن مكرم، دار صادر بيروت. الطبعة 5.

محيط المحيط: بطرس البستاني مكتبة لبنان-بيروت-

المعجم الوسيط.ابراهيم ونيس وآخرون

الأسرة المسلمة في العالم المعاصر: الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر بيروت طبعة 2000م.

الأسرة في الغرب أسباب تغير مفهومها ووظيفتها- دراسة نقدية: كرار: خديجة كرار الشيخ.

الأسرة في مقاصد الشريعة (قراءة في قضايا الزواج والطلاق في أمريكا: العلواني: زينب طه العلواني، منشورات المعهد العالمي للفكر الاسلامي – فيرجينيا- أمريكا 1434هـ-2013م.

التفكك الأسري الأسباب والمشكلات علاجها: السيد: إبراهيم جابر السيد.

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول الشوكاني: الإمام الحافظ محمد بن علي بن محمد الشوكاني" 1173 – 1250هـ: حققه: أ. د شعبان محمد إسماعيل, دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة, مصر– القاهرة, الطبعة الثالثة 1430هـ – 2009م.

دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة: عبدالناصر أبوبصل، دار النفائس – الأردن–عمان ط1 سنة1421هـ–2001م.

فلسفة مقاصد في الفقه الإسلامي: د. خليفة بابكر الحسن، الناشر دار الفكر – الخرطوم– ا قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لسنة 1991م للمسلمين لسنة1991مجمهورية السودان– وزارة العدل.

معالم النظام الاجتماعي في الاسلام: الكعكي: أحمد يحي، ط3/ دار النهضة –بيروت 1992م.

معلمة الفقه المالكي عبدالعزيز: بن عبدالله: ص18، دار الغرب الإسلامي، ط2 سنة 1403هـ–1983م.

مقاصد الشريعة الإسلامية: ابن عاشور: محمد الطاهر محمد بن عاشور، تحقيق الشيخ محمد الحبيب الخوجة.طبعة على نفقة قطر1425هـ–2004م.

مقاصد الشريعة الاسلامية: الدكتور يوسف حامد العالم، الناشر الدار السودانية للكتب– الخرطوم–1419–1998م.

وباء كورونا وسؤال القيم: كُهُوس: أد. رشيد كهوس ، أستاذ التعليم العالي بكلية أصول الدين بتطوان– جامعة عبدالمالك السعدي –المغرب–/ بحث منشور في المؤتمر الدولي الخامس(الأسرة في زمن كورونا).

الشبكة العنكبوتية:

أحكام تتعلق بالتلقيح الصناعي: موقع إسلام ويب فتوى رقم 5995 تاريخ النشر،السبت 20جمادى الاخر 1422هـ الموافق 8–9–2001م.

ضوابط فقه النوازل: الأصم: عبدالله بن محمد الأصم، موقع المسلم 1349/3/8

Manal Abdalla Ali Ahmed; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 148-168

Ahmed Ibrahim Issa; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 169-204

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal
A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota / USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

يكون أو لا يكون: خيار المدارس الإسلامية في مواجهة مشاكل التعليم لأبناء مسلمي بريطانيا

To be or not to be: The choice of the Islamic schools in the face of education problems for the children of Britain Muslims

دكتور أحمد إبراهيم عيسى

Dr Ahmed Ibrahim Issa

دكتوراه العقيدة وأصول الدين الجامعة الإسلامية بمنيسوتا أمريكا

دكتوراه الطب جامعة برمنجهام بريطانيا

باحث شرعي وتربوي وطبيب مقيم ببريطانيا

Original Research Article

*Corresponding author
Ahmed Ibrahim Issa

Article History
Received: 08.07.2023
Accepted: 12.08.2023
Published:.20.09.2023

الملخص:

تدرك الأسرة المسلمة في بريطانيا أهمية التعليم لأولادهم، لبناء الهوية الدينية، والشخصية السوية، والمواطنة الصالحة، إلى جانب الصعود في سلم التخرج، والدخول في سوق العمل. ولكن هناك إشكالية معاصرة أضحت في مقام (النازلة)، ألا وهي انحدار مستوى التعليم قبل الجامعة، وتأثيره السلبي على فرص التعليم العالي والعمل، وتأثر الطلاب بسلوكيات وأخلاقيات المجتمع والمدارس المتحررة من الدين، وتعرض الجيل الجديد لخطر الذوبان في المجتمع، والتعرض للدروس الإجبارية عن الجنس والعلاقات الشاذة من عمر مبكر. ومن هنا تأتي حيرة الأسرة المسلمة في بريطانيا المرتبطة باختيار مكان تعليم الأبناء؛ هل يرسلونهم إلى المدارس العادية مع التخوف من العنصرية والكراهية والتأثر بأقران السوء، والمناهج اللادينية (العَلمانية) مثل نظرية التطور لداروين، أم للمدارس الإسلامية رغم قلتها، رغبة في الحفاظ على العقيدة والتمسك بمكارم الأخلاق؟ تهدف الورقة، من خلال المنهجين الوصفي والتحليلي، بتعريف المدرسة الإسلامية، وإلقاء الضوء على تاريخ حركة المدارس الإسلامية في بريطانيا، وتبين واقع مسلمي بريطانيا المرتبط بالتعليم من خلال أحدث المعطيات. وتحاول مناقشة الآراء المختلفة حول وجود هذه المدارس في بريطانيا، وتستكشف المعوقات والتحديات التي تواجهها. رجحت الدراسة تفضيل المدارس الإسلامية، وأوصت بأن يقدم أهل العلم في أوروبا فتوى شرعية لهذه النازلة.

الكلمات المفتاحية: المدارس الإسلامية – بريطانيا – تردي التعليم – النوازل الفقهية

والعلوم عند أهل الديانات ثلاثة كما يقول ابن عبد البر: فالعلم الأعلى هو علم الدين الإلهي، والعلم الأوسط هو معرفة علوم الدنيا كعلم الطب والهندسة، والعلم الثالث هو أحكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة والفروسية والخياطة وهي التي تحصل بتدريب الجوارح.[3]

وقد استخدم علماء المسلمين كلمة "وجوب" تعليم الأبناء واعتبروا أن من حق الولد، ذكرا كان أو أنثى، على والده أن يعلمه. ولقد ذهب الإسلام إلى أبعد مما نصت عليه دساتير الدول والمواثيق الدولية وميثاق حقوق الإنسان التي اعتبرت التعليم "حقا" لكل فرد تكفله له الدولة وتوفره. والإسلام يعتبر التعليم ليس مجرد حق وإنما هو فرض واجب وفرض عين على كل مسلم ومسلمة.[4]

ومما يميز الحقبة الأخيرة لمسلمي بريطانيا سعيهم لإقامة مؤسسات تعليمية ترعى شئون أبنائهم وتقوم

شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط1، 2002، ج8 ص3118).

[3] ينظر: أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت: 463هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1994. ج2، 788–790.

[4] يظر: محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، 2005، ص96.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد، فإن من أعظم ما افترضه الله على المسلمين في كل مكان تجاه نعمة الذرية أن نقوم على أمر تربيتهم وتعليمهم. أورد الطبري في تفسيره قول عليّ رضي الله عنه في قوله تعالى: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قال: علِّموهم، وأدّبوهم.[1]

وعن أيوب بن موسى، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن".[2] والمعنى: أن أفضل ما يهَبُ الوالدُ ولده.

[1] أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث – مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر، ج23، ص491.

[2] رواه الترمذي في كتاب الآداب– باب الشفقة والرحمة على الخلق، رقم الحديث 4977. وقال الترمذي: هذا عندي حديث مرسل. قال الملا القاري: إن أراد به جده الكبير (أي جد أبيه وهو سعيد بن العاص)، فلا يضر الحديث؛ لأنه حينئذ من مراسيل الصحابة، وهو مقبول عند الكل، وإن أراد به جده بلا واسطة (أي عمرو بن سعيد بن العاص) فهو المرسل المتعارف، لكنه حجة عند الجمهور على أن الحديث من فضائل الأعمال (أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح

المجتمع. والتعرض للدروس الإجبارية عن الجنس والعلاقات الشاذة من عمر مبكر. ومن هنا تأتي حيرة الأسرة المسلمة في بريطانيا المرتبطة باختيار مكان تعليم الأبناء؛ هل يرسلونهم إلى المدارس العادية مع التخوف من العنصرية والكراهية والتأثر بأقران السوء، والمناهج اللادينية (العلمانية) مثل نظرية التطور لدارون، أم للمدارس الإسلامية رغم قلتها، رغبة في الحفاظ على العقيدة والتمسك بمكارم الأخلاق، أم هناك بدائل أخرى؟

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

أظهرت الإحصاءات الجديدة تردي النتائج الدراسية وارتفاع نسبة البطالة بين المسلمين في بريطانيا، كما أدى التأثير العلماني، والتحيز، والإسلاموفوبيا في العديد من المؤسسات بما فيها المدارس، إلى صعوبة التزام المسلمين بعقيدتهم وأخلاقهم. ويرى العديد من أسر مسلمي بريطانيا أن أحد الحلول هو المدارس الإسلامية كوسيلة للحفاظ على الهوية والامتياز الأكاديمي لأبنائهم. وزاد من أهمية الموضوع مقاومة ومحاربة إنشاء المدارس، أو التربص بالمدارس المقامة من قبل فئات في المجتمع البريطاني. كما أنني شخصيا عاصرت الموضوع حيث تطوعتُ لعدة سنوات كرئيس للمجلس الإداري الحكومي لأحد المدارس في على تربيتهم. ولكن لايزال أمام المدارس الكثير سواء كان في المناهج الدينية المواكبة للعصر والبيئة، أم في أشطتها التربوية المصاحبة للعملية التعليمية، أم في القائمين على التدريس وتأهيلهم التأهيل المناسب لأداء رسالتهم. فالمدارس الإسلامية لابد أن تكون مميزة في عطائها وسلوكها، حريصة على أبناء المسلمين من كل الجوانب التعليمية والتربوية والحفاظ على الهوية، وإلا كانت عبئاً جديداً بحاجة إلى علاج.[5]

ولا يشك أحد أن كل أسرة مسلمة تدرك أهمية التعليم للأطفال والناشئة والشباب، لبناء الهوية الدينية، والشخصية السوية، والمواطنة الصالحة، إلى جانب التدرج في سلم التأهيل وسوق العمل. ولكن الناظر إلى المجتمع المسلم في بريطانيا، سيجد إشكالية معاصرة أضحت في مقام النازلة، وهي انحدار مستوى التعليم قبل الجامعة، وتأثيره السلبي على فرص التعليم العالي والعمل، وتأثر الطلاب بسلوكيات وأخلاقيات المجتمع والمدارس المتحررة من الدين، وتعرض الجيل الجديد لخطر الذوبان في

[5] ينظر: حس حلاوة، قواعد الاندماج الإيجابي للمسلمين في أوروبا، المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، العددان 12–13 يوليو 2008: 292–340.

مشكلة البحث:

تتبين مشكلة البحث في الإجابة على التساؤل الرئيس: هل تعتبر المدارس الإسلامية في بريطانيا حلا لنازلة تردي التعليم لأبناء الأقلية المسلمة في بريطانيا؟ وتتفرع على السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

ما المقصود بالمدارس الإسلامية وما تاريخها في بريطانيا؟

ما واقع مسلمي بريطانيا المرتبط بالتربية والتعليم؟

ما التحديات (النوازل) التي تواجه الأسرة المسلمة في بريطانيا في مجال تعليم أبنائهم؟

ما الآراء المختلفة حول وجود المدارس الإسلامية في بريطانيا؟

ماذا يعيق عمل وانتشار المدارس الإسلامية من معوقات وتحديات؟

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي، الذي يهتم بوصف الظاهرة محل الدراسة ودراسة الحقائق المتعلقة بها من خلال الحصول على معلومات حولها وتصنيف هذه المعلومات وتفسيرها للخروج بنتائج حولها. والمنهج التحليلي للخروج بصورة واضحة عن موضوع البحث.

بريطانيا. ورأيت بأم عيني أثر بيئة المدرسة الإسلامية على سلوك الطلاب وتحصيلهم الدراسي. وهذا البحث يعرض أحدث المستجدات في هذا الشأن.

أهداف البحث:

أردت من البحث أن يحقق الأهداف الآتية:

تعريف المدرسة الإسلامية، وإلقاء الضوء على تاريخ حركة المدارس الإسلامية في بريطانيا

بيان واقع مسلمي بريطانيا المرتبط بالتربية والتعليم من خلال أحدث المعطيات

استقراء التحديات (النوازل) التي تواجه الأسرة المسلمة في بريطانيا في مجال تعليم أبنائهم

مناقشة الآراء المختلفة حول وجود المدارس الإسلامية في بريطانيا

استكشاف معوقات وتحديات انتشار المدارس الإسلامية في بريطانيا

حدود البحث:

سيتناول البحث الموضوع في بريطانيا، وبخصوص المدارس الابتدائية والثانوية الكاملة الدوام، وليست مدارس القرآن الكريم في المساء أو عطلة نهاية الأسبوع. أما الحدود الزمانية فمنذ 1983 حين تُقدم بأول طلب لإنشاء مدرسة إسلامية في بريطانيا، وحتى الآن.

تواجههـا"، *مجلـة عجمـان للدراسـات والبحـوث* 13 (2) 2014: 185–215.

اهتمت تلك الدراسة بشكل خاص بمناقشة المبررات التي دعت إلى إنشاء المدارس الإسلامية، وأهم التحديات التي تواجهها في السياق التربوي البريطاني. وتختلف عن ورقتي أنها كتبت منذ عشر سنوات، ولا شك أن تطورات كثيرة وقعت خلال ذلك، ستتطرق إليها هذه الورقة الحالية.

3- **Hammad, W., & Shah, S. (2019). Leading faith schools in a secular society: Challenges facing head teachers of Muslim schools in the United Kingdom. Educational Management Administration & Leadership, 47(6): 943–959**

سعت تلك الدراسة إلى استكشاف تجارب القيادة والتحديات التي يراها مديرو المدارس الإسلامية في بريطانيا، خلال مقابلات مع عينة من مديري أربع مدارس إسلامية في لندن ونوتنجهام. كشفت النتائج أنه على الرغم من أن المدراء المشاركين كانوا

الدراسات السابقة:

تتركز الدراسات في أبحاث المعاصرين وذلك لجدة الموضوع وأغلب الدراسات باللغة الإنجليزية نظرا لأن واقع المشكلة في بريطانيا، كما توجد أبحاث المجامع الفقهية في الغرب كالمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وإصدارات المجلس الأوروبي للأئمة، وجمعية المدارس الإسلامية. من أمثلة الدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة:

1- باسنت فتحي محمود، ودرويش محمد درويش، تعليم أبناء الأقلية المسلمة في بريطانيا "دراسة تحليلية"، *مستقبل التربية العربية*، 17 (65) 2010: 233–334.

في الحقيقة عنوان هذا البحث لا يدل على مضمونه، فقد ركز على التعرف على حقيقة الوجود الإسلامي في أوروبا، ثم الكشف عن الأوضاع العامة للأقلية المسلمة في المجتمع البريطاني، مع محاولة الوقوف على أهم الإشكاليات التي تواجه الأقلية المسلمة في بريطانيا بصفة عامة. وبهذا يختلف عن ورقتي التي تركز على المدارس الإسلامية.

2- وحيد شاهبور حماد، "المدارس الإسلامية كأحد أشكال التعليم الديني في بريطانيا: مبررات إنشائها والتحديات التي

المطلب الثاني: لا يكون (الاتجاه والخيار غير المؤيد للمدارس الإسلامية)

المبحث الرابع: معوقات وتحديات انتشار المدارس الإسلامية في بريطانيا

المطلب الأول: الإسلاموفوبيا المنهجية في مجال التعليم (فضيحة حصان طروادة كمثال)

المطلب الثاني: الإعلام المغرض

التمهيد: تعريف المدرسة الإسلامية، ونبذة تاريخية

تعريف المدرسة الإسلامية في بريطانيا:

في سياق بريطانيا، توصف المدارس الدينية بأنها مدرسة تدرس المواد التعليمية العامة، والمناهج الدراسية المضمنة في إطار أيديولوجية دينية محددة. ولديها ميزة إعطاء الأولوية للمتقدمين بناءً على تراثهم الديني، ولكن يجب عليها إتاحة مساحة للمتقدمين من الأديان الأخرى.[6]

[6] Paul, R. and Bolton, P. (2018). Faith Schools in England: FAQs. [online] commons-library. Available at: http://researchbriefings.files.parliament.uk/documents/SN06972/SN06972.pdf+&cd=1&hl=en&ct=clnk&gl=uk, Accessed 21 Nov. 2018..

فخورين بدورهم كقادة للمدارس الإسلامية، إلا أنهم واجهوا تحديات كبيرة في ممارستهم للقيادة داخل المجتمع العلماني البريطاني. ورقتي الحالية تحاول البحث عن تلك التحديات من منظور أوسع وأشمل.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، تحت كل مبحث مطلبان، ثم خاتمة وتوصيات

التمهيد: تعريف المدرسة الإسلامية ونبذة تاريخية

المبحث الأول: واقع مسلمي بريطانيا المرتبط بالتربية والتعليم

المطلب الأول: تردي النتائج الدراسية وارتفاع نسبة البطالة

المطلب الثاني: أسباب تردي مستوى التعليم

المبحث الثاني: التحديات (النوازل) التي تواجه الأسرة المسلمة في بريطانيا في مجال تعليم أبنائهم

المطلب الأول: تحديات الذوبان الثقافي

المطلب الثاني: قلة عدد المدارس الإسلامية الممولة من الدولة

المبحث الثالث: مناقشة الآراء حول ضرورة وجود المدارس الإسلامية في بريطانيا

المطلب الأول: يكون (الاتجاه والخيار المؤيد للمدارس الإسلامية)

رائدي التعليم الإسلامي في بريطانيا هم يوسف إسلام، وعبد الكريم ثاقب، وزاهدة حسين.

بدأ يوسف إسلام اهتمامه بالتعليم الإسلامي عام 1983 عندما أصبح رئيساً لوقف المدارس الإسلامية ببريطانيا، فأسس المدرسة الابتدائية الإسلامية ذات اليوم الكامل تحت اسم (إسلامية) في شمال لندن، وهي أول مدرسة إسلامية بريطانية، ثم تابع إنشاء مدرسة ثانوية للبنات تسمى أيضاً (إسلامية) عام 1989. وطالب يوسف إسلام الحكومة البريطانية بتخصيص ميزانية للمدارس الإسلامية أسوة بالطوائف الدينية المسيحية واليهودية، ولم ييأس رغم أن الحكومة لم تستجب لطلبه، بل استمر في الحملة إلى أن وافقت حكومة حزب العمال عام 1998 على تخصيص ميزانية لدعم المدرسة الإسلامية الابتدائية.

وفي عام 1988 بدأ ثاقب، نواة مدرسة (الهجرة) بمدينة برمنجهام، ونجح في عام 2002 بعد جهد رائع وتفانٍ نادر أن يحول القسم الثانوي إلى أول مدرسة ثانوية إسلامية للبنين والبنات (قسمان منفصلان في مبنى واحد) في بريطانيا تحصل على الدعم الحكومي. وكانت المدرسة نموذجاً رائعاً تحاول مدارس بريطانية وأوروبية الاقتداء به. وبالنظر إلى النتائج فقد أحرزت كل المدارس المدعمة نسب نجاح متقدمة، متفوقة على معظم المدارس الحكومية وحتى تحوز المدارس الدينية بتمويل الدولة، فيجب أن تتبع المدارس المناهج الوطنية، لكن يمكنها اختيار ما تعلمه في الدراسات الدينية. قد يكون لدى المدارس الدينية معايير قبول وسياسات توظيف مختلفة في مدارس الدولة، على الرغم من أنه يمكن لأي شخص التقدم للحصول على مكان.[7]

ومدرسة العقيدة الإسلامية هي نوع من المدارس الدينية المضمنة للقيم والأخلاقيات الإسلامية الجوهرية والشاملة.[8]

نبذة تاريخية:

منذ أن وطئت أقدام المسلمين أرض الجزر البريطانية يذهب أبناؤهم إلى الزوايا والمساجد لتعلم القرآن الكريم، إما بعد انتهاء اليوم الدراسي أو في عطلة نهاية الأسبوع. ثم ظهر ثلاثة من

---

[7] Faith Schools, https://www.gov.uk/types-of-school/faith-schools

[8] Ruhul Ameen and Nasima Hassan (2013) 'Are faith schools educationally defensible?', Research in Teacher Education, 3 (1):11-17

آسيوية (هندي، باكستاني، بنجلاديشي)، و10٪ من مجموعات عرقية سوداء، يدخل فيهم الأفارقة والصوماليون وجزر الهند الغربية، و8٪ من مجموعات عرقية بيضاء، و6٪ من مجموعات عرقية عربية. ويدخل فيهم الداخلون إلى الإسلام من الأصول المختلفة.[10]

المطلب الأول: تردي النتائج الدراسية وارتفاع نسبة البطالة

يشكل تردي النتائج الدراسية وارتفاع نسبة البطالة بين المسلمين في بريطانيا تحدياً كبيراً يؤرق أهل التربية والتعليم. فالنسبة المئوية للطلاب الذين حصلوا على 3 مواد على الأقل في المستوى الثانوي المتقدم المؤهل للجامعة، هي 17.7٪من الباكستان، و21.4٪من البنجلاديش، بالمقارنة ممن هم من أصل صيني 42٪.[11]

الأخرى. ولكن بعد صراع قانوني أقفلت المدرسة سنة 2019 وتحولت إلى ابتدائي فقط بحجة عدم قانونية الفصل بين الجنسين بين طلاب المدرسة.

أما زاهدة حسين فقد بدأت "مجموعة الدراسة الإسلامية" في برمنجهام والتي كانت نواة مدرسة الفرقان. وفي الأول من فبراير 1998 أصبحت مدرسة الفرقان الابتدائية أول مدرسة إسلامية ممولة من الدولة في إنجلترا. واستمرت المدرسة الثانوية تحت اسم كلية الفرقان المجتمعية (بنات) في البقاء مستقلة (أي خاصة، وبرسوم) وهي من بين أفضل المدارس الثانوية أداءً في إنجلترا.

المبحث الأول: واقع مسلمي بريطانيا المرتبط بالتعليم

وصل المسلمون في إنجلترا وويلز إلى أربعة ملايين حسب التعداد الأخير في 2021.[9] ثلث المجتمع البريطاني المسلم أقل من عمر 15 عاما. والتنوع العرقي للمجتمع المسلم هو صورة مصغرة لتنوع المجتمع البريطاني. يشير تعداد 2011 إلى أن 68٪ من المسلمين في بريطانيا من أصول بريطانية

[9] Office of National Statistics (ONS), Religion, England and Wales: Census 2021, Released 29 November 2022, ONS website.

[10] Office of National Statistics (ONS), Full story: What does the Census tell us about religion in Released 16 May 2013, ONS ?2011 website.

[11] Students getting 3 A grades or better at A level Published 26 May 2022

لديهم أعلى معدل بطالة من بين جميع المجموعات العرقية بنسبة 11٪، بالمقارنة بالبيض 4٪.[13]

وبين الرجال الذين يعملون، ولكنهم غير حاصلين على مؤهلات، كان الرجال الآسيويون هم أعلى معدل (60٪).[14]

وتؤدي البطالة إلى أنواع من الجرائم الاجتماعية، فارتفعت نسبة نزلاء السجون من المسلمين في إنجلترا وويلز، من ثمان بالمائة منذ عشرين سنة، إلى نسبة 17% (14 ألف سجين من مجموع 81

وطبقا لبيانات التلاميذ من المدارس الحكومية في إنجلترا الذين تقدموا بطلبات للحصول على دورات جامعية بدوام كامل من خلال خدمة قبول الجامعات والكليات (UCAS) في عام 2021، فالنسبة المئوية لتلاميذ المدارس الحكومية من أصل أسيوي، الذين تبلغ أعمارهم 18 عامًا والذين يحصلون على مكان في التعليم العالي هي 55٪، بالمقارنة ممن هم من أصل صيني (72٪).[12]

وطبقا لآخر الإحصاءات، فالأشخاص من المجموعات العرقية البنجلاديشية والباكستانية

[13] Unemployment Published 3 November 2022 https://www.ethnicity-facts-figures.service.gov.uk/work-pay-and-benefits/unemployment-and-economic-inactivity/unemployment/latest

[14] Employment by qualification level Published 11 October 2022 https://www.ethnicity-facts-figures.service.gov.uk/work-pay-and-benefits/employment/employment-by-qualification-level/latest

[12] Entry rates into higher education Published 9 March 2022 https://www.ethnicity-facts-figures.service.gov.uk/education-skills-and-training/higher-education/entry-rates-into-higher-education/latest

المطلب الثاني: أسباب تردي مستوى التعليم

وقد أجرت اللجنة الإسلامية لحقوق الإنسان دراسة استقصائية حول اختيارات المسلمين البريطانيين، وبين 1125 مسلمًا، يفضل 47.5٪ إرسال أطفالهم إلى مدرسة إسلامية بدلاً من مدرسة حكومية. وسيختار 38.5٪ من المشاركين أفضل مدرسة (بغض النظر عما إذا كانت مدرسة عادية أو مسلمة) و8.5٪ فقط اختاروا خيار المدرسة العادية. وأجاب 40٪ بأن قيمهم الدينية كانت مصدر القلق الأكبر لهم مع نمو أطفالهم.

ويمكن أيضًا ملاحظة التفضيل المنخفض للمدارس العادية على المستوى الوطني. لم يكن الأداء الأكاديمي السيئ لأطفالهم فقط هو الذي دفع العديد من الآباء المسلمين إلى اعتبار نظام التعليم البريطاني فاشلاً. فقد تساءل الآباء المسلمون عن القيم التي يتم نقلها في بيئة المدارس الحكومية وما إذا كانت هناك جوانب من الحرمان والتمييز التي تؤثر على قدرة الأطفال على بناء شعور إيجابي بهويتهم. بالإضافة إلى هذه المشاكل، تسببت البيئة الاجتماعية المدرسية أيضًا في قلق العديد من أسر ألف)، وهي ثلاثة أضعاف نسبتهم في تمثيل السكان.[15]

كل ذلك دعا الغيورين إلى التفكير في حلول وبدائل لرفع مستوى العلم والأخلاق، وهو تحدٍّ كبير وسط مجتمع لا تحكمه غالبا القيم الأخلاقية النبيلة، ويرى فيه التناقض العميق بين مكارم أخلاق الأسرة المسلمة وانحلال المجتمع، والفجوة بين المسجد والشارع، وبين الأب والمدرس.

وكانت فكرة المدارس الإسلامية أحد هذه الحلول حيث تسعى المدارس من خلال عملها وأنشطتها المختلفة إلى تحقيق بعض الأهداف المهمة في بناء الجيل القادم من أبناء المسلمين، مثل بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة، وربط الأبناء بحضارتهم الإسلامية، وإحياء تعلم القرآن الكريم واللغة العربية، بالإضافة الى الجو النظيف الذي يساعد على التفوق العلمي.

[15] Georgina Sturge, UK Prison Population Statistics, 25 October 2022 House of Commons Library, p12 https://researchbriefings.files.parliament.uk/documents/SN04334/SN04334.pdf

المسلمين.[18] ويصبح النقاش أكثر تعقيدًا عندما يبدو أن أداء الطلاب المسلمين أفضل في المدارس التي تضم أعدادًا أكبر من الطلاب المسلمين، والتي يمكن أن تكون نتيجة لشعور التلاميذ بتقدير دينهم، وشعورهم بالقبول في البيئة المدرسية، فضلاً عن قدرتهم على الارتباط بالمناهج الدراسية لأنها تتضمن قيمهم الدينية.

وتوضح الباحثة "شاه" أهمية الممارسة الشاملة للدين، مشيرة إلى أن أداء التلاميذ المسلمين ضعيف عندما يشعرون بالتهميش والتقليل من القيمة. "إن دمج الإسلام، ليس فقط في دروس التربية الدينية، ولكن أيضًا في الممارسات اليومية في الحضانة والحياة المدرسية، مثل الاحتفال بأعيادهم وإتاحة وقت للصلاة، سيعيد الطلاب إلى طبيعتهم ويجعل التلاميذ المسلمين يشعرون بأنهم جزء محترم من الحضانة أو المجتمع المدرسي، وبالتالي يتم تحسين نوعية التعليم وكذلك نوعية الحياة".[19]

المسلمين، لاسيما المضايقات التي يتعرض لها أبناؤهم التلاميذ المسلمون.[16]

أما عن أسباب تردي مستوى التعليم فيمكن أن يكون هناك العديد من العوامل المتفاعلة بما في ذلك "جنس الطالب، والخلفية الاجتماعية والاقتصادية، وعامل المدرسة، والمزيج السكاني، والمنطقة، ومدة الإقامة في بريطانيا، والعديد من العوامل الأخرى".[17] لكن الدراسات تعترف أيضًا بالتمييز الديني والإسلاموفوبيا على أنهما يؤديان إلى عدم الرضى وقلة التحصيل بين الطلاب

[16] What ?Secular or Islamic Schools do British Muslims want Saied R. Ameli ?for their children Islamic .Aliya Azam Arzu Merali Human Rights Commission, London 2005, p31.

[17] Shah, S. 2008. Leading multi–ethnic schools: Adjustments in concepts and practices for engaging with diversity. British Journal of Sociology of Education 29, no. 5: 523–36.

[18] MCB. 2007. Towards greater understanding: Meeting the needs of Muslim pupils in state schools. http://www.mcb.org.uk/downloads/Schoolinfoguidancev2.pdf

[19] Shah, S. (2018). "I am a Muslim first…" Challenges of Muslimness

المطلب الأول: تحديات الذوبان الثقافي

ولأن مسلمي أوروبا وبريطانيا يواجهون تحديات عنيدة بالعيش وسط بيئة لها فلسفتها المادية التي لا مجال فيها للوازع الديني، أو الروابط الأسرية، أو القوامة الإيجابية. ولأن التحديات تطال العقيدة، وممارسة العبادة، والعلاقة بالآخر، وإيجاد وسائل التعايش التي تجنب المسلم الذوبان الثقافي، كان لزاما الاهتمام بالمحافظة على العقيدة الإسلامية للجيل الصاعد في أوروبا. ويجب أن تتضافر الجهود، في البيت، والمدرسة، والمسجد، والإعلام الهادف، والمراكز الإسلامية.[22]

والتعليم هو مجرد جزء من العديد من مجالات الحياة الاجتماعية التي يمكن أن تكون مشكلة بالنسبة للمسلمين في بريطانيا. على الرغم من تعدد الأديان في البلاد، فإن التأثير المسيحي العلماني يتغلغل في العديد من المؤسسات العامة، مما يجعل من الصعب على المسلمين الالتزام بعقيدتهم والحفاظ على هويتهم الدينية. فعلى الرغم من الاحتجاجات البارزة مثلما حدث إبان "قضية سلمان رشدي"

المبحث الثاني: التحديات (النوازل) التي تواجه الأسرة المسلمة في بريطانيا في مجال تعليم أبنائهم

يطلق على العلم الذي يعنى بالنازلة عدة مصطلحات منها: فقه النوازل، والواقع، والمقاصد، والأولويات، والموازنات.[20] وفقه نوازل الأقليات ما هو إلا فرع من الفقه، أو فرع من فقه النوازل، ويرجع إلى عين القواعد الأصولية والفقهية التي يرجع إليها الفقه والفقهاء في كل عصر ومصر؛ إلا أنه يتجه إلى شيء من التخصص، ليحفظ الحياة الدينية للأقليات المسلمة ويراعي خصوصيتها، وجوانب الضرورة في حياتها، ويتعامل مع قواعد الموازنة بين المصالح والمفاسد.[21]

[22] ينظر: عبد الله بن بيه، صناعة الفتوى وفقه الأقليات (دبي: مسار للطباعة والنشر، ط3، 2018)، ص260.

and the UK State Schools. Leadership and Policy in Schools. 18(3). 341–356

[20] ينظر: عبد الله بن محمد الطيار، عبد الله المطلق، محمد الموسَى، الفقه الميَسَّر، مَدَار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 2011، ج13، ص7.

[21] ينظر: محمد يسري إبراهيم، فقه النوازل للأقليات المسلمة «تأصيلا وتطبيقا» أصل الكتاب: رسالة دكتوراه في الفقه الإسلامي من كلية الشَّريعة والقانون بجامعة الأزهر. دار اليسر، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط1، 2013، ج1، ص82.

القادرة على دفع الرسوم التي تفرضها المدارس الإسلامية المستقلة.

وبالتالي، كانت هناك مطالب متكررة لإدراج المزيد من المدارس الإسلامية في قطاع الدولة. ويثير الحد الأدنى من عدد المدارس الإسلامية التي منحت حتى الآن تمويلًا حكوميًا أسئلة ذات صلة بجميع مجتمعات الأقليات في المجتمعات متعددة الثقافات. ما هي الحقوق والمسؤوليات التي يجب أن تتمتع بها الأقليات؟ هل يجب حماية ثقافات الأقليات من الاستيعاب، وإذا كان الأمر كذلك فكيف؟ هل يجب أن نحترم جميع الثقافات بالتساوي؟ حتى غير الليبراليين؟ هل يضر التنوع الثقافي حتما بالتماسك الاجتماعي؟ كيف تبني الأقليات الدينية هوياتها وتحافظ عليها؟ هذه الأسئلة ذات أهمية حيوية لمجتمعات الأقليات والأغلبية، وقد حظيت باهتمام أكاديمي كبير.

نسبت أعمال الشغب التي اندلعت في شمال إنجلترا في صيف عام 2001، جزئيًا على الأقل، إلى الفصل عن المجتمع والتقوقع في التعليم. ووصفت المدارس التي تضم غالبية من التلاميذ المسلمين خطأً بأنها "مدارس إسلامية" في التقارير الرسمية، مما أدى إلى اعتبارها مثيرة للانقسام اجتماعياً. وأدت أحداث 11 سبتمبر 2001 إلى زيادة الشكوك حول الإسلام، مما أدى إلى اتهامات بأن المدارس عام 1989، لا تزال قوانين ازدراء الأديان سارية على المسيحية فقط. علاوة على ذلك، لا يحصل المسلمون حاليًا على نفس الحماية من التمييز التي يتمتع بها الأشخاص من أصل يهودي. لذلك فإن المسلمين ليس لديهم سوى القليل من الدفاع ضد الإسلاموفوبيا التي كثيرا ما يواجهونها من المجتمع البريطاني الأوسع. هذا الشعور السيئ العام وانعدام الحماية القانونية يمكن أن يجعل من الصعب على المسلمين في بريطانيا الحفاظ على هويتهم الدينية.

ويرى العديد من الآباء المسلمين التعليم في المدرسة الإسلامية وسيلة لمقاومة هذا الضغط الذي يدعو للتخلي عن هويتهم المميزة والاندماج في ثقافة الأغلبية. وتتأثر أيضًا رغبة بعض الآباء المسلمين في تعليم أطفالهم في بيئة إسلامية بالصعوبات التي قد يواجهها أطفالهم في مدارس الدولة العادية. وتتراوح هذه من المشكلات العملية مثل توفير اللحوم الحلال، إلى المخاوف الأساسية مثل مواجهة التحيز من زملاء التلاميذ والمعلمين. لعبت هذه العوامل دورًا في الزيادة السريعة في عدد المدارس الإسلامية المستقلة التي يدفع الآباء لها رسوما سنوية. ولكن بالنظر إلى أن المسلمين الباكستانيين والبنجلاديش هم أكثر الجماعات حرمانًا في بريطانيا، فإن قلة قليلة هي

و12 ذات مساعدة تطوعية، و155 مدرسة مستقلة. لا توجد مدارس إسلامية ممولة من الدولة في أيرلندا الشمالية أو إسكتلندا. هذا بالمقارنة بالعدد الكبير للمدارس المسيحية. فمدارس الكنيسة الأنجليكانية: 4377 ابتدائية، و209 ثانوية. ومدارس الكاثوليك: 1645 ابتدائية، و322 ثانوية.[24]

وطبقا للورقة المنشورة من مكتبة البرلمان البريطاني عام 2019 فتوجد فقط 31 مدرسة إسلامية (14 ابتدائية و17 ثانوية) تمولها الدولة في انجلترا، من مجموع عشرين ألف مدرسة ممولة من الدولة.[25]

المطلب الثاني: قلة عدد المدارس الإسلامية الممولة من الدولة

يختار كثير من الآباء المسلمين المدارس الإسلامية لأبنائهم بغية الحصول على تعليم جيد، وتربية إسلامية تحافظ على هوية وسلوك الأبناء. على الرغم من أن عدد المدارس الإسلامية لا يزال قليلا، إلا أنها تنمو بسرعة. ويبدو أن الطلب من أولياء الأمور ضخم، فقد اجتذبت مدرسة واحدة في برمنجهام 1500 طلبا لشغل 60 مقعدًا فقط.[23]

ووفقًا لجمعية المدارس الإسلامية، في عام 2018، كان هناك ما مجموعه 184 مدرسة إسلامية في إنجلترا: أكاديمية واحدة، و16 مدرسة مجانية، الإسلامية هي أرض خصبة لإرهابيي المستقبل. ثم أدت التفجيرات في لندن في يوليو 2005 إلى طرح سؤال حول ما إذا كان للمدارس الإسلامية دور تلعبه في حماية المسلمين البريطانيين الشباب من التأثيرات المتطرفة. وأدت هذه الحوادث إلى زيادة الجدل حول موضوع تعليم المسلمين.

[24] Trevor Barnes, Religion Media Centre, Factsheet: Faith school, 15 November 2018, https://religionmediacentre.org.uk/factsheets/faith-schools-in-the-uk/

[25] Robert Long and Shadi Danechi, Faith Schools in England: FAQs Briefing Paper Number 06972, 20 December 2019, House of commence Library, p21.

[23] Fran Abrams, "Islamic schools flourish to meet demand," *The Guardian*, 28 Nov 2011.

المراكز العشرة الأولى توجد مدرسة بريستون الثانوية الإسلامية للبنات.[26]

المبحث الثالث: مناقشة الآراء حول ضرورة وجود المدارس الإسلامية في بريطانيا

استنادًا إلى مجموعات التركيز المتعمقة والمقابلات مع المسلمين التي أجراها فريق من الأكاديميين، ونشرتها لجنة الحراك الاجتماعي في الحكومة البريطانية، فقد عبّر المشاركون عن رغبة في النجاح في المدرسة وخارجها. لكن الكثير شعروا أنهم يجب أن يعملوا "عشرة أضعاف" عمل غير المسلمين لمجرد الحصول على نفس الفرص بسبب الاختلافات الثقافية وأشكال التمييز المختلفة. وأفاد الشباب المسلمون الذين تمت مقابلتهم أن المعلمين غالبًا ما كانت لديهم توقعات نمطية أو توقعات منخفضة منهم، وعدم التشجيع على دراسة المواد الصعبة. وهذا له تأثيره السلبي على ثقة الشباب المسلم مما يحد بدوره من تطلعاتهم التعليمية. وجادلوا بأنه لا يوجد عدد كافٍ من المعلمين المسلمين أو غيرهم من النماذج التي

ويوجد اليوم حوالي 25 ألف مدرسة في إنجلترا تعلم حوالي تسعة ملايين طفل، تتكون أساسًا من المدارس الابتدائية والثانوية والمستقلة وذات الاحتياجات الخاصة والمدارس الأخرى الحكومية. أكثر من ثلاثة أرباع المليون من هؤلاء الأطفال مسلمون. غالبية هذه المدارس ليس لها طابع ديني. على الرغم من أنه يمكن العثور على الأطفال المسلمين في كل أنواع المدارس البريطانية، إلا أن الغالبية العظمى منهم يذهبون إلى مدارس المجتمع الحكومية العادية، تليها مدارس الكنيسة ثم المدارس الإسلامية التي تقدم التعليم الإسلامي.

وأصبحت المدارس الإسلامية ذات شعبية بين المسلمين، ففي الآونة الأخيرة، انتشرت أنباء عن أنها تتصدر جداول التقدم الوطنية. ولأول مرة فإن مدرستين إسلاميتين حكوميتين تصدرتا الجداول لتحقيق أكبر تحسن في أداء الطلاب في امتحانات نهاية الدراسة الثانوية GCSE في عام 2017. احتلت مدرسة توحيد الإسلام الثانوية للبنات في بلاكبيرن المرتبة الأولى لجميع المدارس في إنجلترا. تبعتها في المرتبة الثانية مدرسة توحيد الإسلام للبنين، وهي مدرسة مجانية في نفس المدينة. وفي

[26] Muslim Association of Britain, Islamic Education 8/2/2017. https://www.mabonline.net/islami/c-education

وفي الدراسة الأكاديمية الكاملة لما سبق، والتي نشرها باحثون من جامعات شيفيلد، وأكسفورد، وليفربول، في تقرير موسع، توصلوا إلى النتائج التالية فيما يختص بالتعليم قبل الجامعة:

1. إن حوادث الإسلاموفوبيا أو العنصرية، أو الفشل في التعرف على الهوية الإسلامية، أو دعم الطلاب من الأقليات المعزولة أو تعزيز اندماج الأقران، وتؤثر على احترام الذات لدى الشباب المسلم والثقة بالنفس، مما يؤثر بدوره على تطلعاتهم.

2. الفشل في استيعاب الأعراف الدينية، أو تطوير فهم احتياجات المسلمين، أو تقديم معلومات حول حياة المسلمين العاديين يؤثر بشكل مباشر على شعور الشباب المسلم بالانتماء مما يضاعف من الشعور بالعزلة.

3. التصورات بأنهم سيكونون أهدافًا للتنمر والتحرش العلني بناءً على مظهرهم ومعتقداتهم و"اختلافهم" العام يعني أن الشباب المسلم قد يتجنب طلب المساعدة في الفصول الدراسية في المدرسة مما قد يؤثر على تحصيلهم الأكاديمي.

يُحتذى بها في المدارس وأنهم يتلقون دعمًا فرديًا غير كافٍ أو غير ملائم وتوجيه وتشجيع في المدرسة. لم تكن الخدمات المتاحة لهم كافية لسد الفجوة الأبوية خاصة إذا كان الآباء قد تعلموا في نظام مختلف، أو كانوا أقل قدرة على دعمهم في دراستهم أو افتقروا إلى رأس المال أو المعرفة أو الوصول إلى الشبكات الاجتماعية لمساعدة أطفالهم على اتخاذ خيارات مستنيرة. قال رئيس لجنة الحراك الاجتماعي: "يرسم هذا التقرير صورة مقلقة للتحديات التي يواجهها الشباب المسلم لتحقيق تقدم اجتماعي أكبر. يحدد المسلمون الشباب أنفسهم الحواجز الثقافية في مجتمعاتهم والتمييز في نظام التعليم وسوق العمل على أنها بعض العقبات الرئيسية التي تقف في طريقهم. تواجه الشابات المسلمات تحديًا محددًا للحفاظ على هويتهن أثناء سعيهن للنجاح في بريطانيا الحديثة".[27]

[27] Social Mobility Commission Young Muslims in the UK face enormous social mobility barriers. 7 September 2017 https://www.gov.uk/government/news/young-muslims-in-the-uk-face-enormous-social-mobility-barriers

وهناك اتجاهان رئيسان حول ضرورة وجود مدارس إسلامية في بريطانيا؛ تكون أو لا تكون:

المطلب الأول: يكون (الاتجاه والخيار المؤيد للمدارس الإسلامية)

المدارس الإسلامية هي ظاهرة متنامية في جميع أنحاء العالم. فلقد عزز الوجود المسلم في أماكن شتى في العالم والناتج عن عوامل متعددة بما في ذلك العوامل السياسية والدينية والاقتصادية من حاجة المسلمين للحفاظ على هويتهم الدينية وتطويرها. إن تهميش المسلمين، مهما كان شكله ولأي سبب كان، ولاسيما في الأقلية المسلمة أو المجتمعات العلمانية، زاد من تنشيط الانتماءات للهوية الدينية. في هذا السياق، فالمدارس الإسلامية ينظر إليها العديد من المسلمين كخيار ليس فقط لتوفير فرص للتعليم الحديث بما يتوافق مع تصوراتهم للهوية الإسلامية، ولكن أيضًا للدلالة على جدول أعمال المقاومة لتحدي العنصرية.[29]

4. قلة المشاركة الشخصية من قبل المعلمين، وفشل المعلمين في الاستماع إلى المناشدات، والتأكيد على إخفاقات المسلمين الخاصة لعدم نجاحهم، كلها عوامل لها تأثير سلبي على الثقة مما يؤدي إلى "استسلام" الشباب المسلم.

5. إن الافتقار إلى الدعم والتوجيه والتشجيع الفردي المصمم خصيصًا للشباب المسلمين لأخذ مواضيع محددة، أو المشاركة في الأنشطة اللاصفية، أو استكشاف مسارات بديلة للتعليم أو التوظيف، يحد من خيارات التعليم ما بعد الإلزامي للشباب المسلم ويؤثر بدوره على حياتهم، وإمكانيات الحراك الاجتماعي.

6. إن الافتقار إلى قدوة إسلامية في المدرسة، بما في ذلك المعلمين المسلمين، يزيد من تفاقم التجارب السيئة للعديد من الشباب المسلمين ويمكن أن يساهم في انخفاض تطلعاتهم أو ضعف التحصيل. على النقيض من ذلك، حيث يوجد مدرسون مسلمون في المدارس، يُنظر إلى ذلك على أنه يؤثر بشكل مباشر على ثقة الشباب المسلم واحترامه لذاته وطموحه وتحصيله التعليمي.[28]

[28] Stevenson, J. et al., Social Mobility Challenges Faced by Young Muslims Social Mobility Commission, 9September 2017, p2

[29] Saeeda Shah (2012): Muslim schools in secular societies: resistance!, persistence or British Journal of Religious Education, 34:1, 51–65

من خلال تقديم "مساهمات حاسمة نحو تعزيز واستدامة تلك القيم الضرورية لبناء مجتمعات متماسكة والحفاظ عليها وحمايتها". في دراستهم للتلاميذ من أصول آسيوية (ذات أغلبية مسلمة)، كان هؤلاء الشباب متسامحين مع أناس من أعراق وديانات وثقافات أخرى؛ لقد رأوا كل سبب لدراسة واحترام الأديان الأخرى. يعترف الباحثون بما يسمونه خطر "الانعزال والانحصار" لكنهم يجادلون بأن هذه العزلة تعود لأسباب اجتماعية واقتصادية أكثر منه لأسباب دينية.[30]

كما أن نتائج المدارس الإسلامية مشجعة، فتظهر البيانات أنه في نهاية المرحلة ما بين 11 إلى 16 عاما: بشكل عام، كان الطلاب في المدارس الإسلامية هم الأكثر احتمالية لإحراز تقدم مقارنة بجميع فئات المدارس الدينية الأخرى. وكان الحجج الرئيسة المستخدمة لصالح المدارس الإسلامية التي تمولها الدولة: المساواة في الحقوق؛ مجتمع أفضل؛ الهوية والسلوك والقيم؛ والعوامل التعليمية. تم استنتاج أن قرارات الوالدين بشأن مكان تعليم أطفالهم لم تتأثر بهذه الحجج فحسب، بل أيضًا بالعوامل العملية والشخصية مثل موقع المدرسة وتاريخ الأسرة في الحضور. تم استكشاف هذه الاعتبارات من أجل تسليط الضوء على أسباب الوالدين لاختيار مدرسة معينة لأطفالهم.

يمكن أن يعاني التلاميذ المسلمون من صعوبات عديدة في المدارس الحكومية العادية، بدءًا من المحتوى غير المناسب للمناهج الدراسية إلى مواجهة التحيز من كل من التلاميذ والمعلمين. غالبًا ما يؤدي التمييز من زملائهم التلاميذ إلى اختلاط الأطفال المسلمين بشكل أساسي بالآخرين الذين يشاركونهم معتقداتهم. تعتمد الفكرة القائلة بأن المدارس العادية تعزز التماسك الاجتماعي من خلال تشجيع الطلاب على التفاعل مع أطفال الديانات الأخرى على صورة إيجابية للغاية، على عكس الواقع، في المدارس العادية.

ولكن يدّعي بعض الباحثين أن المدارس الدينية تلعب دورًا مهمًا في تعزيز التماسك الاجتماعي

---

30 Billings, A., and A. Holden. 2007. The contribution of faith to integration cohesion, and the threat posed by 'enclavisation' in some northern towns. & Commission on Integration West Yorkshire, Cohesion, Communities and Local Government Publications, p9.

التلاميذ المسلمين، وتضمن التقرير مقترحات لإصلاح المناهج لتتماشى مع حاجات المسلمين. ومن هذه المقترحات إلزامية التعليم الديني من سن 14 إلى 16، وإدخال مستوى دراسي متقدم جديد للدراسات الإسلامية، وتعيين مدرس للتربية الدينية الإسلامية في المدارس الحكومية ذات الأكثرية من التلاميذ المسلمين.

ومن أهم ما ورد في التقرير هو ضعف إنجازات الأطفال المسلمين في المدارس غير الإسلامية، ولكن المدارس الدينية هي في الغالب منارات للتفوق العلمي والالتزام الديني والسمو الأخلاقي، إنها توفر وسيلة قوية للتلاميذ لمتابعة التعليم، وهي ليست من عوامل توسيع الشقاق في المجتمع، والمطلوب هو مدارس إسلامية حكومية. وهناك مدارس إسلامية كثيرة جداً تأسست ولا تجد الدعم، وأنه إذا تم ضم هذه المدارس للقطاع الحكومي، فسوف تحصل على الدعم والتمويل وستكون جزءًا من التيار العام في المجتمع، وهذا أفضل من أن تعمل وهي منعزلة، وسيتم التركيز بشكل أكبر وأقوى على زيادة الإنجازات ووضع أهداف للتعليم ومتابعة وتقويم المدارس.[32]

التلاميذ في المدارس التي ليس لها طابع ديني أقل احتمالية لإحراز تقدم. وحصلت الفتيات من المجموعة العرقية الصينية الملتحقين بمدارس دينية مسيحية على أعلى متوسط درجات، كان لدى الأولاد ذوي الإثنية المختلطة في المدارس اليهودية أدنى درجة.[31]

وتحت عنوان "المسلمون في التعليم" أعد أكاديميون وتربويون مسلمون في بريطانيا التقرير الذي طالب المدارس الحكومية أن تولي مزيداً من الاهتمام بالتلاميذ المسلمين. كما طالب بإقامة المزيد من المدارس الإسلامية التي تراعي حاجات

[31] Pupil progress between 11 and 16 years old ('Progress 8') Published 21 October 2019 Average Progress 8 score by ethnicity, religion of school and gender https://www.ethnicity-facts-figures.service.gov.uk/education-skills-and-training/11-to-16-years-old/pupil-progress-progress-8-between-ages-11-and-16-key-stage-2-to-key-stage-4/latest

[32] The Association of Muslim social Scientists (AMSS UK), Muslims on Education- A

لهويات ثقافية متميزة داخل مجتمع غير متجانس، وبين عملية تكامل (اندماج) منظمة.[34]

قد يكون أحد التفسيرات المحتملة لندرة التمويل الحكومي للمدارس الإسلامية، هو أن التمويل يثير تساؤلات حول معنى العيش في مجتمع ديمقراطي ليبرالي. على سبيل المثال، هل يجب إعطاء الأولوية لحقوق الوالدين في حماية معتقدات أطفالهم على حق الطفل في اختيار معتقداته؟ هل ينبغي للمجتمع الليبرالي أن يفرض وجهة نظر ليبرالية على مواطنيه أو يخلق الظروف التي يكون فيها لجميع الأفراد الحرية في اختيار طريقة الحياة التي يرغبون فيها؛ حتى غير الليبراليين؟ ومن خلال دعم مجتمعات الأقليات في الحفاظ على هويتها المتميزة، هل نخلق مجتمعًا منقسمًا؟

تم تحديد خمسة عوائق رئيسة أمام تمويل الدولة: الإسلاموفوبيا، مخاوف الانقسام الاجتماعي، والعلمنة، والمتطلبات التنظيمية، والرغبة في

المطلب الثاني: لا يكون (الاتجاه والخيار غير المؤيد للمدارس الإسلامية)

كما يدافع "شورت" أيضًا عن المدارس الدينية ضد الانتقادات القائلة بأنها مسببة للانقسام اجتماعيًا، مستفيدًا من عمله التجريبي الخاص بالمدارس اليهودية ليحاجج بأنه في ظل وجود منهج مناسب، لا يجب أن تكون المدارس الدينية مسببة للانقسام الاجتماعي أبدا، ويدعي أنه مع بعض الإصلاحات في ممارسات مناهجها، يمكن لمثل هذه المدارس الدينية أن تعمل كقوة للتماسك الاجتماعي.[33] ومع ذلك، فقد اتخذ بعض النقاد أيضًا موقفًا عكسيا تنافسيًا، مشيرين إلى الآثار طويلة المدى لدور المدارس الدينية في مجتمع بريطاني معاصر مهددة بالفعل من قبل سلالات الانقسام. يقول "چدچ" إن هناك توترات قوية وخطيرة بين التنشئة والرعاية (الممولة من الدولة)

[33] Short, G. 2002. Faith-based schools: A threat to social cohesion? Journal of Philosophy .of Education 36: 559–72

[34] Judge, H. 2001. Faith-based schools and state funding: A partial argument. Oxford Review of Education 27, no. 4: 463–74. (470)

position paper, published 20 June 2004.

إن إلغاء المدارس الدينية كليًا من أجل تحقيق المساواة المزعومة في المجتمع، ليس أمرًا غير واقعي فحسب، بل من شأنه أيضًا أن يميز ضد الأطفال المتدينين من خلال إجبارهم على حصر معتقداتهم في المجال الخاص. كما أن المدارس متعددة الأديان ليست قابلة للتطبيق ولا تقدم حلاً واقعيًا لتعليم الأطفال المسلمين في بريطانيا. علاوة على ذلك، فإن الحجج المستخدمة على نطاق واسع ضد المدارس الدينية، في رأيي، غير مقنعة. القلق الشائع من أن المدارس الإسلامية تلقن تلاميذها الانعزال، لا أساس له من الصحة وغالبًا ما يكون معاديا للإسلام.

والتعليم في المنزل صار أحد الحلول في إنجلترا. وهناك أدلة على زيادته في السنوات الأخيرة وأن هذا قد تسارع أثناء الوباء. وقدرت جمعية مديري خدمات الأطفال، أنه في أكتوبر 2021 ربما كان

الاستقلال الذاتي. هذه العوامل ليست حصرية أو منفصلة، بل تؤثر على بعضها البعض بطرق دقيقة ومعقدة. إن الخوف من أن تلحق المدارس الإسلامية الضرر بالتماسك الاجتماعي يستند إلى انطباع إيجابي مفرط عن المدارس الحكومية السائدة، ويمكن التغلب عليه من خلال تضمين المزيد من المدارس الإسلامية في قطاع الدولة لتمكينها من قبول التلاميذ غير المسلمين. كما أن للمدارس الإسلامية التي تمولها الدولة دورًا إيجابيًا في مواجهة التطرف، والذي اكتسب أهمية جديدة في بريطانيا بعد الأحداث المأساوية التي وقعت في لندن في يوليو 2005. وكانت جوانب الالتحاق بالمدرسة غير الدينية التي رأى الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات أكثر ضررًا بهوية الطفل المسلم هي: 1) المناهج الدراسية، و2) الإسلاموفوبيا، و3) الصراع بين المنزل والمدارس، و4) "عدم الملاءمة". كانت دروس التربية الجنسية وتعليم الداروينية كحقيقة أمثلة. كان الجانب الآخر من المناهج الدراسية في المدارس الحكومية غير الدينية الذي يزعم أن له تأثيرًا سلبيًا على هوية الطفل المسلم هو الروح الفلسفية الشاملة. ادعى البعض أن روح المنهاج المفترض أنها محايدة تعزز موقفًا فلسفيًا يتعارض مع تعاليم الإسلام[35].

[35] Tinker, Claire (2006) *State funded Muslim schools?: equality, identity and community in multifaith Britain*. PhD thesis, University of Nottingham. https://eprints.nottingham.ac.uk/10936/

الدعوة والجدال بالتي هي أحسن؟ وعلى التعاون على البر والتقوى؟ تلك المدارس تساعد على وقف العنصرية ضد الطلبة المسلمين التي تشاهدها أكثر من نصف المدارس الحكومية، وتقف ضد تيار اللادينية في معظم المدارس، وتيار محاربة الدين في بعضها، كما أنها توفر وقت الطلبة الذي كان يصرف في حضور دروس الدين المسائية.

المبحث الرابع: معوقات وتحديات انتشار المدارس الإسلامية في بريطانيا

حددت دراسة حماد ثلاثة تحديات رئيسة تواجهها المدارس الإسلامية؛ وهي الصورة السلبية لدي البريطانيين حول الهدف من إنشاء هذه المدارس وطبيعة العمل بها، وضعف الإمكانات المادية في ظل ضعف التمويل الحكومي، بالإضافة إلي نقص أعداد المعلمين المؤهلين للعمل بهذه المدارس.[37] وكشفت نتائج "حماد وشاه" أن بعض التحديات كانت عامة في طبيعتها مثل توقعات الوالدين ونقص الدعم من المجتمع المسلم، وكانت هناك تحديات أخرى أكثر عملية ومتعلقة بمهمة مثل هناك حوالي 81200 طفل مسجل في إنجلترا يتلقون تعليمهم في المنزل. من المرجح جدًا أن هذا التقدير أقل بكثير من عدد الأطفال المتعلمين في المنزل، لأن التسجيل طوعي.[36]

أخيرا فإن رأي الباحث هو تفضيل المدارس الإسلامية إن أمكن. فإن المدارس الإسلامية الوسطية المستنيرة لا تعزل الأبناء عن المجتمع البريطاني الكبير، فالمدرسة تعلم الطالب كيف يكون مسلماً حقاً، وهذا يعني مساهمة المسلم مساهمة إيجابية في المجتمع الذي يعيش فيه. كيف يمكن القول إن المدارس الإسلامية تؤثر سلبًا على المجتمع في حين أن أركان الإيمان الستة تتطلب من المسلمين الاعتراف والإيمان بالكتب والرسل الذين أرسلهم الله إلى اليهود والنصارى؟ ألم يحث القرآن الكريم على التعارف بين الشعوب والقبائل؟ وعلى

[36] Robert Long and Shadi Danechi, Home education in England, House of Commons Library, 19 December 2022, p8. https://researchbriefings.files.parliament.uk/documents/SN05108/SN05108.pdf

[37] ينظر: وحيد شاهبور حماد، "المدارس الإسلامية كأحد أشكال التعليم الديني في بريطانيا: مبررات إنشائها والتحديات التي تواجهها"، *مجلة عجمان للدراسات والبحوث* مج13، ع2 (2014): 185 – 215.

لا تتناسب والأسس النفسية والاجتماعية؛ لأن هذه المناهج بنيت لتناسب مجتمعات إسلامية وبيئة خاصة.

3 – ضعف الإدارات لعدم توافر المدير المؤهل القادر على تحقيق الأهداف العليا للمدرسة.

4 – قلة الموارد المالية للمدارس الإسلامية المستقلة واعتماد كثير منها على الرسوم أو التبرعات المباشرة من الآباء خاصة بعد تجفيف منابع التبرعات من الدول الإسلامية، بحجة محاربة الإرهاب.

حتى نجاح المدارس الإسلامية لم يسلم من نقد، والمناقشات حول هذه القضية مستمرة وكثيرا ما تكون مكثفة. مثلا لم يتأثر أو ينبهر أحد الباحثين بالإنجازات العالية للمدارس الإسلامية لأنه يعزو ذلك إلى "الامتيازات الاستثنائية والجذابة بشكل ملحوظ المتمثلة في القدرة على اختيار معلميها، والابتعاد عن الإجراءات المحددة البيروقراطية، وتطوير إحساسها الخاص، ولاختيار تلاميذها، سواء عن طريق القبول أو من خلال العقوبة النهائية للإقصاء، من المؤكد أنها ستنجح".[40]

التصورات السلبية بين المجتمع الأوسع، وقضايا تطوير الهوية الإسلامية بين الطلاب في مجتمع علماني، وتوظيف مدرسين مسلمين مؤهلين، والتحديات المالية.[38]

وقد ذكر الكاتب "الجمهور" مشاكل المدارس الإسلامية في الغرب عامة.[39] ومن خلال تجربتي في بريطانيا، فيمكن حصر المشاكل المرتبطة بهذه المدارس هنا بما يلي:

1 – ضعف تأهيل مدرسي المدارس الإسلامية وخصوصاً مدرسي العلوم الشرعية واللغة العربية.

2 – ضعف المناهج الشرعية والعربية، أو الاعتماد على مناهج شرعية من دول إسلامية

[38] Hammad, W., & Shah, S. (2019). Leading faith schools in a secular society: Challenges facing head teachers of Muslim schools in the United Kingdom. Educational Management Administration & Leadership, 47(6), 943–959

[39] ينظر: عبد الرحمن الجمهور، التعليم الإسلامي في الغرب إلى أين؟ مجلة البيان، العدد 173، المحرم 1423هـ، ص 54–57.

[40] Judge, H. 2001. Faith-based schools and state funding: A partial argument. Oxford Review of Education 27, no. 4: 463–74.

إن التغيرات الكثيرة التي تتسم بها طبيعة العصر عن الأزمنة الماضية، أدت إلى صعوبات مضاعَفة أمام الأسرة المسلمة حول العالم. فلم تعد الأسرة في زماننا وحدها المنفردة بالتأثير والتوجيه وبناء النموذج المبتغَى في تربية النشء، بل هناك شركاء كثر، فلسفتهم في الحياة مغايرة لفلسفة الإسلام في الفكر والسلوك والمفاهيم في جوانب عديدة: الإعلام، المدرسة، النظام الثقافي المهيمن، الرفقاء، وسائل التواصل وغيرها.[42]

المطلب الأول: الإسلاموفوبيا المنهجية في مجال التعليم (فضيحة حصان طروادة كمثال)

في عام 2014، تورط المجلس المحلي لمدينة برمنجهام في فضيحة مدوّية من شأنها أن تؤدي إلى تشويه سمعة المجلس ونظام التعليم الأوسع. بدأت قضية "حصان طروادة"[43]، كما أصبحت معروفة، أما من ناحية السياسات، فالنمو في المدارس الدينية المستقلة جعل رئيس لجنة مراقبة المدارس في بريطانيا يدعو إلى الحاجة إلى أن تراقب هذه المدارس بعناية، ولكن بحساسية من قبل الحكومة، للتأكد من أن التلاميذ في جميع المدارس، يتلقون فهمًا ليس فقط لدينهم، ولكن لديانات أخرى والمعتقدات الأوسع للمجتمع البريطاني. "يجب ألا نسمح لأن يصبح اعترافنا بالتنوع بلا مبالاة في مواجهة أي تحد لتماسكنا كأمة". "يعكس هذا إلى حد ما النمو في قطاعات معينة من السكان وزيادة الثقة في متابعة المعتقدات التقليدية وأسلوب الحياة في بريطانيا متعددة الثقافات. وأعتقد أنه من الصواب أن يكون الآباء قادرين على اختيار كيفية تعليم أطفالهم وأن يكونوا قادرين على الدفع مقابل القيام بذلك. هذه هي علامة المجتمع الحر والمفتوح. ومع ذلك، من ناحية أخرى، لا ينبغي أن يكون الإيمان أعمى. أشعر بالقلق لأن العديد من الشباب يتم تعليمهم في مدارس دينية، مع القليل من التقدير لمسؤولياتهم والتزاماتهم الأوسع تجاه المجتمع البريطاني".[41]

Society in London. https://www.theguardian.com/education/2005/jan/17/faithschools.schools

[42] ينظر: طه عامر، أولادنا في الواقع الأوروبي بين التحديات والفرص، المجلس الأوروبي للأئمة، 3 يوليو 2021. https://euimams.org /

[43] طبقا لأساطير اليونان القديمة قبل الميلاد وملاحمها، فهو حصان خشبي ضخم بناه الإغريق أثناء حصارهم مدينة طروادة، ووضعوه خارج أسوارها، واختبأ المقاتلون

[41] The full text of a speech made by David Bell, the schools inspector, to the Hansard

ودعا المجلس الإسلامي البريطاني إلى إجراء تحقيق عام مستقل واعتذار علني من الذين تجاهلوا الحقائق المعروضة عليهم لهذه القضية، بعد الكشف عن ملابستها في مدونة صوتية نشرتها مؤخراً صحيفة نيويورك تايمز.[45] تكشف هذه المدونة الصوتية عن الطبيعة المتجذرة للإسلاموفوبيا المؤسسية في بريطانيا. وكل حلقة هي لائحة اتهام دامغة لكيفية استمرار الروايات والاستعارات لتغذية قصة ذعر أخلاقي، يحتل المسلمون مركز الصدارة فيها.[46]

المطلب الثاني: الإعلام المغرض

برسالة مجهولة المصدر ادّعت أن "إسلاميين متشددين" يتآمرون ويخططون للسيطرة على عدد من المدارس التي غالبية طلابها من المسلمين في المدينة، من خلال المدرسين وهيئات حوكمة المدارس. ومن بين المزاعم أن بعض المدارس كانت تروج للفصل بين الجنسين، وأن الأطفال لم يتم حمايتهم من مخاطر التطرف. استغل وزير التعليم آنذاك – رغم معرفته أن الرسالة زائفة، وأمر بتحقيق– وكذلك الصحف والمجلس المحلي للمدينة أكاذيب الرسالة المجهولة في حملة منظمة من الإسلاموفوبيا بأبشع صورها.

ونظرًا لأن جلسات الاستماع ضد المعلمين لم تجد أي مخالفات، كما جاء في مقالة عوان، فقد استنتج أن المجتمعات المسلمة تشعر بأنها مصنّفة بشكل غير عادل على أنها متطرفة، وأن مثل هذه القضايا قد أثرت على إحساسهم بالهوية والانتماء.[44]

داخل الحصان. استطاع أحد الإغريق السجناء إقناع أهل طروادة بأن الحصان مقدس وسوف يجلب حماية الآلهة، فأدخلوا الحصان إلى مدينتهم. فتسلل المقاتلون من الحصان وفتحوا أبواب المدينة لبقية المحاربين. وعادة يعبر عنه بالدخول إلى مكان ما بالخداع، وإخفاء الغرض الحقيقي.

[44] Imran Awan, "I never did anything wrong! Trojan Horse – A Qualitative Study Uncovering the Impact in Birmingham, British Journal of Sociology of Education 39 (2), (2018): 197–211.

[45] Hamza Syed and Brian Reed, "The Trojan Horse Affair", *The New York* Times (Podcast), 3 February 2022.

[46] Middle East Eye Staff, Trojan Horse affair: Muslim Council of Britain calls for independent inquiry, *Middle East Eye*, 10 February 2022.

ويوضح تقرير عن الإعلام البريطاني وتغطيته للإسلام والمسلمين من 2018 إلى 2020، كيف أن قسمًا كبيرًا من وسائل الإعلام لا يزال يفضل الأصوات التي تردد استعارات الحقبة الاستعمارية التي ترى المسلمين كمتعصبين خطرين وإرهابيين وكارهين للنساء.[48] ووجد التقرير عدم إنصاف الإعلام وعدم نزاهته في الأمور التالية:

1. تضخيم السلوك السلبي أو الجوانب السلبية
2. تحريف عقيدة المسلمين أو سلوكهم أو هويتهم
3. إصدار تعميمات حول عقيدة المسلمين أو سلوكهم
4. عدم الاهتمام بالصوت الإسلامي أو الهوية أو المنظور الإسلامي
5. نشر الصور أو العناوين المضللة أو غير الملائمة

تساهم التقارير الإعلامية السائدة عن الجاليات المسلمة في خلق جو من العداء المتزايد تجاه المسلمين في بريطانيا، وبالتالي ضد المدارس الإسلامية. فوفقًا لما ذكرته مائدة مستديرة بجامعة كامبريدج عقدت في مجلس اللوردات. وجدت النتائج، المستمدة من أبحاث جامعة كامبريدج والتي تم تقديمها إلى الصحفيين والسياسيين والمشرعين، وممثلي المجتمعات الدينية، أن المجتمعات المسلمة في بريطانيا – مجزأة وغير مستريحة في كثير من الأحيان مع وسائل الإعلام، وغير مجهزة لمواجهة الروايات السلبية. وناقش المشاركون في المائدة المستديرة سبل حماية حرية التعبير في السياقات الدينية، وتعزيز الاندماج، وتعزيز نجاحات التعددية الثقافية. طورت المناقشة عشر نقاط للعمل المشترك من قبل صانعي السياسات ووسائل الإعلام. وتتراوح هذه من تعيين نموذج يحتذى به من المشاهير كمسؤول العلاقات الإعلامية الإسلامية، إلى إنشاء مراسلي علاقات مجتمعية في مجتمعات الأقليات.[47]

[47] University of Cambridge, Media fuelling rising hostility towards Muslims in Britain, 28 April 2016. https://www.cam.ac.uk/research/news/media-fuelling-rising-hostility-towards-muslims-in-britain

[48] Faisal Hanif, British Media's Coverage of Muslims and Islam (2018-2020), The Centre for Media Monitoring, Published November 2021

المدارس العامة أو المدارس المسيحية. كما أن المدارس الإسلامية المستقلة الخاصة تتطلب دفع رسوم لا يقدر عليها غالب المسلمين مع تأثير الأزمة الاقتصادية الحالية.

3- معظم المدارس الإسلامية تواجه تحديات معينة بما في ذلك الضغوط المالية، والقيادة الصحيحة، وإيجاد معلمين مؤهلين، والمناهج الدينية الملائمة، وفوق ذلك النظرة السلبية العامة لها من المجتمع ككل، بقيادة أهل السياسة والإعلام، والدعوى الداحضة بأن هذه المدارس لا تعزز التماسك الاجتماعي. رجحت الدراسة تفضيل المدارس الإسلامية إن أمكن.

التوصيات

1. على أهل العلم والفتوى خاصة المجامع الفقهية في أوروبا أن تدرس هذه النازلة التعليمية، وتجد لها حلا فقهيا يقطع حيرة الأسر المسلمة في اختيار المدرسة المناسبة.
2. إذا كان المجتمع المسلم في بريطانيا جادًا في الحفاظ على الهوية الدينية لجيله القادم،

الخاتمة والنتائج

1- كشفت الورقة على وجود نازلة معاصرة مرتبطة بتعليم أبناء مسلمي بريطانيا، وهي تردي النتائج الدراسية وارتفاع نسبة البطالة بين المسلمين في بريطانيا، كما يؤدي التأثير العلماني للمناهج الدراسية، والتحيز، والإسلاموفوبيا، والتدهور الأخلاقي في العديد من المدارس العامة، إلى صعوبة التزام هؤلاء الأبناء بعقيدتهم وأخلاقهم، وفشلهم الدراسي.

2- ووجدت الدراسة أن تفضيل الآباء المسلمين للمدارس الإسلامية النهارية يتزايد بمعدل غير مسبوق، للدور المهم الذي تلعبه هذه المدارس في التنشئة الروحية للأطفال، والنتائج الجيدة التي أحرزتها، مما أدى إلى زيادة الطلب على تلك المدارس. ورغم الأعداد الهائلة لأطفال المسلمين، فتوجد فقط 31 مدرسة إسلامية تمولها الدولة (14 ابتدائية و17 ثانوية) في انجلترا، من مجموع عشرين ألف مدرسة ممولة من الدولة. ولا يزال غالبية الأطفال المسلمين في بريطانيا يذهبون إلى

لـذلك. مـع العلـم بأن أوضـاع الأقليـات المسـلمة تقتضـي فتـاوى مجمعيـة معاصـرة، تجيب على أسئلة الزمان والمكان.

المراجع:

العربية

- إبراهيم، محمد يسري، فقه النوازل للأقليات المسلمة «تأصيلا وتطبيقا» أصل الكتاب: رسالة دكتوراه في الفقه الإسلامي من كلية الشَّريعة والقانون بجامعة الأزهر. دار اليسر، القاهرة، ط1، 2013.
- ابـن بيـه، عبـد الله، صـناعة الفتـوى وفقـه الأقليـات، دبي، مسـار للطباعـة والنشـر، ط3، 2018.
- ابـن عبـد الـبر، أبـو عمـر يوسـف (ت: 463هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبـو الأشـبال الـزهيري، دار ابـن الجـوزي، السعودية، ط1، 1994.
- الجمهور، عبد الرحمن، التعليم الإسلامي في الغرب إلى أين؟ مجلة البيان، العدد 173، المحرم 1423هـ: 54-57.
- حـلاوة، حـس، قواعـد الانـدماج الإيجـابي للمسـلمين في أوروبا، المجلـة العلميـة للمجلـس الأوروبي للإفتـاء والبحـوث،

فعلـيهم أن يأخـذوا التعلـيم الإسـلامي لأطفـالهم علـى محمـل الجـد والسـرعة وأن يستفيدوا من الخيارات المتاحة.

3. العمـل الجمـاعي، وإشـراك الخـبرات مـن داخل المجتمع المسلم في بريطانيا وخارجه، لتعزيز جودة التعليم الإسلامي، والفاعلية التربوية في مدارس المساجد وعطلة نهاية الأسبوع.
4. تفعيل مجموعات الضغط المسلمة (أولياء الأمـور، أعضـاء البرلمـان، المؤسسـات والجمعيات الإسلامية) للحصول على حق التعليم الملائم أسوة بالمدارس اليهودية والمسيحية.
5. في حالـة تعـذر إلحـاق الأبنـاء بالمـدارس الإسـلامية، فيجـب التفعيـل الجـاد لـدور الأسرة كأول وأهم محضن تربوي مؤثر مهما كانت الصعوبات.
6. في حالة استحالة التعليم الإسلامي، فعلى الأسـرة أن تبحـث عـن بـديل مثل التعليم المنـزلي، أمـا إذا خافـت الأسـرة مـن ضـياع ديـن أبنائهـا ولا تسـتطيع تـربيتهم تربيـة إسـلامية، فعليهـا اسـتفتاء أهـل العلـم المقيمين ببريطانيا في قضية مغادرة البلد إلى مكـان أقـرب للإسـلام، إذا وجـد السـبيل

الأجنبية

Articles and Published Reports:

- Ameli, S., Azam, A. and Merali, A. (2005) Secular or Islamic? What Schools do British Muslims want for their children? Islamic Human Rights Commission, London 2005.
- Awan, I. (2018) "I never did anything wrong! Trojan Horse – A Qualitative Study Uncovering the Impact in Birmingham, British Journal of Sociology of Education 39 (2): 197–211.
- Billings, A., and A. Holden. (2007). The

العددان 12–13 يوليو 2008: 292–340.

- حماد، وحيد شاهبور، "المدارس الإسلامية كأحد أشكال التعليم الديني في بريطانيا: مبررات إنشائها والتحديات التي تواجهها"، مجلة عجمان للدراسات والبحوث، 13(2)، 2014: 185–215.
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر.
- الطيار، عبد الله بن محمد، عبد الله بن محمد المطلق، محمد بن إبراهيم الموسَى، الفقه الميَسَّر، مَدَار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 2011.
- عامر، طه، أولادنا في الواقع الأوروبي بين التحديات والفرص، المجلس الأوروبي للأئمة، 3 يوليو 2021. https://euimams.org/
- مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، 2005.

contribution of faith to integration cohesion, and the threat posed by 'enclavisation' in some northern towns. Commission on Integration & Cohesion, West Yorkshire, Communities and Local Government .Publications

- Hammad, W., & Shah, S. (2019). Leading faith schools in a secular society: Challenges facing head teachers of Muslim schools in the United Kingdom. Educational Management Administration & Leadership, 47(6): 943–959.
- Hanif, F. (2021) British Media's Coverage of Muslims and Islam (2018–2020), The Centre for Media Monitoring.
- Judge, H. (2001). Faith–based schools and state funding: A partial argument. Oxford Review of Education 27 (4): 463–74.
- Ruhul, A. and Hassan, N. (2013) 'Are faith schools educationally defensible?', Research in Teacher Education, 3 (1):11–17.
- Shah, S. (2008). Leading multi–ethnic schools: Adjustments in concepts and practices for engaging with diversity, British Journal of

Sociology of Education .29 (5): 523–36

- Shah, S. (2012). Muslim schools in secular societies: persistence or resistance!, British Journal of Religious Education, 34 (1): 51–65
- Shah, S. (2018). "I am a Muslim first…" Challenges of Muslimness and the UK State Schools. Leadership and Policy in (3): 341–356 Schools, 18
- Short, G. (2002). Faith–based schools: A threat to social cohesion? Journal of Philosophy of .Education, 36: 559–72
- Stevenson, J., Demack, S., Stiell, B., Abdi, M., Clarkson, L., Ghaffar, F., and Hassan S. (2017). Social Mobility Challenges Faced by Young Muslims, Social Mobility Commission.
- Tinker, C. (2006) State funded Muslim Schools?: equality, identity and community in multifaith Britain. PhD thesis, University of Nottingham. https://eprints.nottingham.ac.uk/10936

Websites

- Abrams, F. "Islamic schools flourish to meet demand," The Guardian, .28 Nov 2011
- Barnes, T. Religion Media Centre, Factsheet: Faith school, 15 November 2018, https://religionmediacent

re.org.uk/factsheets/faith/–schools–in–the–uk

- Gov.UK, Faith Schools, https://www.gov.uk/types–of–school/faith–schools
- Gov.UK, Social Mobility Commission Young Muslims in the UK face enormous social mobility barriers. 7 September 2017, https://www.gov.uk/government/news/young–muslims–in–the–uk–face–enormous–social–mobility–barriers
- Gov.UK, Pupil progress between 11 and 16 years old (‘Progress 8’) Published 21 October 2019 Average Progress 8 score by ethnicity, religion of school and gender. https://www.ethnicity–facts–figures.service.gov.uk/education–skills–and–training/11–to–16–years–old/pupil–progress–progress–8–between–ages–11–and–16–key–stage–2–to–key–stage–4/latest
- Gov.UK, Entry rates into higher education Published 9 March 2022, https://www.ethnicity–facts–figures.service.gov.uk/education–skills–and–training/higher–education/entry–rates–into–higher–education/latest
- Gov.UK, Students getting 3 A grades or better at A level Published 26 May 2022

https://www.ethnicity-facts-figures.service.gov.uk/education-skills-and-training

- Gov.UK, Employment by qualification level Published 11 October 2022 https://www.ethnicity-facts-figures.service.gov.uk/work-pay-and-benefits/unemployment-and-economic-inactivity/unemployment-by-qualification-level/latest
- Gov.UK, Unemployment Published 3 November 2022 https://www.ethnicity-facts-figures.service.gov.uk/work-pay-and-benefits/unemployment-and-economic-inactivity/unemployment/latest
- Long, L., and Danechi, S. Faith Schools in England: FAQs briefing paper Number 06972, 20 December 2019, House of .commence Library, p21
- Long, R, and Danechi, S. Home education in England, House of Commons Library, 19 .December 2022, p8 https://researchbriefings.files.parliament.uk/documents/SN05108/SN05108.pdf
- MCB (2007). Towards greater understanding: Meeting the needs of Muslim pupils in state schools. http://www.mcb.org.uk/down

loads/Schoolinfoguidancev2.pdf

- Middle East Eye Staff, Trojan Horse affair: Muslim Council of Britain calls for independent inquiry, Middle East Eye, 10 February 2022.
- Muslim Association of Britain, Islamic Education 8/2/2017. https://www.mabonline.net/islamic-education/
- Office of National Statistics (ONS), Full story: What does the Census tell us about religion in 2011? Released 16 May 2013, ONS website.
- Office of National Statistics (ONS), Religion, England and Wales: Census 2021, Released 29 November 2022, ONS website.
- Paul, R. and Bolton, P. (2018). Faith Schools in England: FAQs. commons-library. http://researchbriefings.files.parliament.uk/documents/SN06972/SN06972.pdf /6972
- Sturge, G, UK Prison Population Statistics, 25 October 2022 House of Commons Library, p12, https://researchbriefings.files.parliament.uk/documents/SN04334/SN04334.pdf
- The Association of Muslim social Scientists (AMSS UK), Muslims on Education- A position paper, , http://www.amssuk.com/docs/pdf/Muslims%20on

%20Education%20Position%20Paper%20June%202004.pdf, published 20 June 2004

- The Guardian, The full text of a speech made by David Bell, the schools inspector, to the Hansard Society in London. 17 June 2005. https://www.theguardian.com/education/2005/jan/17/faithschools.schools
- University of Cambridge, Media fuelling rising hostility towards Muslims in Britain, 28 April 2016. https://www.cam.ac.uk/research/news/media-fuelling-rising-hostility-towards-muslims-in-britain

Raga Mohammed Salih Ahmed; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 205-220

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal
A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota /USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة

" دراسة فقهية دعوية "

Carrying out the marriage contract . Through modem means of communication " a jurisprudence study"

Preparation

د/ رجاء محمد صالح أحمد

D. Raga Mohammed Salih Ahmed

أستاذ مساعد بجامعة أم درمان الإسلامية

ragamoh4@gmail.com

Original Research Article

*Corresponding author
Raga Mohammed Salih Ahmed

Article History
Received: 04.07.2023
Accepted: 10.08.2023
Published:.15.09.2023

الملخص:

يعتبر إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة من النوازل العصرية المتعلقة بالنكاح ، وتبدأ من أول خطوة للنكاح بإجراء الخطبة عبر وسائل الاتصال الحديثة ، وأن عقد النكاح مشافهة بوسائل الاتصال الحديثة يتمشي مع ما قرره الفقهاء من شروط لصحة النكاح .سوف نتاولها خلال هذا البحث

لا يتم أي اجراء لعقد النكاح وسوف نتناول ذلك من خلال البحث الذي أشتمل علي الآتي :

أولاً : أهمية الموضوع :

1ـ تكمن أهمية الموضوع من حيث ارتباطه برباط وثيق (عقد النكاح) وإجراءاته ، ومدي دور وسائل الاتصال الحديثة في صحته .

2 . بيان أهمية وسائل الاتصال الحديثة واستخدامها في إجراء عقد النكاح .

3 . يكسب الموضوع أهميته من خلال التطرق لوسائل الاتصال الحديثة (المكتوبة . المسموعة . المرئية) في إجراء عقد النكاح .

ثانياً :أسباب اختيار الموضوع :

1 . بيان صحة إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحدبثة .

2 . الحث علي اتقان إجراءات عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة .

3 . إبراز أثر وسائل الاتصال الحديثة ودورها في حياة الناس مما جعلها واحدة من الوسائل التي يتم بها إجراء عقد النكاح .

ثالثاً : مشكلة البحث وتساؤلاته :

يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال التساؤلات الآتية :

1 . ماهي الشروط التي تتوفر لإجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة ؟

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد، فإن من أعظم ما افترضه الله على المسلمين في كل مكان تجاه نعمة الذرية أن نقوم على أمر تربيتهم وتعليمهم. أورد الطبري في تفسيره قول عليّ رضي الله عنه في قوله تعالى: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قال: علِّموهم، وأدّبوهم.[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي خير الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

يعتبر إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة من النوازل العصرية المتعلقة بالنكاح ، وتبدأ من أول خطوة للنكاح بإجراء الخطبة عبر وسائل الاتصال الحديثة ، وأن عقد النكاح مشافهة بوسائل الاتصال الحديثة يتمشي مع ما قرره الفقهاء من شروط لصحة النكاح .سوف نتاولها خلال هذا البحث .

هناك من الأسباب التي تجعل إجراء عقد الزواج يتم عبر وسائل الاتصال الحديثة منها ما هو واقعي يوافق عليه ، ومنها ما يجب رفضه وحينها

[1] أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث – مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر، ج23، ص491.

المطلب الثاني : تعريف النكاح . ووسائل الاتصال الحديثة ــ الفرع الأول : تعريف النكاح . الفرع الثاني : تعريف وسائل الاتصال الحديثة .

المبحث الثاني : اركان وشروط عقد النكاح : وفيه مطالب : المطلب الأول : تعريف الركن .

المطلب الثاني : الإيجاب والقبول .

المطلب الثالث : أركان عقد النكاح .

المطلب الرابع شروط عقد النكاح .

المبحث الثالث : طرق عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة وحكمها وقرار مجمع الفقه الإسلامي في شأن إجراء العقود بالآت الاتصال الحديثة ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : عقد النكاح عن طريق الكتابة بوسائل الاتصال الحديثة .

المطلب الثاني : عقد النكاح عن طريق المشافهة بوسائل الاتصال الحديثة .

المطلب الثالث : عقد النكاح عن طريق المشاهدة بوسائل الاتصال الحديثة .

المطلب الرابع : قرار مجمع الفقه الاسلامي بشأن حكم إجراء العقود بآلات الاتصال الحديثة .

الفرق بين بحثي إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة وبين هذه الدراسة السابقة ، الدراسة السابقة هيكل البحث مقسم فيها علي مباحث ومطالب بينما هذا البحث مقسم لمباحث

2 . ماهي وسائل الاتصال الحديثة التي يتم عبرها إجراء عقد النكاح ؟

3 . ما صحة إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة .

رابعاً : أهداف البحث :

1 . بيان صحة إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة .

2 . تعريف وسائل الاتصال الحدبثة التي يتم عبرها إجراء عقد النكاح .

3 . بيان أراء الفقهاء حول إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة باعتبارة نازلة من نوازل العصر الحديث .

خامساً : الدراسات السابقة :

عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة .[2]

اشتمل هذا البحث علي مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، المقدمة اشتملت علي اهمية الموضوع ومشكلة الدراسة وأهمية الموضوع ومنهج البحث والدراسات السابقة له .

المبحث الأول : في تعريف مفردات البحث :

المطلب الأول : تعريف العقد .

1. عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة . إعداد : د/ مريم بنت عيسي العيسي . الاستاذ المشارك بكلية الشريعة والأنظمة (تخصص الفقه وأصوله) . جامعة تبوك . 1435هـ . 2014م .[2]

االمبحث الثاني : شروط عقد النكاح وأركانه .

المبحث الثالث : إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة الآتية :

(أ) إجراء عقد النكاح غبر وسائل الاتصال المكتوبة .

(ب) إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال المسموعة .

(ج) إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال المرئية .

سابعاً :الخاتمة :

اشتملت علي أهم النتائج والتوصيات

والمصادر والمراجع

المبحث الأول

تعريف النكاح في اللغة والاصطلاح .

أولاً : النكاح في اللغة :

(اصل النكاح في كلام العرب هو الوطء، ولهذا سمي الزواج نكاحاً لأنه سبب للوطء المباح ، ويطلق الزواج في اللغة علي الاقتران والارتباط ، ومنه قوله تعالي : " احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون " سورة الصافات الآية 22 ، أي قرناءهم .)[3]

فقط ، الدراسة السابقة دراسة موسعة وشاملة بينما هذه الدراسة مختصرة علي إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة المكتوبة والمسموعة والمرئية ، كما اشتملت الدراسة السابقة شروط النكاح الصحيحة والفاسدة ، و شملت الأدلة والمناقشة والترجيح لأراء الفقهاء . كما شمل المبحث الثالث : طرق عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة ثلاثة فروع : الفرع الأول صور المسألة وهي طريقة إجراء العقد . الفرع الثاني حكم عقد النكاح عن طريق وسائل الاتصال الحديثة (الكتابة ـ المشافهة ـ المشاهدة).

الفرع الثالث : الأدلة والترجيح .

الدراسة السابقة دراسة فقهية فقط ، بينما هذه الدراسة هي دراسة فقهية دعوية

اجتمع البحثيين علي تعريف مصطلحات البحث وحكم إجراء عقد النكاح عبر وسائل التواصل الحديثة . وقرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن حكم إجراء العقود بآلات الاتصال الحديثة .

سادساً : منهج البحث :

انتهجت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي .

سابعاً : هيكل البحث :

اشتمل البحث علي ثلاث مباحث :

المبحث الأول : تعريف النكاح في اللغة والاصطلاح .

1 . لسان العرب . ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري) . دار

(يكون بمعني عقد التزويج ، ويكون بمعني وطء الزوجة ، قال علي القالي : " فرقت العرب فرقاً لطيفاً يعرف به موضع العقد من الوطء ، فإذا قالوا : نكح فلانة أو بنت فلان أرادوا عقد التزويج ، وإذا قالوا : نكح مرأته أو زوجته لم يريدوا إلا الجماع والوطء .

المبحث الثاني

شروط عقد النكاح وأركانه

أولاً : شروط عقد النكاح :

هي اربعة شروط : " الولي ، وهو أبو الزوجة ، أو الوصي ، أو الأقرب فالأقرب ، أو القاضي إذ هو ولي من لا ولي له ، والشاهدان ، وصيغة العقد والمهر أي الصداق . فهذه الشروط الأربعة تعتبر كالأركان للنكاح متي سقط ركن منها فسد النكاح وبطل "[7] .

ولكل ركن من هذه الأركان شروط .

شروط الولي :

أن يكون أهلاً للولاية وذلك أن يكون ذكراً عاقلاً رشيداً حراً ، وأن يستأمرها الولي أي يطلب

[4] النكاح في اللغة : (الضم والجمع ، ومنه تناكحت الأشجار إذا تمايلت وأنضم بعضعها الي بعض)[5]

ثانياً : معني النكاح شرعاً :

" تعاقد بين رجل وأمرأة يقصد به استمتاع كل منهما بالآخر وتكوين أسر ة صالحة ومجتمع سليم "

ومن هنا نأخذ أنه لا يقصد بعقد النكاح مجرد الاستمتاع بل يقصد مع ذلك تكوين الأسرة الصالحة والمجتمعات السليمة ، لكن قد يغلب احد القصدين علي الآخر لاعتبارات معينة علي حسب أحوال الشخص .

(عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ إنكاح أو تزويج أو ترجمت ذلك .) [6]

. النكاح والطلاق والزواج والفراق . جابر بن موسي عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري . مطابع الرحاب . الطبعة الثانية . ص 27 [7]

النوادر . 1290 هـ . المجلد العاشر . ج 14 باب النون . ص 351 . [3]

. الزواج . ابن عثيمين (محمد بن صالح بن محمد العثينين . ت . 1421) . الناشر مدار الوطن . الطبعة 1425 هـ . ص 13ؤ . [4]

. فقه النكاح والفرائض . محمد عبد اللطيف قنديل . بون طبعة .، بدون تاريخ . ص 55 . [5]

. فقه النكاح والفرائض . محمد عبد اللطيف قنديل نفس . مرجع سابق . ص 56 [6]

وأقيموا الشهادة لله) سورة الطلاق الآية 2 .

وقول الرسول صل الله عليه وسلم : " لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل "[10] ، ويُشترط في الشاهدين ان يفهما المراد من كلام العاقدين إجمالاً فلو كانا لا يفهمان المُراد فلا يصح العقد ويشترط في سماعهمالكلام العاقدين ، أما لو كان بالإشارة فلا بد من فهم المقصود من الإشارة .

"وكتب الحنفية فيها خلاف لفقائهم في شرط السماع والفهم ، فمنهم من جعل الشرط هو حضور الشاهدين فقط وإن لم يسمعا ، ومنهم من يقول لابد من السماع ، وهو الأصح ، ومنهم من لم يشترط فهمهماللغة العقد ، ووفق بعض الفقهاء بين القولين " اشتراط الفهم وعدمه " واشتراط الفهم محمول علي فهم المقصود إجمالاً من كلام العاقدين وأنهما يقصدان عقد الزواج ، وعدم اشتراطه محمول علي فهم معاني الألفاظ بعد فهم ان المُراد عقد زواج ، فيكون الأصح في المذهب اشتراط السماع والفهم إجمالاً للمقصود علي فهم معاني الألفاظ بل يكفي أن أمرها إن كانت ثيباً فإن وافقت فبها وإن لم توافق فلها ذلك ، ولا يتم العقد . وإن كانت بكراً تستاذن ، عن عايشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صل الله عليه وسلم : " البكر تستأذن ، قلت أن البكر تستحي ؟ قال إذنها صمتها "[8] .

" وأولياء المرأة في النكاح هم العصبة وترتيبهم أن يبدأ بالأصول ثم بالفروع ، ثم بالأخوة وابنائهم ، ثم بالأعمام وأبنائهم "[9]

2 / شروط الشاهدين :

هذا الزواج بين مسلم ومسلمة فيشترط في الشاهدين الإسلام ، لأن الشهادة فيها معني الولاية يقول تعالي : (ولن يجعل الله علي الكافرين سبيلا) سورة النساء الاية 141.فإذا كان الشاهدان علي الزواج غير مسلمين بطل العقد .

أن يكونا عدلين وأن يكون أثنين فأكثر ، والعدل هو من يتجنب الكبائر ، ويترك غالباً الصغائر لقوله تعالي : (وأشهدوا ذوي عدل منكم

أخرجه الطبراني في الأوسط . حديث رقم (5560) . الجزء 6 . ص 263 . [10]

. شروط النكاح . الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد صالح بن العثيمين . سلسلة اللقاء الشهؤي (55) . [9]

. أحرجه البحاري في صجيحه كتاب النكاح . باب في النكاح . حديث رقم (6971) . ضمن حديث طويل . [8]

أ / أن تكـون الصـيغة واضـحة في دلالتهـا علـي انشـاء العقـد في الحـال ، خاليـة مـن التعليـق أو الإضافة إلي المستقبل .

ب / أن تكون الصيغة مؤبدة خالية من التأقيت ، ولا يقترن بها ما يدخل عليه .

ج / أن تكـون االصضـيغة بالألفـاظ الدالـة علـي الزواج دلالة صريحة لا تحتمل لبساً ولا تحويلاً

د/ صـدور الصيغة من عاقـدين كـاملي الأهليـة من البلوغ والعقل

هـ / أن يتوافق الايجاب والقبول في جميع العناصر الجوهرية المقصودة في عقد الزواج وخاصة في الزوج والزوجة .فلا يقصد الزوج فتاة ويقصد وليها أختها ، وكـذلك في المهـر وغـيره . وأن يصـدرا في مجلـس واحد وإلا يرجع الموجب في ايجابه قبل قبول الآخر ، أو يصدر من العاقد الثاني ما يدل الإعراض عن العقد .

المقصود بمجلس العقد :

من شروط صحة الايجاب والقبول صدورهما في مجلس واحد ، تأكيداً لارتباطهما معاً من غير فاصل طويل يشعر بالإعراض عن العقد أو عدم الرغبة في إتمامه من أي طرف .

" ويقصد بمجلس العقد المكان الحال التي يكون فيها الطرفان مقبلين علي التعاقد ، ومن ثم فإن هذا اللفظ مقصود به الزواج " [11]

3 / صيغة العقد :

يقصد بصيغة العقد ما يتبادله طرفا العقد من كـلام ونحـوه يـدل علـي تراضـيهما ورغبتهمـا في إنشاء عقد الزواج وترتيب آثاره في الحال . كقول ولي الزوجـة أو وكيلهـا للـزوج : زوجتـك أو انكحتك ، ويرد عليه الزوج بلفظ يشعر بالقبول كقوله قبلت ، أو رضيت ، أو وافقت ونحو ذلك .

وهذه الصيغة ركن بالاتفاق ، وهي التي يعبر عنها بالايجاب أو القبول ووجه ركنيتها : أن الزواج وغيره من العقود لا ينعقد الا بالتراضي بين طرفي العقـد ، والتراضـي أمـر نفسـي لا يمكـن الوقـوف عليه غلا بما يعبر عنه من لفظ أو إشارة أو فعل أو نحـوه ، فكانـت الصـيغة الايجـاب والقبـول وهـي الدالة علي تحقيق التراضي

شروط صيغة صحة العقد :

حـتي تكـون الصـيغة صـحيحة شـرعاً منتجـة لآثارها يلزم لها توافر شروط أهمها :

9 . أحكام الأسرة في الإسلام . د/ مصطفي شلبي . دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع 1977م ص 127[11]

وليس هناك شيئاً محدداً بل يمكن أن يكون كالمال النقدي والبيت والأرض والسيارة

والمهر ليس شرطاً في عقد الزواج ولا ركناً عند جمهور الفقهاء ، وإنما هو أثر من آثاره المترتبة عليه .

أن الإسلام لم يضع للمهر مقداراً محدداً ، وإن كان بعض الأئمة يختلفون في الصداق هو دينار ولكن الصحيح في هذا الأمر هو أنه لا حد لأقله نظراً لأن الرسول صل الله عليه زوج علي خاتم من حديد أو كف من طعام ، وكذلك لا حد لأكثره ، لقوله تعالي : (وأتيتم أحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) ، غير أن الشريعة يُفهم منها ضرورة الأقتصادالشديد وعدم المغالاة في المهور للنهي الصريح عن التبذير والإسلام " [14]

والحكمة من وراء شرعية هذا المهر عدة أمور :

1 / تكريم المرأة بأن تكون هي المطلوبة لا الطالبة ، والتي يسعي إليها الرجل لا التي تسعي ألي الرجل ، فهو الذي يطلب ويسعي ويبذل ، علي عكس الأمم التي تكلف المرأة أن تبذل هي للرجل من مالها ، أو من مال أهلها حتي يقبل الزواج منها .

2 / إظهار الرجل رغبته في المرأة ومودته لها ، فهو يعطيها هذا المال نحله منه ، أي عطية وهدية وهبه

. أحكام الأسرة . أحكام النكاح والخطبة . إسلام أون لاين . [14]

شرط اتحاد المجلس يعني اتحاد الزمن أو الوقت الذي يكون فيه الأطراف مشتغلين بالتعاقد ، وبالتالي قد يجمعهما مكان واحد ، وينتهي حديثهما في شأن العقد ، وتشاغلان بغيره ففي هذه الحالة يكون المجلس قد انفض "[12].

والمجلس الحكمي هو المجلس الذي يكون أحد المتعاقدين غير حاضر فيه ، وهذا غالباً ما يكون عليه مجلس العقد الألكتروني .

4 / المهر :

الصداق أو المهر في الفقه الإسلامي هو ما يدفعه الزوج لزوجته بعقد الزواج معجلاً أو مؤجلاً ، وو لمهر الذي يتم الاتفاق عليه بين الزوجين حال العقد ، وحكم هذا المهر أنه يستقر نصف قيمته بمجرد تمام العقد ، [13]

" ويسمي الصداق ، وهو ما تستحقه المرأة بجعله في العقد ، أو بتنعينه بعده ، أو بسبب الوطء أو ما هو بحكمه .

. مجلس العقد . محمد صديق عبد الله . بدون طبعة . بدزن تاريخ . ص 24 . [12]

11. منار السبيل في شرح الدليل . ابن ضويان . 1353هـ \. إبراهيم بن محمد بن سالم . المحقق : زهير الشاويش . المكتب الإسلامي . الطبعة السابعة . 1409هـ . 1989م ص 202 " بتصرف " [13]

وقد جاوز الناس في زماننا حد المعقول من المهور ، وأصبح ينظر الي المهر علي أنه ثمن وغنيمة وصفقة يكسب من ورائها آباء البنات ، وبهذا عظمت المصيبة ووضع أمام الزواج عقبة تعسر عليه أمر زواجه الذي هو في أصله مبني علي التيسير .

المبحث الثالث

إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة الآتية

(أ) إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال المكتوبة:

تطورت وسائل الاتصال بين الناس في العصر الحديث تطوراً هائلاً وأصبح بإمكان من في المشرق أن يتحدث ويري ويسمع من في المغرب ، وأصبح بالإمكان عقد صفقات وعقود دولية وغيرها بين أطراف يتواصلون عن طريق هذه الوسائل دون حاجة إلي الأسفار والانتقال إلي إقامة مكان البائع أو المشتري أو نحوهما وهذا من الأعراف التي استقرت حديثاً ولم تعد منكرة ولا مستغربة في عالم اليوم .

العقد الإلكتروني للزواج :

منه ، لا ثمناً للمرأة كما يقول المتقولون ، قال تعالي : (وآتوا النساء صدقاتهن نحله فإن طبن لكم عن شئ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئا) سورة النساء الآية 4 .

3 / الإشعار بالجدية إن بذل المال دليل علي أن الرجل لاجاد في طلبه للمرأة ، جاد في الارتباط بها .

4 / إن الإسلام قد جعل القوامة علي الأسرة بيد الرجل ، لقدرته الفطرية علي التحكم علي انفعالته أكثر من المرأة قال تعالي : (الرجال قوامون علي النساء بما فضل الله بعضهم علي بعض وبما أنفقوا من أموالهم) النساء 34 .

نجد أن الشرع رغب في تقليل المهر ، وعدم المغالة فيه وهذا ما وضحته بالسنة القولية والعملية ، فالنبي صل الله عليه وسلم يقول : (أقلهن مهراً أكثرهن بركة .)[15] وقد تزوج الرسول صل الله عليه وسلم بعض نسائه علي دراهم قليلة .

وكذلك زوج بناته بأيسر المهور ، ويكفي ذلك مهر أحب بناته إليه ، وهي فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين فقد مهرها علي درعاً له رضي الله عنهما .

[15] أخرجه النسائي في صحيحه . حديث رقم 3349 ..

القاعدة المعروفة الأصل في الإبضاع التحريم "[17].
فيحتاط فيهاما لايحتاط في غيرها ، خوفاً من اختلاط المياه واشتباه الأنساب .

" اتفق العلماء علي عدم جواز انعقاد العقد بالكتابة بين الحاضرين لعدم الحاجة إليه ، أما بين الغائبين فمنعه الجمهور وأجازه الحنفية بشروط ، منها :

أن يشهد شاهدان علي مافي الرسالة المكتوبة عند إرسالها | : ومنها أن يصرح المرسل إليه بالقبول لفظاً عند استلام الشهادة أمام الشاهدين ، وبذلك يكون الإشهاد علي المكتوب عند إرساله وعلي قبول المرأة عند تلفيظها به ، زمنها أن تكون الكتابة مستبينة وواضحة بحيث تقرأ وتفهم ويبقي أثرها بعد الإنتهاء من قراءتها ."[18]

وفي مقابل هذا القول ، ذهب آخرون إلي عدم جوازه بهذه الوسائل وصدر بذلك قرار مجمع الفقه

هي : " خدمة ألكترونية تقدم من وزارة العدل تتيح إتمام جميع إجراءات عقد الزواج إلكترونياً من خلال منصة وزارة العدل ، بكل يسر وسهولة ، حيث تتيح الخدمة للمستفيد تسجيل بياناته وبيانات عقد الزواج ، ثم حجز موعد مع المأذون ليتم عقد الزواج بشكل إلكتروني وتوثيقه ، بدون حضور المستفيد للمحكمة"[16]

" الأصل في الزواج ليس كسائر العقود من حيث مقاصده وأهدافه وغاياته ، وقد أحاطه الشارع بسياج منيع من الأحكام والقواعد التي تحفظ له هذه الخصوصية ، وفصِل الكثير من أحكامه بنصوص شرعية محكمة في القرآن الكريم يتعبد بتلاوتها ويرددها المسلم في صلواته لتكون ديناً يجب التدين به قبل أن تكون التزاماً عقدياً بالإضافة إلي لاما ورد بشأنه في نصوص السنة النبوية الصحيحة ومما ورد بشأنه متفرداً عن سائر العقود عند الانعقاد : اشتراط حضولر الولي في قول جمهور الفقهاء ، والشهود ، وأهمية إعلانه ندباً أو وجوباً علي خلاف بين العلماء ، كما بُينت أحكامه علي التحوط وليس التساهل كما هي

. المنثور في القواعد الفقهية . الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهار الشافعي (745 . 794 هـ) حققه : د. تيسير فائق أحمد محمود . راجعه : د. عبد الستار أبو غدة . وزارة الأوقاف الكويتية (طباعة شركة الكويت للصحافة) . الطبعة الثانية 1405هـ . 1985م . ج1 . ص 177 [17]

. مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي العدد الثاني (12372) [18]

العقد الإلكتروني للزواج . المنصة الوطنية الموحدة . وزارة العدل . المملكة العربية السعودية . [16]

الهاتفية ، وعليه أن الشاهدان لا يشهدان العاقدين لحظة تلقي الشهادة ، ورغم ذلك يلتقيان الشهادة من خلال تمييز الأصوات بحاسة السمع ، وبالتالي تتحقق الشهادة ."[20]

(ج) إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال المرئية .

لقد تطورت وسائل الاتصال كثيراً حيث كان تبادل الحوار بين غائبين يتم إما كتابة كالفاكس ، وأما مسموعاً كالهاتف ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أصبح بمقدور العاقدين رؤية بعضهما البعض أثناء المكالمة ، وكأنهما في مجلس واحد ، وهذا بعض ظهور الأنترنت ، والجيل الثالث للهاتف النقال ، وعليه صارت مكالمة شخصين أحدهما في اقصي المشرق والآخر في أقصي المغرب أمراً في غاية السهولة والبساطة وبأقل تكلفة .

لهذا استخدمت هذه الأجهزة في إبرام عقود الزواج . لكن الإشكال الذي واجه الفقهاء هو كيفية إثبات الشهادة عبرها ، وكيف سيشهد الشهود علي مراسم إجراء العقد بين غائبين ؟

"أجابت التكنولوجيا الحديثة علي هذا التساؤل ووجدت له حلول من خلال مكالمات الفيديو التي

الإسلامي الدولي رقم (6/ 3 / 54)بشأن حكم إجراء العقود بالاتصال الحديثة وذلك في دوره مؤتمرة السادس بجده في المملكة العربية السعودية من 17 الي 23 شعبان 1410 هـ الموافق 14 .20 آذار (مارس) 1990 م.

(ب) إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال المسموعة.

وهو إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال المسموعة ومنها الهاتف ، " وبعض الفقهاء قالوا بعدم جواز إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة كالهاتف ، هي عدم توافر الشهادة علي العقد. "[19]

وهي كما تعلم من شروط الصحة فيه ، بل وعدها المالكية من أركان العقد .

" لكن المجيزين له يرون غير ذلك وذهبوا إلي أن التكنولوجيا الحديثة أوجدت حلاً لذلك حيث زُود جهاز الهاتف النقال أو حتي الثابت بمكبر صوت يمكن يمكن المتعاقدين والشهود من سماع بعضهم البعض رغم بعد المسافات وكأنهم في مكان واحد ، فليشهد الشاهدان علي ما دار في المكالمة

. مستجدات فقهية في قضايا الزواج والطلاق . أسامة عمر الأشقر . دار النفائس . الطبعة 2 . الأردن . 2005م ص 109 .[20]

. أحكام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة بين المذاهب السنية والمذهب الجعفري والقانون . مصطفي محمد شلبي . الدار الجامعية . ط 4 . بيروت 1983م . 1403هـ . ص 107 .[19]

الإيجاب الصادر من الولي فقط ، أو علي القبول من الزوج لم يصح العقد .

وهنا يأتي دور الدعاة بتصبرة الناس علي الكيفية الصحيحة لإجراء العقد عبر وسائل الاتصال الحديثة وماهي الشروط لصحة العقد ، والوقوف علي اتمام العقد بتوفر الشروط التي ذكرت داخل البحث .

كما يجب تبصير الناس بعيوب إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة التي قد تقضي إلي منازعات وخصومات وربما إلي حل رابطة الزوجية ومنها :

1 / إمكانية تقليد الاصوات ومحاكاتها أثناء إجراء مفاوضات العقد .

2 / إمكانية تقليد الصورة وتشبيهها بغيرها . حيث توجد برامج عبر النت لمعالجة الصوت والصورة الملامح وتقليدها بطرق متعددة .

3 / احتمال وجود بعض العوارض الفنية (كانقطاع المكالمة بعد صدور الإيجاب من الولي . وسماعه من الزوج ، إما لخلل في شبكة الأنترنت المحلية او الدولية أو في التوصيلات أو غير ذلك) وقد يطول الفصل بين الإيجاب والقبول لدقائق وربما لساعات فلا يكتمل العقد .

زودت بها الهواتف الحديثة ، حيث أصبح في مقدور كل من العاقدين رؤية بعضهما البعض أثناء مكالمتهما الهاتفية ، وينطبق الأمر كذلك لي الشهود ، وبالتالي يستطيع الشاهدان هنا مشاهدة العاقدين وكأنهما في مجلس واحد ، وتكون شهادتهما كالشهادة في مجلس العقد الحقيقي التقليدي "[21]

وأما إجراء عقد النكاح بالمكالمات المرئية أولي بالجواز من المكالمات الصوتية ، لإمكان مشاهدة طرفي العقد حال إبرام العقد والتلفظ بالإيجاب والقبول ، ولانتقاء الخداع والخطاء غالباً ، فيجوز إبرام عقود النكاح بهذه الطريقة بشرط توفر جميع الإجراءات التي تضمن صحة العقد ، من وجود الولي والشاهدين ، والتأكد من شخصية الزوجين بالمعرفة أو السماع ، وسماع الشهود لطرفي العقد في مجلس واحد لا يكون فيه فصل ولا انقطاع ، بحيث يسمع كل طرف كلام الطرف الآخر في الوقت نفسه فيكون الإيجاب والقبول من الولي او وكيله ، ويليه القبول من الزوج او وكيله علي الفور ، ولو اقتصر سماع الشهود علي

. انظر : قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدورات من 10.1 قررات من 1. 98 ، دار القلم دمشق 1998م. 1418هـ ص 111. 112 .[21]

إجراء العقد بينهما بصورة لا تختلف كثيراً عن اجتماعهما في مجلس واحد .

2 / لا يصح إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة إذا فقد أحد أركان النكاح ، أو شروط العقد.

3 / لا يجوز الإعلان عن النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة إلا وفق ضوابط ومعايير تحافظ علي القيم والأخلاق وتصون الكرامة والعزة .

4 / لا يصح إجراء عقد النكاح بالكتابة عبر الأنترنت

5 / يصح عقد النكاح عبر وسائل الاتصال المسموعة إذا كان الشاهدان يسمعان كلام العاقدين من الإيجاب والقبول ، ولا يصح ٬ذا كان الشاهدان لا يسمعان الإيجاب دون القبول والعكس .

ثانياً : التوصيات :

1 / ضمان صحة عقد اجراء النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة والتأكد من توفر الشروط والأركان .

2 / اخذ الاحتيطات اللازمة للتأكد من صحة النكاح ونفي الغش أو الغرر عنه ومنع الخلاف عنه في المستقبل .

هذا هو دور الدعاة خلال إجراء عقد النكاح عبر وسائل الإتصال الحديثة ولأن الدعاة أقرب للمجتمع ويمكن ان يوصلوا المعلومات الصحيحة عبر عدة وسائل دعوية مختلفة .

الخاتمة : وتشمل النتائج والتوصيات :

الحمد لله رب العالمين لقد اشتمل البحث علي ثلاثة مباحث وهي

المبحث الأول اشتمل علي تعريف النكاح في اللغة والاصطلاح .

والمبحث الثاني اشتمل علي شروط عقد النكاح وأركانه

والمبحث الثالث الذي اشتمل علي إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة بما فيها تعريف العقد الإلكتروني وإجراء عقد النكاح عبر الوسائل المكتوبة والمسموعة والمرئية ، وماهو دور الدعاة عند إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة . ثم الخاتمة التي اشتملت علي أهم النتائج والتوصيات وقائمة المصادر والمراجع .

الخاتمة :

أولاً : النتائج :

1 / يتميز عقد النكاح عبر الوسائل الحديثة بكونه مشابهاً للعقد ، حيث يتمكن كلاً من الطرفين من

3 / الحرص علي توثيق عقود النكاح رسمياً في دوائر الدولة ، حفظاً للحقوق ومنعاً للمفاسد ، وعدم اختلاط الأمور لا سيما في حلات الفراق او مشاكل بين الزوجين.

4/ ابراز دور الدعاة في المجتمع من خلال الحرص علي توجيه الدعوة صيانة للمجتمع وحفظ حقوقه بتبصير الناس علي كيفية أجراء عقد النكاح عبر وسائل التواصل الحديثة وكيفية صحته وشروطه وأركانه .

5 / عدم التساهل عند إجراء عقد النكاح عبر وسائل الاتصال الحديثة ، ويشترط حضور ولي الزوجة وموافقته . قال صل الله عليه وسلم : " أيما أمرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل "

6 / يجب علي الطرفين الإعلان عن الزواج عبر وسائل الاتصال الحديثة وفق ضوابط ومعايير تحافظ علي القيم والاخلاق وتصون الكرامة والعزة .

المصادر والمراجع :

أولا : المصادر :

1 / القرآن الكريم

2 / السنة النبوية

ثانياً : المراجع :

1 / أحكام الأسرة في الإسلام . د/ مصطفي شلبي . دار النهضة العربية . للطباعة والنشر والتوزيع . 1977م

2 / أحكام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة بين المذاهب السنية والمذهب الجعفري والقانوني . مصطفي محمد شلبي . الدار الجامعية . الطبعة الرابعة . بيروت . 1983م . 1403هـ .

3 / الزواج . (ابن عثيمين) محمد بن صالح بن محمد العثيمين . مدار الوطن . 1425هـ .

4 / فقه النكاح والفرائض . محمد عبد اللطيف قنديل . بدون طبعة . بدون تاريخ .

5 / قرارات توصيات مجمع الفقه الإسلامي . الدورات من (1ـ 10) قرارات من (1 . 98) . دار القلم . دمشق . 1998 م . 1418 هـ .

6 / لسان العرب . (ابن منظور) محمد بن مكرم بن علي بن أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري . دار النوادر . 1290 هـ . المجلد العاشر .

7 / مجلس العقد . محمد صديق عبد الله . بدون طبعة . بدون تاريخ .

8 / مستجدات فقهية في قضايا الزواج والطلاق . أسامة عمر الأشقر . دار النفائس . الطبعة الثانية . الأردن . 1905 هـ .

9 / منار السبيل في شرح الدليل . (ابن ضويان) إبراهيم بن محمد بن سالم ت |(1353هـ) . المحقق : زهير الشاويش . المكتب الإسلامي . الطبعة السابعة . 1409 هـ . 1989م .

10 / المنثور في القواعد الفقهية . (الزركشي) بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهار الشافعي (745 . 794 هـ) حققه : د. تيسير فائق أحمد محمد . راجعه : د . عبد الستار أبو غدة . وزارة الأوقاف الكويتية (طباعة شركة الكويت للصحافة) الطبعة الثانية 1405 هـ . 1985 م .

11 / النكاح والطلاق والزواج . جابر بن موسي عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري . مطابع الرحاب . الطبعة الثانية .

المجلات :

1 / مجلة مجمع الفقة الإسلامي الدولي . العدد الثاني . 12372 .

المواقع الإلكترونية :

1 / شروط النكاح . الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد صالح بن العثيمين . سلسلة اللقاء الشهري (55)

2 / العقد الألكتروني للزواج . المنصة الوطنية الموحدة . وزارة العدل . المملكة العربية السعودية

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal
A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota /USA
ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

بناء الأسرة بين القيم القرآنية والتحديات المعاصرة

(مساهمة في حل معضلة التحولات القيمية).

Family building between Quranic values and contemporary challenges

(Contribution to solving the dilemma of value shifts)

د. حنان خياطي، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة –المغرب.
khiyatih@gmail.com

Original Research Article

*Corresponding author
Hanane Khiyati

Article History
Received: 08.07.2023
Accepted: 12.08.2023
Published:.20.09.2023

ملخص:

تشكل القيم المحرك الأساسي للإنسان والعامل الأساسي في تحديد أهدافه وغاياته والمحافظ على قوة سيره وانتظامه، لذلك جاءت الديانات السماوية كلها والإسلام على رأسها لترفع راية القيم، ومن يتأمل القرآن الكريم سيجد عددا هائلا من الآيات تحض على القيم الفاضلة وتذم القيم السالبة.

ورغم إشاعة القرآن الكريم لقيم سامية ومسلكيات ومعالجات يقاس عليها في بناء الفرد والأسرة المثال، كان لمختلف المؤثرات الاقتصادية، الاجتماعية، التربوية والتكنولوجية، أثر بالغ في توطيد القيم الأخلاقية أو طمسها، وقد شهدت المجتمعات المسلمة تحولات كبيرة على هذا المستوى، كاد هرم القيم الأخلاقية ينقلب، كما جدت لها ظروف لها متطلباتها القيمية الغائبة وأبعدتها عن منبع صفائها ونقائها الروحي، ألا وهو القرآن الكريم ومنهجه الواضح.

الكلمات المفاتيح: القرآن الكريم، الأسرة، القيم، التحولات القيمية.

Abstract :

Values constitute the main engine of man and the main factor in defining his goals and objectives and maintaining the strength and regularity of his path. Therefore, all the heavenly religions, with Islam at their head, came to raise the banner of values, and whoever contemplates the Holy Qur'an will find a huge number of verses urging virtuous values and disparaging negative values. Despite the publication of the Noble Qur'an for sublime values, behaviors, and treatments that can be measured in building the individual and the family as an example, the various economic, social, educational and technological influences had a great impact on consolidating or obliterating moral values, and Muslim societies have witnessed major transformations at this level, the hierarchy of moral values is about to overturn She also found circumstances that had her absent value requirements and kept her away from the source of her serenity and spiritual purity, which is the Holy Qur'an and its clear approach.

Keywords: Holy Quran, family, values, value shifts.

أيضا في فضاء قيمي يحقق لها التماسك الأسري السليم والامتداد الاجتماعي القويم.

والقيم الأسرية فضاء رحب قابل للتفاوض والترقي في مدارجه والسمو في معارجه.

إلا أن الأسر المسلمة تتعرض لقصف إعلامي وتربوي في عصر العولمة والفضائيات ووسائل الاتصال الحديثة بما يقوض بنيانها القيمي ويهدده بالتحول الأخلاقي والتشوه التربوي مما يجعلها مهددة في تماسكها واستقرارها واستمرارها فوجب إجراء بحوث ودراسات لإدراك، هذه التغيرات وفهم هذه الظواهر، ومعالجتها بأحسن الطرق من أجل الوصول بالأسر المسلمة إلى ما يريده الله تعالى، من تحقيق العدل، ورفع الظلم، وإحقاق الحق، ونشر الخير.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية البحث في ارتباطه الوثيق بالواقع المعاصر، وحاجته إلى مثل هذه الدراسات التي تقارب للكشف عن بعض الملامح فيما ينبغي أن يكون عليه الأسرة المسلمة، في كل مرحلة من مراحل حياتها.

إن ديننا يؤكد على أهمية التجديد، لمتابعة متغيرات كل عصر، يقول رسولنا الكريم: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائه عام من يجدد لها دينها

المقدمة:

غني عن البيان أن القيم هي من أهم محددات السلوك الإنساني ومعاييره الأساس خاصة في مستواه الاخلاقي، وأن هذه القيم لا تكون فاعلة على المستوى الاجتماعي إلا بتحقق شرطها الأهم وهو المنظومية، أي استدعائها بصورة جماعية تضمن التكافل فيما بينها على مستوى التأثير والتوجيه السلوكي، ومن ثم الفعالية الاجتماعية.

وتتميز الشريعة الإسلامية بمنظومة تشريعية متماسكة غير مقتصرة على الجانب الإجرائي والقانوني.

بل معززة بمجموعة من القيم تشكل سداها وتمثل لحمتها. والقيم تمثل أرضية صلبة يقوم عليها بناء المنظومة التشريعية والفضاء الذي يمتد فيه هذا البناء ويتطاول ويصير بنيانا مرصوصا يشد بعضه بعضا.

وبالتأمل الأولي في القرآن الكريم نخرج بملاحظة أولية وهي اشتمال القرآن الكريم على نظرية قيمية في كافة الأحكام الشرعية وخاصة الأسرة.

إن القيم الأسرية تمثل دما يسري في شرايين الأحكام يمدانها بروح الاستمرار وطاقة الاستقرار.

وبما أن الأسرة تمثل وحدة قياسية للمجتمع وتشكل محضن القيم الذي ينتج القيم ويصدرها عبر وسائط تربوية، فالمناسب أن تسبح الأسرة

- الكشف عن التحديات المعاصرة التي تواجه الأسرة المسلمة اليوم.
- المساهمة في حل معضلة التحولات القيمية.

الدراسات السابقة:

موضوع الاسرة موضوع مهم ولا زال يشغل أذهان الباحثين بكل متعلقاته ولوازمه وكيفية معالجته ولذلك

جاءت الدراسات العلمية والأكاديمية لتبين أهميته وأهم الإشكالات التي تعترضه منها:

1-فقه الاسرة المسلمة في الخطاب القرآني والهدي النبوي، دراسة تأصيلية مقاصدية للدكتورة مليكة نايت لشقر، وجاء تقسيم الكتاب منتظما في مقدمة وفصلين وخاتمة، تضمن الفصل الأول الحديث عن فقه الأسرة في الخطاب القرآني وجاء الفصل الثاني للحديث عن الأسرة وتطبيقاتها في الهدي النبوي.

2-الإجتهاد والتجديد في قضايا الأسرة في السياق الكوني، سؤال الثابت والمتغير، أعمال الندوة العلمية الدولية يومي 07-08 دجنبر 2018م، بكلية الآداب والعلوم الإنسانة، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية.

3-الاسرة في التصور القرآني، جميلة تلوت، استطاعت فيه الباحثة أن تلتزم بالإطار المرجعي والاصطلاحي والمفاهيم الناظمة للبناء الأسري في القرآن الكريم وانضبطت للمعالجة المنهجية

"[1] ولكن التجديد في المنظور الإسلامي يعني التوافق مع متغيرات العصر وضبطه بالضوابط الشرعية. وإطلاق كل طاقات التقدم الإنساني والاجتماعي والعلمي والتقني، القادرة على تحقيق واجبات الاستخلاف في الأرض، وتحسين نوعية حياة الإنسان على الأرض، في ظل مجموعة من الثوابت التي تدفع إلى الإمام والتقدم، وتحول دون الانحراف أو الصراع أو التصادم أو الزيغ عن جادة الطريق.

مشكلة الدراسة:

تكمن الإشكالية الرئيسية للدراسة في السؤال الآتي: ماهي أوجه التحولات القيمية في الأسرة المسلمة اليوم؟ وكيف العمل لصياغة منهج شامل لإصلاح قيم الأسرة المسلمة بغية استعادة العافية الحضارية باستئناف العمران وترشيد الاستخلاف، وتقويم أحوال المجتمع.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الهدف الرئيسي الآتي:

- ما السبيل إلى بناء الاسرة المسلمة بين القيم والتحديات المعاصرة.

وتنطوي تحته الأهداف الفرعية الآتية:

1- أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم: باب ما يذكر في قرن المائة وأخرجه أحمد في المسند 2/ 88.

المبحث الأول: منطق الاشتغال المنظومي للقيم في القرآن.

المبحث الثاني: الأسرة والتكامل الوظيفي للقيم (مسالك التأهيل وأدوات التنفيذ).

المبحث الثالث: أوجه التحولات القيمية في الأسرة المسلمة وأسبابها.

المبحث الرابع: مسالك التأهيل وأدوات الإصلاح للأسرة المسلمة.

المبحث الأول: منطق الاشتغال المنظومي للقيم في القرآن:

تبقى القوة الإجرائية والتفاعلية لأي مفهوم من قوة المرجعية التي يستمد منها المفهوم، ومن مدى تماسك ونسقية مكونات هذه المرجعية من حيث تكامل وظائفها وتحقق مقاصدها.. في جلب النفع والسعادة والمصلحة للإنسان ودفع الضرر والشقاء والمفسدة عنه..

وليس ثمة مفهوم يستند إلى جهد بشري مرسوم بالنسبية والقصور، بقادر على النهوض بكل تلك المهام لإسعاد الإنسان في حياته الدنيا أو العاجلة، بل إسعاده في حياته الدنيا أو العاجلة لذلك تبقى المرجعية الدينية –في ثقافتنا الإسلامية –باعتبارها وحيا مطلقا مستوعبا للزمان ومؤطرا للإنسان أولى من غيرها في هذا السياق وفي كل سياق.

للمحاور البحثية مبرزة مقاصد البناء الأسري والمدونة الأخلاقية المنظمة لفضائه لتمكين تحقيق الأدوار الأسرية المرتبطة بالعمران والصلاح.

4–بناء الاسرة بين القيم والتحديات المعاصرة ،للدكتور محمد خروبات،عالج فيه موضوع الكتاب في سبعة فصول جامعة وأولى فيه العناية لبحث التحديات المحدقة بالأسرة داخليا وخارجيا.

منهج الدراسة:

تستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي: وهو الذي يصف ما هو كائن ويفسره ويعمل على تحديد العلاقات بين الوقائع والممارسات الشائعة والاتجاهات المختلفة عند الجماعات[2] ،والمنهج الاستنباطي: وهو استخلاص النتائج من شيء نعرفه معرفة يقينية تلزم عنه[3].

وفي سبيل إلقاء نظرة على التحولات القيمية للأسرة المسلمة، ووصف الدواء وهو القيم القرآنية التي أرشد إليها ودعا لها، سأتناول الموضوع وفق الخطة الآتية:

– مقدمة وأربعة مباحث:

[2] –جابر عبد الحميد جابر، وكاظم أحمد خيري، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة ،1978م، ص 126.

[3] –إبراهيم عبد العزيز الدعيلج، مناهج وطرق البحث العلمي، دار صفاء، الأردن، الطبعة الأولى ،2019مَ،ص41.

ضمر هذا الأصل وانحصرت معانيه ودلالاته في التداول التاريخي حتى لم يبق لها حضور في مجالات العلم والمعرفة والمجتمع فلحقها من الآفات ما لحقها. ومثل التوحيد الاستخلاف والتكريم والعدل والتزكية والحرية والإخلاص والإحسان ...وغيرها من حيث استقلالها بمعنى وتكاملها من خلاله مع سائر المعاني الأخرى.

ولهذا كان النظر الجزئي المفرد لبعض المفاهيم بمعزل عن شبكة علاقاتها وسياقاتها من أخطر الآفات التي أصابت كثيرا من الدراسات وهي تحاور المنظور الإسلامي لقضية ما، كقضية الأسرة أو المرأة أو الإرث أو المساواة ....وكثير من القضايا الاجتماعية والسياسية وغيرها .وهذا المنهج هو الذي عابه القرآن الكريم على نفسه [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ] (الحجر 91)،أي أجزاء وقطعا أو أعضاء وفرقا ،وإن كان السياق وارجا في الذين يومنون ببعضه ويكفرون ببعضه ،فإنه منهجيا عام على كل عمل انتقائي يخل بشرط الوحدة البنائية والنسقية التكاملية بين سائر مكوناته.

المبحث الثاني: الأسرة والتكامل الوظيفي للقيم:

إن الأسرة وإن لم ترد لفظا في القرآن الكريم لكنها المرادة عموما بألفاظ أخرى كالآل والأهل وأحيانا العشيرة إذا اتسعت الدائرة قليلا...وقبل النظر إليها وحدة مستقلة لا بد من النظر إلى موقعها من هنا تأتي هذه الورقة العلمية، إي في الإحالة لمفهوم الاسرة على القرآن وليس التاريخ، على المطلق الكلي وليس على النسبي الجزئي وهو الذي نسعى إلى بيان جزء منه في مجال القيم القرآنية عموما وتلك المتعلقة بالأسرة خصوصا.

فالقيم والمفاهيم في القرآن عموما منظومة تشتغل وفق منطق ونظام خاص هو من سنن الله الدينية الشرعية المعادلة أو المكافئة لسننه الكونية القدرية، بمعنى أكثر وضوحا أن آيات الله تعالى في كتابه المسطور معادلة من حيث نظامها واتساقها، موقعا ودلالات لآيات الله الكونية القدرية في مواقعها في الفضاء الكوني أو الكتاب المنظور، كما قال الله تعالى:

[فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لقرآن كَرِيمٌ (77) فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ] (الواقعة ،75-76).

فنجد لكل مفهوم قيمة في القرآن الكريم حركة أو وظيفية ذاتية لا يقوم بها إلا هو، وحركة أو وظيفة تشاركية أو تفاعلية يقوم بها مع غيره في سياق تكاملي للوظائف.

فأصل التوحيد أو الإيمان قيمة عليا حاكمة، المفروض أن يكون له حضور في سائر المفاهيم الأخرى يزودها بالمعنى ويحدد وجهتها وقبلتها ويسدد كثير من آليات اشتغالها. لكن للأسف

وتبقى القيم عموما ضرورة وجودية تؤسس للحالة السواء النموذجية أو المثالية المعيارية في الأسرة، انطلاقا من بناء كل فرد فها بما يؤهله للأداء الجماعي، فالقيم تؤسس للكينونة المبررة للوجود وللمعنى والغاية والقصد والإيجاد، وضمن هذا الفضاء تتأسس وتتحدد الوظائف والواجبات والمسؤوليات. ومنظومة القيم من شأنها أن تدرأ أفات التمركز والتحيز والنزاع والصدام التي هيمنت الآن على كثير من النماذج الأسرية، بل تحولت إلى نظريات واتجاهات فكرية كما في كثير من النماذج التي تقدمها دول غربية اليوم للأسف.

المبحث الثالث: أوجه التحولات القيمية في الاسرة المسلمة وأسبابها:

المتابع للتطورات العالية في مجال الأسرة في الغرب والشرق ، يمكنه أن يرصد مجموعة من المتغيرات ومحاولات التجديد ، تمثل أقصى درجات الخطورة على بنائها ، وعلى وظائفها ، وعلى دورها في المجتمع ، سواء دورها النفسي كأساس يحقق المودة والرحمة والسكن ، أو دورها الإنجابي بإمداد المجتمع بأعضاء شرعيين، حتى لا ينقرض النوع الإنساني ، أو دورها التربوي والذي يتمثل في نقل ثقافة وعقائد وقيم الأجيال السابقة للأجيال القادمة ، أو دورها الأمني سواء الأمن النفسي والصحة النفسية ، وتحرير الإنسان من القلق والتوتر والصراعات ، ضمن القيم الكلية المؤطرة، فهناك شبكة قيمية مؤطرة ولاحمة بين هذه الدوائر تحفظها من التفكك والنزاع وتقوم السلوك والأفعال والأقوال، وتحفظ العدل والأخوة والمساواة ...وما إلى ذلك.

وبما أن الاسرة في مبتدأ الامر ومنتهاه: رجال ونساء وأبناء وعلاقات فمفهوم الاستخلاف يتوجه على هؤلاء جميعا ومفهوم التكريم يشملهم جميعا وخطاب الإيمان والتكليف يعمهم جميعا كذلك والعدل والإنصاف والمساواة والتقوى والورع متوجهة عليهم جميعا.

هذا فضلا عن قيم أخرى ذات طبيعة تكافلية تضامنية تقوي وتعضد من وشائج الأخوة والعلاقات بين الناس عموما والأزواج والآباء والأبناء، كالمودة والرحمة والبر والإحسان والإيثار والإخلاص وما إليها.

فمفهوم الاسرة محاط بشبكة قيمية داعمة ومؤطرة، والفرد في الأسرة والأسرة في المجتمع دوائر تراتبية منفتحة على أدناها، وفي كل مستوى من هذه المستويات تتحدد وظائف ومسؤوليات وتترتب حقوق وواجبات. فمفهوم الأسرة قائم أساسا على فلسفة التكامل الوظيفي المراعي للخصوصيات والأدوار تؤدي فيه كل دائرة وظيفتها الخاصة الذاتية ووظيفتها العامة التشاركية والتفاعلية.

مدرسة منحرفة تغتال بأساتذتها أجيال المسلمين وتجتال فطرتهم. وهنا نلاحظ أن أغلب المدارس اليوم تخرج لنا أجيالا من الطلبة اكتسبوا منعة ضد الإيمان بما أودعتهم المناهج الفلسفية من الشك والتشكيك ومركزية الإنسان في الوجود وعقيدة أن الله–تعالى الله–فكرة تتطور مع العصور وأن الإنسان خلق فكرة الله–جل الله –لا العكس[6].

وأيضا الإعلام الذي أصبح يغرس هو الآخر ألغاما في أرض الفطرة ،بما يبثه من برامج هادمة للأخلاق والتدين ،يقول تعالى :[فأقم وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] (الروم ،29)،الدعوة واضحة هنا للاستقامة الطوعية الخلقية والروحية ،لمن التأثيرات الأسرية والاجتماعية والثقافية قد تجتهد في الانحراف بالفطرة السوية ،ومن ثم يصبح دور التربية تقويم الاعوجاج الذي أنتجه المحيط الاجتماعي [7].

على مستوى المعتقدات: انتشر الإيمان بالأيديولوجية الذي لا يترك مجالا للإيمان بالله ورسوله، تلك الأيديولوجية تصنع الوعي الطبقي أو دورها المادي بوجود الإنسان داخل بناء من الحب والقبول يطمئن فيه على حياته ، ويؤمن فيه مستقبله حيث يضمن الرعاية الاجتماعية والنفسية والمادية في حالة الشيخوخة أو المرض . هذا بالطبع فضلا عن الوظائف الأخرى للأسرة كالوظائف الاقتصادية والسياسة.

ومن هنا سنقف على أوجه التحولات القيمية في الأسرة المسلمة، وذلك من خلال تشخيصنا لها:

1–أوجه التحولات القيمية:

لقد كان نصيب الاسرة من الجاهلية المعاصرة نصيبا كبيرا الأمر الذي أحدث خللا عظيما في قانون الأخلاق وجعل المجتمع ينوء بسلبيات جسيمة فاقت كل تقدير هذه السلبيات تتمثل في الظواهر الحقيقية الآتية:

على مستوى الإيمان: يولد المولود على الفطرة أي على الاستعداد لتلقي الإيمان والاستقامة عليه[4]،لكن هناك عوامل تجعل فطرته مقطوعة، وهي ترجع إلى البيئة الاجتماعية الحاضنة تمجسه أو تنصره إن ككانت بيئة لذلك أو تحفظه مسلما إن كانت بيئة خير وإسلام [5]،ثم يأتي بعد ذلك عامل المدرسة التي إما مدرسة علم وإيمان، وإما

---

6 –نفسه،ص 131 .

7 – علي عبد الله سعيد الشهري، منهج القرآن في غرض الأخلاق الأسرية رسالة ماجستير، في جامعة أم القرى،1406هـ، ص369.

4 –جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية دار الكتب الإسلامية، بيروت، ط 1984،1م، ص 130.

5 –نفسه.

يرفد تلك الظواهر ويمدها مترجما عن انقلاب في المعايير التي يحكم بها على الأعمال.

2-أسباب التحولات القيمية في الأسرة المسلمة:

ويمكن إرجاع جوهر التحولات القيمية لجملة من الاختلالات التي سادت في المجتمعات المسلمة، وكان تأثيره على الأسرة بالغا وصاعقا، ويمكن إيجازها في الآتي:

1-سيادة الفقر، فبالفقر يستسيغ الإنسان ما لا يستسيغ الإنسان السوي في حالة اليسر، أحرى إذا كان هذا الإنسان مازال صبيا، فهنا يعتبر الفقر خطرا يهدد إعادة تشكل شخصيته والمحافظة على فطرته فالبؤس الاقتصادي والاجتماعي يولد الانحطاط الخلقي والضلال الروحي.

لن تجدي إذن محاولة إحلال سلطان الفطرة مجددا وتربية الطفل على الاستقامة الروحية والخلقية ما لم تجتث الجذور المادية للداء فإعادة التأهيل الخلقي لا بد أن يواكبها انكباب على الحياة اليومية للطفولة.

2-انتشار الجهل بمستويين: أحدهما العوز المعرفي الناتج عن حرمان فئات من الأطفال من التعليم، والثاني العوز الأخلاقي الناتج عن ضحالة التربية /التزكية، فكثير من مؤسسات التعليم في العالم الإسلامي تعلم لكنها لا تزكي، تلقن لكنها لا تربي، تقدم معارف باهتة لم يزنها ألق القيم، وقليلا ما المتميز وهنالك أيضا الدعوات الأخرى من قومية وعلمانية، من إباحية وإلحادية، من تنصيرية وانتهازية[8].

في مجال العادات: أسرنا المسلمة تشتبك فيها الجاهلية بالإسلام، على قسمات وجه المجتمع وفي دخائله النفسية وزواياه الذهنية وعاداته التقليدية وعلاقاته الاجتماعية واقتصاده وسياسة حكمه ومكان المرأة والطفل والرجل فيه، علائم جاهلية وخدوش وبثور، في مجتمعاتنا يختلط الحق بالباطل[9].

على مستوى الأفكار: هناك الأفكار التي تغذي المسلكيات الخاطئة كانتشار الجريمة والانحلال والتمرد على القيم وضمور النوازع الأخلاقية، وراء هذا كله ثقافة وفلسفة تمارس غسيل القيم السالبة لتحولها في أذهان الناس إلى قيم موجبة جاذبة، مما جعل أبناء الأسر المعيش في تيه ضارب على غير هدى من الله، متفلت من عقل الدين والتقاليد والقيم والأدهى والأمر في هذا الواقع ليس الظواهر المعيشية، وإنما في الموقف الذهني الذي

[8] – محمد طاهر الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، ط 3، 2000م، ص14.

[9] –خالد بن عبد الكريم اللاحم، الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان، دار الفكر، دمشق 1983،1م، ص 8.

كان هذا طبعا مدخلا مؤثرا وبقوة على تماسك الاسرة كبنية ووحدة داخل المجتمع وعلى وظائفها ذات الطابع التكاملي وعلى القيم الضرورية اللاحمة بين عناصرها، فأصبح للمرأة مكالب وحقوق مفردة، وللرجل مطالب وحقوق مفردة، وللأطفال مطالب وحقوق مفردة صغارا وكبارا وتحول المجتمع إلى أقليات متعددة لكل منها مطالب وحقوق (النساء، الرجال، الأطفال، العجزة)، كما ظهرت تشكلات أسرية جديدة، مثلية بين نساء أو رجال، وتحولت إلى كتل ضغط إعلامي وسياسي وحقوقي، لانتزاع حقها في التواجد القانوني.

المبحث الرابع: مسالك التأهيل وأدوات الإصلاح للأسرة المسلمة:

لإصلاح القيم الأسرية أو إعادة تأهيلها لا بد من وضع أدوات تنفيذ، هذه الأدوات من قبيل الأبوين والمدرسة والإعلام.

1–الأبوين:

تشكل الأسرة النواة الأولى للمجتمع يتربى فيها الشخص قبل أن ينفتح على محيطه الاجتماعي الأكبر، وهي أول مدرسة لتعليم القيم الأخلاقية، يدخلها الإنسان، فكثير من أسس الأخلاق، تنمو في واقع الإنسان هناك، واسس التربية الصالحة في نفس الطفل في هذه المرحلة، وعلى الأبوين أن يطلعا على المسؤوليات الآتية:

تجدي المعارف إذا انقطع الوصل بينها وبين الإيمان والإحسان.

3–تغير أنماط العيش: وأنظمة الحياة، وأوضاع المجتمعات، وما صاحب ذلك التغير بشتى أبعادهم تبدل نتيجة انهيار حواجز الجغرافيا وتحول العالم على لوح رقمي مفتوح على كل ما يرمي به سيل الثورة الرقمية من غث وسمين، ناقل لأغرب القيم وأبشعها وأشدها فتكا بضمير الإنسان ونوازعه العلوية وذلك في غياب نظام أسري تربوي وتوعوي ناجع يزود أبناء الأسرة عامة، والأطفال منهم خاصة، بسواتر قيمية ذهنية تريهم السيء سيئا على الأقل إن هي لم تعصمهم من مفارقته،

4–فساد المحيط الاجتماعي: وفي هذا السياق وعلى مستوى البنيات الاجتماعية وقع تضخيم كبير للذات والانا، والتوجهات الفردانية والمتع اليومية، وتدخل منطق الإنتاج والاستهلاك لتوجيه الأحكام والأذواق والرغبات، فتضخمت بذلك المطالب والحقوق الفردية والنزعات المتمركزة حول الذات ونشأت مفاهيم ودلالات سائلة غير منضبطة خول الحرية والحق والذات والإشباع حيث هيمنت قيم صناعة بديلة عن القيم الفطرة والكينونة مبنية على التقابل وليس التكامل، وعلى النزاع والصراع وليس المودة والرحمة.

–تربيته اقتصاديا: لتربية الأبناء تربية اقتصادية يقدم لهم الآباء المواعظ والنصائح التي تعرفهم الحلال والحرام والكسب الطيب من الكسب الحرام، والإنفاق الحلال من الإنفاق الحرام والمكروه، وينصحونهم لما فيه الحفاظ على الأموال والممتلكات العامة والخاصة ،وينصحونهم لما فيه الترشيد والاعتدال في الإنفاق والاستهلاك والبعد عن التقتير وعن التبذير والإسراف والبذخ في شتي مواقف الحياة، امتثالا لقوله تعالى: " وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كفورا". الآيتين 26–27 من سورة الإسراء[12].

–تربيته نفسيا: بمعنى تربيته على الاتزان الشخصي والنفسي وضبط الانفعالات، ورد كل الرغبات النفسية والعاطفية والوجدانية إلى شرع الله، مثل الصراحة، والجرأة، وحب الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق .فالطفل منذ ولادته يأمر الإسلام والديه بتربيته وغرس أصول الصحة

–تربية الطفل إيمانيا :هي تربية الطفل منذ نشأته على الارتباط بالله عز وجل في كل حركاته وسكناته، ومعرفة أركان الإيمان، وتعويده على أركان الإسلام، وتعليمه ما يناسب سنه من مبادئ الشريعة السمحة، وهذه التربية هي أهم بل وأول ما يبدأ به المربي مع ولده في تعليمه؛ لأنها تمثل قاعدة الانطلاق، والأساس لما بعدها من مجالات تربية الطفل[10].

تربيته اجتماعيا: تسهم التربية الاجتماعية الإسلامية بتأديب الأطفال من الصغر في الالتزام بالعادات الاجتماعية الإسلامية الفاضلة، وهذا يتم في السنوات الأولى من أعمارهم لتحولهم من مجرد كائنات حية إلى كائنات بشرية اجتماعية.

فالتربية الاجتماعية هي تأديب الولد منذ نعومة أظافره على التزام آداب اجتماعية فاضلة، وأصول نفسية نبيلة تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة، والشعور الإيماني العميق؛ ليظهر الطفل في المجتمع بحسن التعامل والأدب، والاتزان والعقل الناضج، والتصرف الحكيم.[11]

[12] – سعيد إسماعيل عثمان القاضي، التربية الاقتصادية للأبناء في البيت والمدرسة، ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام ،2002م، الجزء الأول مركز الدراسات المعرفية، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، جامعة الأزهر، مصر.

[10] –محمد إبراهيم سليم، منهاج تربية الطفل المسلم من توجيهات القرآن الكريم، دار الفكر العربي، مصر، ص 41.

[11] – شريف عبد العزيز الزهيري، بناء المستقبل للأمة، دار الصفوة، الرياض، 2005، م ص60.

للمسجد دور أساسي في تربية أجيال الأمة، علما وإيمانا وإحسانا، ولذا من الضروري جدا إحياء الدور التربوي للمساجد في بلاد المسلمين ،بحيث يشارك بوعي وفاعلية –عبر خطبة الجمعة والدروس والمواعظ والمحاضرات الخاصة–في توجيه الأسرة ،وقد غدا المسجد اليوم أكثر انفتاحا على جميع مؤسسات المجتمع الثقافية والتربوية وبدأ يستعيد دوره التربوي شيئا فشيئا ،وذليل ذلك :دوره الكبير في إحداث الصحوة الإسلامية العارمة التي نلحظها في جميع بلاد المسلمين في الدعوة إلى الله وإرشاد الناس وهدايتهم إلى أبواب الخير ،وهي عمليات مرادفة تماما –في حقيقتها وطبيعتها –لتربية الناس وتوجيههم وإصلاح نفوسهم

، وليس أدل على ذلك أن كثيرا من العلماء الدعاة أثروا كثيرا في نفوس الناس في مراحلهم العمرية جميعها وقد تفوق كثيرهم في هذا المجال–على كثير من الدين اختصوا في مجال التربية واشتغلوا بها لما اتصفوا به من علم وسعة اطلاع وحكمة وبلاغة في مخاطبة الناس وارشادهم.

3–الإعلام:

تعتبر وسائل الإعلام المحرك الأساس للرأي العام، وصانع أفكاره وتوجهاته فهو نتاج الثورة المعلوماتية التي عولمت العالم حتى أصبح شاشة صغيرة في بيتك أو جيبك، وقد استخدمته الأنفس الشريرة أبشع

النفسية التي تؤهله أن يكون إ نسانا ذي عقل ناضج وتفكير سليم وتصرف متزن، فعلى الآباء تحرير أطفالهم من ظاهرة الخجل والخوف، والشعور بالنقص والحسد والغضب فالتغلب على كل الظواهر السابقة لابد من تربية الطفل منذ طفولته المبكرة على الثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية وإشعاره بالمحبة والاقتداء برسولنا الكريم وتعميق عقيدة القضاء والقدر في نفوس أطفالنا

–تربيته خلقيا: فالأخلاق تعد منظومة من السلوكيات والمبادئ التي تنظم حياة الأفراد في المجتمع، فالتربية عندما تكون بعيدة عن العقيدة الإسلامية يترعرع الطفل على الانحراف وينشأ على الضلال.

فينبغي تعريف الطفل الفضائل والرذائل بما يناسب عمره العقلي وترغيبه الفضائل وتجنبه الرذائل، وتدريب الأطفال على ممارسة سلوكيات تتناسب مع الأخلاق الفاضلة، وتعزيز شعور الانتماء للأمة الإسلامية، وبث روح الفخر والاعتزاز بالدين الإسلامي وتعريف الطفل الآداب الخلقية في الحياة اليومية كآداب الطعام والشراب، وقضاء الحاجة، وآداب ركوب السيارة، وتعظيم الطفل للوالدين وحثهم على برهم، واحترام الآخرين.

2–المسجد:

منطلق اعتبارها المسؤول الأول والأخير عن تربية النشء وتهيئتهم للعيش والانخراط الفاعل في المجتمع.

4-النظام التربوي التعليمي:

يمكن وصف النظام التربوي التعليمي بأنه شبكة من العلاقات والخطابات والوسائل، يتداخل فيها سلوك المدرس وفضاء القسم والمنهاج الدراسي والأنشطة التعليمية والإدارة المدرسية وغيرها، فلكل طرف سلطته التربوية التي يمارسها والمستهدف واحد طبعا هو المتعلم الذي يراد له أن يأخذ من أسلاك التعليم مواصفات محددة تجعل منه عنصرا نافعا لنفسه ومجتمعه.

وانطلاقا مما ذكر فإن دور النظام التربوي والتعليمي في غرس القيم يكاد يكون الأكبر والأخطر ،فهو الأكبر لأن شبكات العلاقات التي ذكرناها توجه كل طاقات الطفل المعرفية والوجدانية والسلوكية وتحتضنه طيلة اليوم وتخاطبه بوسائل متعددة ومختلفة وتوجه أنشطته وتقلل من السلطة التربوية لباقي المؤسسات الأخرى الأسرة والإعلام مثلا وهو الأخطر لأن أي خلل في هذا النظام من حيث صياغة أهدافه ومراميه ورسم كفاياته وتحديد مواصفات المتخرج منه ومحتويات المواد التعليمية يؤثر بشكل كبير على المجتمع ككل لأن أطفال اليوم هم رجال الغد، وسيسيرون المجتمع بالقيم استخدام، واستثمرت فيه لتشويه الخلق والخُلق، فاجتال بشياطينه فطرة الإنسان ومسخ خلقه ولكن في المقابل له إسهام تربوي إن وظف واستثمر في جانب التربية الإيمانية الخلقية، وذلك لما له من تأثير على البيت والمدرسة، وكل حواضن التربية، فهو يغزو هذه المواطن وينفذ إليها برفق[13].

ولذلك فالإعلام الإسلامي عبر فضائياته المتعددة ومواقعه الإلكترونية ومجلاته وصحفه لا بد أن ينهض ويتحمل المسؤولية- بجدية-تجاه رعاية الأسرة وتأهيلها، من أجل دعم وإثراء وترقية دورها في ممارسة التوجيه التربوي ومن خلال متابعة الإعلام الإسلامي في واقعنا اليوم يلحظ امتلاكه لطاقات بشرية وموارد مادية كافية تمكنه من أداء دوره في هذا المجال.

وما نحتاجه اليوم- بالفعل -تنسيق جهود المخلصين وجمعها على خطة استراتيجية لتحقيق أهدافها المتعددة والشاملة، التي يفترض أن يكون من أولوياتها بناء الشخصية المسلمة الفاعلة والإيجابية، والقيام بتطوير أداء الأسرة المسلمة من

[13] -محمد خليل الرفاعي، دور وسائل الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الاسرة العربية دراسة تحليلية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثاني 2011م، ص 721.

التعليمية على الطفل واعتبار ذلك مسؤولية أمام الله أولا ثم أمام الناس والتاريخ[16].

الخاتمة:

لا يستقيم البناء الاجتماعي إلا إذا استقامت أسس بناء الأسرة وأداؤها لوظائفها بشكل سليم وسوي، ولا يتم هذا إلا برد الاعتبار للأسرة والتفكير في إصلاحها لتواكب حركية المجتمع والفكر التقني في عصر تميز بسيادة التقنية على الإنسان، ومظاهرها التي حدث من دور الأسرة بشكل ملفت ولعل أزمة القيم التي يعاني منها المجتمع المسلم نتيجة حتمية لوقوعه في استيلاب الفكر التقني. إن تخلي الاسرة عن أدوارها جاء نتيجة لتداخل جملة من المتغيرات الاقتصادية، الاجتماعية، التربوية والتكنولوجية–التي يمر بها المجتمع فتح الباب أمام دخول وسائط أخرى تقوم بدور الأسرة من قبيل المدرسة، الإعلام، الجمعيات...تفاعلت فيما بينهم جعلت من الأسرة مجرد طرف مساهم في المجتمع وساهمت في صناعة نموذج ثقافي هجين.

التوصيات:

وبالجملة، فإنه سيكون من الهام جدا صياغة وإطلاق مشروع إسلامي لمواجهة التحولات القيمية التي تواجهها الأسرة المسلمة، مشروع يجعل التربية الراسخة لديهم انطلاقا من النظام التعليمي الذي تدرجوا في أسلاكه[14]،ويؤكد علماء التربية التي ينبغي على المدرسة أن تهتم بها ،خاصة بعد أن لوحظ أن معظم مشاكل المتعلمين وأخطرها هي مشكلات خلقية في المقام الأول[15].

وعليه فإن استثمار النظام التربوي في نقل القيم الأسرية الإسلامية يقتضي أولا صياغة دقيقة لمرامي التعليم الكبرى ،انطلاقا من ترسيخ قيم العقيدة الإسلامية وما يتفرع عنها من سلوك وتعزيز قيم الهوية الحضارية ،ثم تحويل هذه القيم الكبرى إلى كفايات يتوقع اكتسابها من طرف المتعلم وانطلاقا من ذلك يبنى الهرم التعليمي التنفيذي بدءا بالمواد التعليمية ومحتويات المقررات الدراسية التي ينبغي كلها أن تخدم القيم الإسلامية العليا الموجهة للتعليم مع اختيار الوسائل والوسائط المناسبة لنقل المعارف والكفايات بلغة العصر وتقنياته بالإضافة إلى تأهيل المدرسين تربويا وعلميا بما يسمح بنقل هذه القيم عبر العملية

[14] –خالد الصمدي، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو،2008م، ص4.

[15] –الفلاحي محمد، دور التربية في غرس القيم الخلقية في نفوس الناشئة ندوة الثقافة والعلوم جائزة العويس للدراسات والابتكار، أبو ظبي، الدورة الثالثة،1992م، ص 13.

[16] – الفلاحي محمد، دور التربية في غرس القيم الخلقية في نفوس الناشئة مرجع سابق.

النفس، دار النهضة العربية، القاهرة ،1978م.

3. جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية دار الكتب الإسلامية، بيروت، ط 1،1984م.
4. خالد الصمدي، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو،2008م.
5. خالد بن عبد الكريم اللاحم، الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1983م.
6. سعيد إسماعيل عثمان القاضي، التربية الاقتصادية للأبناء في البيت والمدرسة، ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام ،2002م، الجزء الأول مركز الدراسات المعرفية، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، جامعة الأزهر، مصر.
7. شريف عبد العزيز الزهيري، بناء المستقبل للأمة، دار الصفوة، الرياض، 2005، م ص60.
8. علي عبد الله سعيد الشهري، منهج القرآن في غرض الأخلاق الأسرية رسالة ماجستير، في جامعة أم القرى،1406هـ.

الإيمانية هدفه الأساسي والرئيسي، كما يجعل من الجهات المعنية بالتربية تساءل دورها في تنمية القيم المشتركة ومسؤولياتها في مواكبة التغيرات المجتمعية من خلال ترسيخ القيم الإنسانية لدى الناشئة انطلاقا من مرجعية القرآن الكريم.

وسيكون على المشروع الإسلامي لمواجهة التحولات القيمية للأسرة المسلمة وغرس القيم القرآنية للأسرة أن يتعمق في دراسة وضبط الجوانب الآتية:

- تشخيص حال الأسرة المسلمة ، واستشراف آفاق صيرورتها ورصد الاحتمالات والبدائل المتاحة للوقاية والعلاج في كل احتمال.
- تحديد أليات العلاج وأنماطه.
- التخطيط والبرمجة.
- وضع أدوات ومؤشرات للقياس والتقويم.
- مباشرة التنفيذ باستخدام الوسائل المتاحة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم عبد العزيز الدعيلج، مناهج وطرق البحث العلمي، دار صفاء، الأردن، الطبعة الأولى ،2019م.
2. جابر عبد الحميد جابر، وكاظم أحمد خيري، مناهج البحث في التربية وعلم

9. الفلاحي محمد، دور التربية في غرس القيم الخلقية في نفوس الناشئة، ندوة الثقافة والعلوم جائزة العويس للدراسات والابتكار، أبو ظبي، الدورة الثالثة،1992م.

10. محمد إبراهيم سليم، منهاج تربية الطفل المسلم من توجيهات القرآن الكريم، دار الفكر العربي، مصر.

11. محمد خليل الرفاعي، دور وسائل الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الاسرة العربية دراسة تحليلية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثاني 2011م.

12. محمد طاهر الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، ط 3، 2000م.

Asmaeil Muhamad Talab Alsaeidat; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 237-261

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal

A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota /USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الأردن في التوفيق بين الزوجين والتقليل من آثار الشقاق بينهما (دراسة فقهية تطبيقية)

د. اسماعيل محمد طلب السعيدات

ismail alsaedat@yahoo.com

د. طارق محمد عسود أبو تايه

tariq_abutayh2014@yahoo.com

Original Research Article

***Corresponding author**
Asmaeil Muhamad Talab Alsaeidat

Article History
Received: 08.07.2023
Accepted: 12.08.2023
Published:.20.09.2023

الملخص:

تتناول الدراسة دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الاردن في التوفيق بين الزوجين والتقليل من آثار الشقاق بينهما من خلال دراسة فقهية تطبيقية، وقد هدفت الدراسة إلى بيان الدور المنوط بمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الشقاق والخلاف بينهم ، من خلال تفعيل دور عضو الإصلاح الأسري التابع للمكتب الذي كلف بالعمل به ؛ بغية دراسة الحالات المحالة عليه، والبحث عن أسبابها ،ومحاولة الوصول إلى حلول رضائي لها بدل التقاضي.

اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المنهج الاستقرائي للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة المتعلقة بالإصلاح الأسري وفضله ، والمنهج الاستنباطي التحليلي لهذه النصوص ، وبيان دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الخلاف والشقاق بينهم، والمتمثل في إتباع المنهج الوسطي الذي يُعد من أهم ميزات هذا الدين ، في الإصلاح والتوفيق بين الزوجين ، والتعامل مع الاحالات بمنهجية محددة ، لا تخالف نصوص الشرع الحكيم .

وخلصت الدراسة إلى أن الإصلاح الأسري بين الزوجين يتبوأ ، مكانة سامية ومنزلة عظيمة في الشريعة الإسلامية ، وكثير من النصوص القرآنية والنبوية أظهرت خيرتيه على الزوجين خاصة، وعلى المجتمع عامة

وأوصت الدراسة بضرورة العمل على ربط مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري بعضها ببعض الكترونياً؛ لغايات تبادل الخبرات بين أعضاء هذه المكاتب، والاستفادة من تجاربهم ونشاطاتهم فيما بينهم

الكلمات المفتاحية : دور ، الإصلاح ، الوساطة ، التوفيق ، الشقاق ، مكاتب الاصلاح

توافقية تغني عن اللجوء الى التقاضي ، فمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري لها دوراً كبيراً في التوفيق بين الزوجين، بعد الاجتهاد وبذل الجهد في معرفة الأسباب التي أدت إلى نشوء الشقاق والخلاف بينهما ،ومحاولة إيجاد الحلول والوسائل العملية الناجعة لمعالجة هذه الخلافات والنزاعات ، واختبار هذه الحلول، ومدى مناسبتها وملائمتها لتسوية هذه الخلافات والنزاعات ،وبالتالي التقليل من الآثار الناجمة عن استمرار الشقاق والخلافات والنزاعات بين الزوجين ،وفي هذه الدراسة يتناول الباحثان دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والعمل على تقيل آثار الشقاق بينهما من الناحية الفقهية التأصيلية المستمدة من نصوص الوحيين الواردة في ضرورة الاصلاح بين الزوجين وتدخل أحد الحكمين في الاصلاح ،ومحاولة التوفيق بينهما ،ومن الناحية العملية والتطبيقية لما تقوم به في هذا الزمن مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في هذا المجال والمضمار الرحب ؛ لتقليل آثار هذه الخلافات ،والوصول إلى حلول رضائي ناجعة ،تغني عن التقاضي في المحاكم، والوصول الى توافق سديد في الرأي .

مشكلة الدراسة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فالإصلاح بين الزوجين شأنه عظيم، وعموم الإصلاح بين المسلمين له أجر كبير : قال تعالى :" لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً" (النساء: 114)، ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم إصلاح ذات البين أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، لماذا؟ لأن الإفساد، ولأن التحاسد والحقد، والبغضاء والضغينة تحلق الدين، وإزالتها تكون بالإصلاح بين الناس .

لا شك أن الخلافات والنزاعات الأسرية تشكل ظاهرة خطيرة تهدد كيان ونسيج واستقرار الأسر الآمنة ؛من أجل ذلك ، كان لا بد من دراسة الوسائل البديلة عن التقاضي والترافع أمام المحاكم ؛ لتسوية هذه الخلافات والنزاعات بطريق الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في نطاق يحفظ للزوجين حقوقها، ويضمن التراضي بينهما والتوافق ؛من هنا جاءت فكرة انشاء وفتح مكاتب إصلاح ووساطة وتوفيق أسري في جميع محافظات المملكة الأردنية الهاشمية ؛ لحماية الأسر وضمان استقرارها وديمومتها ،وايجاد حلول

الذي من أجله قامت هذه الأسرة وبنيت ، وفق المنهج الإسلامي الوسطي المعتدل .

وتتمثل أهمية الدراسة في بيان أهمية الأدوار البنائية والوقائية والعلاجية التي تقوم بها مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري من خلال البرامج العامة والخطط الاستراتيجية والمستقبلية والبرامج التدريبية للمقبلين على الزواج ممن دون الثامنة عشر ، ومن يرغب في حضور هذه الدورات ، ومن خلال الاستشارات الاسرية ودراسة الحالات المحولة إليها إما ذاتياً ، أو عن طريق المحاكم .

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة لتحقيق جملة من الأهداف التالية :

1-بيان الدور المنوط بمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الشقاق والخلاف بينهم ، من خلال تفعيل دور عضو الإصلاح الأسري التابع للمكتب الذي كلف بالعمل به ؛ بغية دراسة الحالات المحالة عليه، والبحث عن أسبابها ، ومحاولة الوصول إلى حلول رضائي لها بدل التقاضي .

2-تبصير الازواج بضرورة البعد عن الخلافات والنزاعات الزوجية ، ومعالجتها قبل استفحال شرها ، واللجوء الى التراضي قبل التقاضي ؛للحفاظ على تماسك الأسرة واستقرارها ، وبيان ارتكاز الاسلام

تتمثل مشكلة الدراسة في ظل خطورة الخلافات والنزاعات الزوجية وتزايد حالات الشقاق التي تحال إلى المحاكم الشرعية من أجل الطلاق وانهاء عقد العلاقة الزوجية بالطلاق والانفصال بين الزوجين ، وكما هو معلوم لدنيا فإن الطلاق من أبغض الحلال إلى الله ، جاءت الحاجة ماسة للبحث عن الدور الهام والكبير المنوط بمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في العمل على مواجهة الخلافات والنزاعات الزوجية، والتصدي لها ، والبحث عن الأسباب التي تكمن وراء تفاقم الخلافات الزوجية وتزايدها ، ومحاولة الإصلاح والتوفيق بين الزوجين، والوصول الى حلول رضائي ناجعة، والتقليل من آثار الخلافات بين الزوجين.

أهمية الدراسة ومبرراتها

تتمثل أهمية الدراسة من الناحية التطبيقية في أنها تخدم مهام الأعضاء العاملين في مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في طبيعة عملهم، وتحديد ابرز الصعوبات التي تواجههم، ومن ثم العمل على وضع خطط مستقبلية يمكن أن تعينهم في أداء دورهم، وتطوير نواحي العمل، وتحديث هذه الخطط من فترة إلى أخرى ، كما تخدم الدراسة الأسر في مساعدتهم على التفكير السليم والصحيح الذي يوصلهم إلى تحقيق الهدف

القرن الحادي والعشرين، والتصدي لتحدياته المستجدة .

أسئلة الدراسة

تحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي : ما دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الخلاف والشقاق بينهم (الجانب التطبيقي للإصلاح الأسري المنظم) ؟ ويتفرع من السؤال الرئيس السابق الأسئلة الفرعية التالية :

ما المقصود بالمفاهيم ذات الصلة بالدراسة كالإصلاح والوساطة والتوفيق ومكاتب الاصلاح والوساطة والتوفيق الاسري ؟

ما هي مكانة الإصلاح الأسري في الإسلام من الناحية الفقهية ، وما هو فضل الاصلاح من خلال نصوص الكتاب والسنة ؟

حدود الدراسة

الوقوف على دور مكاتب الاصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الأردن بلد الدراسة في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الخلاف والشقاق بينهم .

الدراسات السابقة والاضافة العلمية الجديدة للدراسة الحالية

على قواعد ثابتة ومتينة لا ينبغي تجازها والتغافل عنها ، أو الاستهانة بأي منها ، ومعالجة الشقاق الزوجي الذي قد يطرأ على الأسرة وفق أسس وخطوات وحلول منظمة وناجعة ، تكفل الأمان للأسرة .

3- تقديم اجراءات مقترحة حول تفعيل دور بمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الشقاق والخلاف بينهم، وإيجاد حلول ناجعة لها ، وقابلة للتنفيذ على أرض الواقع ، وإيجاد رؤى شاملة ؛من أجل معالجة آثار الشقاق قبل تزايدها ، من خلال الجهود الاصلاحية ، وإتاحة فرص الحوار والنقاش والمشاركة ، وتجاوز فكرة التنظير إلى حيز التطبيق ، من خلال البحث في المنهج الوسطي والمعتدل الوارد في الكتاب ونصوص السنة النبوية الشريفة في فضيلة الإصلاح بين الزوجين، ومعرفة الأسباب الداعية للنزاعات والخلافات الاسرية ؛ للوصول إلى هذه الحلول الناجعة ، وتطبيقها على أرض الواقع .

4- إبراز الرؤي المستقبلية للدور الذي تتطلع إليه مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الخلاف والشقاق بينهم ، واستشراف آفاق متطلبات

منهجية الشريعة الإسلامية القائمة على منهج الاعتدال والوسطية ، ولكن ما يلاحظ على دراسة بني سلامة اعتمادها على قانون الأحوال الشخصية والمقارنة بين وسائل تسوية النزاعات البديلة للدعوى مع المنهج المعمول به في مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الاردن ، وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة والدراسات المتعلقة بالإصلاح الأسري وفضله في الإسلام في بعض جوانب الدراسة الحالية؛ للكشف عن مفهوم الإصلاح والتوفيق الأسري وما يتعلق بهما من قضايا فرعية .

الاضافة العلمية للدراسة :

تأتي هذه الدراسة لتبين دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الخلاف والشقاق بينهم، والمتمثل في إتباع المنهج الوسطي في الإصلاح والتوفيق بين الزوجين ، والتعامل مع الاحالات بمنهجية وموضوعية ونية صادقة في الإصلاح والتوفيق ورؤية ثاقبة ورسالة سامية تستهدف الحفاظ على ديمومة الاسرة واستقرارها ، وحفاظاً على بينتها المتماسكة ، وسلامة أبنائها ، وتجنبيهم الخلافات والنزاعات الزوجية المستمرة .

منهجية الدراسة

تناولت الدراسات السابقة والكتب الإسلامية المختصة بالإصلاح الأسري: العديد من القضايا المتعلقة به ، وبيان فضله ومكانته في الشريعة الاسلامية ، وهذا من الناحية الفقهية ، ومن الناحية التطبيقية لا يوجد دراسات سابقة ومختصة وتطبيقية في هذا المجال ، تكشف عن دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الخلاف والشقاق بينهم ، والتركيز على دور عضو الإصلاح الأسري ، وتوجد دراسة تتعلق بوسائل تسوية النزاعات البديلة للدعوى دراسة في قانون الاحوال الشخصية ونظام مكاتب الإصلاح والتوفيق الأسري الأردني ، وهو بحث محكم منشور من قبل مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت ، مجلة كلية الحقوق ، العدد الثاني السنة 42، 2018م، للأستاذ الدكتور محمد خلف بني سلامه ، والفرق بين هذه الدراسة والدراسة التي قام بها الباحث فرق واضح في التخصيص وفي المنهج، وفي الحديث عن الوسائل البديلة للدعوى المتعلقة في تسوية الخلافات في قانون الأحوال الشخصية ونظام مكاتب الإصلاح والتوفيق الأسري، وفي بيان الدور الحقيقي لمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين ، وتقليل آثار الخلاف بينهم وفق

المبحث الثاني: أهمية الإصلاح الأسري في الشريعة الإسلامية ومقاصده الشرعية العليا (الجانب الفقهي التأصيلي للإصلاح الأسري)

المبحث الثالث : دور مكاتب الاصلاح والوساطة والتوفيق الاسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الخلاف والشقاق بينهم(الجانب التطبيقي للإصلاح الاسري المنظم) وقد اختتمت بخاتمة شملت: أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

المبحث الأول : تحديد مصطلحات الدراسة والالفاظ ذات الصلة وتشمل

(الإصلاح والوساطة والتوفيق ، والشقاق ، ومكاتب الاصلاح والوساطة والتوفيق الاسري)

المطلب الأول : مفهوم الإصلاح لغة واصطلاحا

الإصلاح لغة: "من صَلُحَ : الصلاح : ضد الفساد، ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، ومصلح في أعماله وأموره ، وقد أصلحه الله ، واصلح الشيء بعد فساده : أقامه(1) و(الإصلاح) ضد الإفساد. و(المصلحة) واحدةُ (المصالح) و(الاستصلاح) ضد الاستفساد (2) والصلاح والفساد مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال ، قال تعالى: :﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صلح) ، ج 2/ ص516 .

(2) الرازي ، مختار الصحاح ، ص 367 .

سلك الباحثان في دراستهما المنهج الاستقرائي للنصوص الشرعية من الكتاب و السنة النبوية المتعلقة بالإصلاح الأسري وفضله ، والمنهج الاستنباطي التحليلي لهذه النصوص ، وبيان من خلالها دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الخلاف والشقاق بينهم، والمتمثل في إتباع المنهج الوسطي الذي يُعد من أهم ميزات هذا الدين ، في الإصلاح والتوفيق بين الزوجين ، والتعامل مع الاحالات بمنهجية محددة ، لا تخالف نصوص الشرع الحكيم ،

خطة الدراسة

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث ، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة ، وتضمنت : مشكلة الدراسة، وأهميتها ومبرراتها ، وأهدافها ، وأسئلتها، وحدود الدراسة ، والدراسات السابقة، والاضافة العلمية الجديدة للدراسة الحالية ، ومنهجية الدراسة وخطتها.

المبحث الأول : تحديد مصطلحات الدراسة والألفاظ ذات الصلة وتشمل (الإصلاح والوساطة والتوفيق ، ومكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري).

قبائل قريش حول أحقية التشرف بوضع الحجر الأسود في مكانه عند بناء الكعبة المشرفة، وقتها احتكم الخصوم ؛ إذ ذاك إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وكان يلقب بالصادق الأمين، ورضي الجميع بالحل الذي اقترحه عليهم، وبعد مجيء الإسلام الذي أبقى على الصلح بين الأطراف المتنازعة كأداة فعالة في وأد المنازعات، وأحاطه بجملة من الضوابط جعلت منه أهم الدعائم التي يرتكز عليها القضاء في الإسلام.

التعريف اللغوي :

الوساطة في اللغة من الفعل " وسطُ "، " يسطَ "، " وسطًا " أي صار في وسط الشيء، ووسط وفيهم وساطة أي توسط بينهم بالحق والعدل(7)

الوساطة في القانون الدولي العام هي " محاولة دولة ، أو أكثر فض نزاع قائم بين دولتين ، أو أكثر، عن طريق التفاوض الذي تشترك هي أيضاً فيه " ، وأما " الوسيط " فهو المتوسط بين المتخاصمين والمعتدل بين شئين، وهي وسيطة وهم وسطاء"(8) .

ومن خلال هذه التعريفات نتوصل إلى أن الوساطة هو طريق من الطرق التفاهم الودي، يعتمد على الوسيط وهو شخص محايد من

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ص1031

(2) جلول دليلة، الوساطة القضائية في القضايا المدنية والإدارية ،ص19

خَلَطُوا عَمَلًا صالِحًا وَآخرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة:102]، وقال تعالى: ﴿إليه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:10] (3)

وعرّفت المادة 1531من مجلّة الأحكام العدلية الصّلح بأنه "عقد يرفع النّزاع بالتراضي " (4) ، وفي شرح المجلة " أي بِتَرَاضِي الطَّرَفَيْنِ الْمُتَخَاصِمَيْنِ وَيُزِيلُ الْخُصُومَةَ وَيَقْطَعُهَا بِالتَّرَاضِي. وَرُكْنُهُ عِبَارَةٌ عَنْ الْإِيجَابِ وَالْقَبُولِ ،وَيَنْعَقِدُ وَيَصِحُّ بِحُصُولِ الْإِيجَابِ مِنْ طَرَفٍ وَالْقَبُولِ مِنْ الطَّرَفِ الْآخَرِ "(5)، كما عرف الحنفية الصلح " بأنه عقد لرفع المنازعة " (6)

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الصلح يهدف إلى رفع الخلاف والشقاق ، وازاله سببه ، والتوفيق بين الزوجين ، ومن خلاله تنقطع الخصومة وترد الحقوق إلى أصحابها ، وبالتالي ارضاءهما .

المطلب الثاني : مفهوم الوساطة لغة واصطلاحا

تعتبر الوساطة والصلح والتحكيم من أقدم الأساليب البديلة لحل النزاعات فقد عملت بها قبائل العرب قبل مجيء الإسلام، وواقعة تنازع

(3) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص489 .

(4)علي حيدر ، درر الحكام شرح مجلة الأحكام ، ج4/ص2

(5)المرجع نفسه

(6)العيني ، البناية في شرح الهداية ، ج9/ص3

والرسغ أصابه شقاق ، وكل شق في جلد عن داء فهو شقاق ، وهو في مصطلح أهل اللغة يدور على عدة معاني منها : النصف ، والجهة ، والمشقة، والصدع والخلاف ، والمفارقة ، وغلبة العداوة والخلاف ، وسمي الخلاف بين اثنين شقاقاً ؛لأن كل فريق من فرقتي العداوة قصد شقاً ؛ أي ناحية غير شق صاحبه (9).

ويلاحظ على هذه التعريفات اللغوية المتعددة أنها متقاربة في المعنى تدور حول المعنى نفسه وهو الأقرب للشقاق عملياً ، وهو الصدع والخلاف والعداوة والمفارقة التي تنتهي بالشقاق ، فهذه التعريفات توافق المعنى الاصطلاحي للشقاق .

الشقاق في الاصطلاح :ليس للشقاق تعريف خاص في اصطلاح الفقهاء غير أن المفسرين تناولوه بتعريفات تقارب في حقيقتها المعنى اللغوي السابق، فقد عرفه القرطبي الشقاق فقال" :فكأن كل واحد من الزوجين يأخذ شقًّا غير شق صاحبه، أي ناحية غير ناحية صاحبه (10)، ويقول ابن عابدين :" الشقاق : هو الاختلاف والتخاصم " (11).

أصحاب الخبرة والكفاءة والنزاهة وخارج عن أطراف النزاع ، يقوم بتوظيف مهاراته المستحدثة في إدارة المفاوضات من خلال مجموعة من الإجراءات السرية لمساعدة أطراف النزاع على تقريب وجهات النظر بين الطرفين؛ بهدف فض النزاع القائم بينهم، وتسوية نزاعاتهم بشكل ودي قائم على التوافق والتراضي بعيداً عن التقاضي .

المطلب الثالث : مفهوم التوفيق

يأتي التوفيق بين الزوجين بمعنى الصلح بينهما ، وازالة وقطع أسباب النزاع والخلاف والتوفيق بينهما ، وهذا ما تم بيانه في معنى الصلح لغة واصطلاحاً، ولا ضرورة لإعادته مرة أخرى، وخلاصة القول فإن المقصود من التوفيق بين الزوجين هو التأليف بينهما بعد معرفة سبب الخلاف والشقاق، وايجاد حلول رضائية تضمن موافقة الطرفين، وانهاء الشقاق والخلاف، وهو بمعنى الإصلاح بين الزوجين بهدف التوفيق بينهما ، فالعلاقة بين التوفيق بين الزوجين، والإصلاح بينهما علاقة ترابطية تكاملية فالصلح وطريقته تؤدى في نهايتها إلى التوفيق بين الزوجين.

المطلب الرابع : مفهوم الشقاق

الشقاق مشتق من الفعل(شق)وأصله داء يكون بالدواب ، وهو يشقق ؛ يأخذ في الحافر، أو الرسغ ، يكون فيهما منه صدوع ، وشق الحافر

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج10/ص17، الرازي، مختار الصحاح، ج1/ص144

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5/ص180

(3) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ج4/ص441

أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا " (النساء : 34-35)

المطلب الخامس : مفهوم مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري(14) :

ويقصد بمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري المنتشرة في محافظات المملكة الأردنية الهاشمية والتي تقوم على رسالة مهمة في مواجهة التحديات التي تواجه الاسرة ، ورؤية واسعة المجال في إعداد الأسر المستقرة الآمنة ، وأهداف مشتركة في الحد من حالات الطلاق والتفكك الأسري ، وحماية الأطفال من الآثار الخطيرة للشقاق والنزاعات الاسرية ، وقيم تجمع بين الاصالة والمعاصرة ، والسرية والخصوصية العائلية يقوم على العمل في هذه المكاتب مجموعة من الأعضاء الذين يقومون بدور المصلح الأسري، والتعامل مع الاحالات بمنهجية وموضوعية ونية صادقة في الإصلاح والتوفيق ورؤية ثاقبة ورسالة سامية تستهدف الحفاظ على ديمومة الأسرة واستقرارها ،

وقد عرفة من المعاصرين جابر العلواني فقال : " اشتداد الخصومة بين الزوجين وتعذر التفاهم بينهما " (12)، وعرفة وهبة الزحيلي بأنه "هو النزاع الشديد بسبب الطعن في الكرامة "(13)

ويمكن القول بأن قوة الترابط بين الزوجين تقضي على الشقاق ، فقوة الترابط بينهما هي منّة من الله تؤدي إلى تحقيق الهدف من الزواج وهو المودة والرحمة ، فإذا وجد الشقاق ضاعت هذه المعاني والغايات النبيلة من الزواج فلا بد من الاسراع في التحكيم بين الزوجين لمعرفة سبب الشقاق ومعالجته، وازلته من جذوره؛ لأنه يؤثر على سلامة الأسرة واستقرارها، فالشقاق هو الخلاف بين الزوجين والذي يتعذر بسببه استمرار العلاقة الزوجية القائمة على المودة والرحمة والالفة، وهذا التعريف هو شامل للمعنى اللغوي ، ويحدد مفهوم الشقاق عملياً من حيث عدم استمرار الحياة الزوجية بسببه، وشموليه كل خلاف بين الزوجين من شأنه تعكير صفو الحياة بينهما ، قال تعالى : " وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا، وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ

(1) دائرة قاضي القضاة ، مديرية الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري، الأردن، الموقع على الشبكة العنكبوتية www.sjd.gov.jo/Pages/viewpage.aspx?pageID=200

(4) العلواني، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، كتاب أدب الاختلاف في الإسلام ، ص23

(5) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج7/ص527

يشكل مكتب الإصلاح من رئيس وعدد من الأعضاء حسب الحاجة ، ويتولى رئاسة المكتب قاض شرعي ، أو موظف من موظفي دائرة قاضي القضاة، بتنسيب وموافقة من قاضي القضاة ، ويجتمع الأعضاء في حالة النزاعات الكبيرة مع الاطراف المتنازعة ، محاولة الصلح والتوفيق بينهم ، وفق القواعد الشرعية ، وبالكيفية التي تراها مناسبة ، على أن تكون مداولات واجراءات هذه المكاتب غاية في السرية والخصوصية .

المبحث الثاني:

أهمية الإصلاح الأسري في الشريعة الإسلامية ومقاصده الشرعية العليا (الجانب الفقهي التأصيلي للإصلاح الأسري)

المطلب الأول : أهمية الإصلاح الأسري في الشريعة الإسلامية

يُعد الإصلاح بين الزوجين من مكارم الأخلاق العظيمة ، فقد حثت عليها الشريعة الإسلامية في أكثر من مناسبة ؛ولأهمية هذه المكانة جعلت الشريعة جزءاً من مصارف الزكاة ، تصرف للغارمين الذين يسعون في سبيل الإصلاح بين الناس عامة ، وبين الزوجين خاصة ؛إذ بالإصلاح تصبح الأسرة وحدة متماسة ، يسعى أعضاء أفرادها في سبيل إصلاح الآخر ، وفي إهمال اصلاحها تفكيك وحفاظاً على بينتها المتماسكة ، وسلامة أبنائها ، وتجنبيهم الخلافات والنزاعات الزوجية المستمرة .

ويقصد بمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري : المكاتب الاستشارية غير ربحية التي تعنى بتقديم خدمة الإرشاد والإصلاح والوساطة والتوفيق لأفراد الأسر في مختلف المجالات(النفسية – الأسرية – الاجتماعية – التربوية – القانونية الأسرية) ؛ لتحقيق سعادة الأسرة واستقرارها بالتوعية والإصلاح بكل سرية وخصوصية من قبل أعضاء مختصين ، وكما هو معلوم لدينا فقد اقرت تم اقرار نظام مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري ، بموجب النظام رقم (17) لسنة 2013 م، والمستند إلى المادة الحادية عشرة من قانون أصول المحاكمات الشرعية المعدل رقم (31) لسنة 1959م، حيث تضمن النظام انشاء مديرية للإصلاح والتوفيق الأسري يديرها قاض لا تقل درجته عن الثالثة تتولى هذه المديرية الاشراف على مكاتب الإصلاح والتوفيق الأسري التي تنشأ وفقاً للنظام بقرار من قاضي القضاة ، بحيث يتمكن المكتب من الاستعانة بالأساليب والوسائل والتقنيات التي يراها مناسبة وموصولة إلى إنهاء الخلاف الأسري بالطرق الودية ؛سعياً إلى المحافظة على كيان الأسرة ، وحمايتها بما يحفظ حقوق كل مكوناتها من زوج وزوجة وأبناء ، ووفقاً للنظام

والألفة والمودة بين الأزواج بدلاً من الشقاق والنزاع والخلاف بينهم .

ويُعد الإصلاح الأسري – الذي هو مدار البحث فيه في هذه الدراسة أحد أهم وسائل إصلاح ذات البين في المجتمع، وأكثرها حاجة وضرورة ؛ كونه يستهدف نواة المجتمع الأولى وأهم مكون من مكوناتها ألا وهي الأسرة ، فصلاح المجتمع واستقامته مرهون بصلاح الأسرة .

والشريعة الإسلامية حرصت كل الحرص على استقرار الحياة الزَّوجيَّة، من خلال تعزيزها لثقافة المودَّة والرَّحمة والمعاشرة بين الزوجين بالمعروف الّتي دعا إليها الله سبحانه عندما قال :"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الروم : 21) ، وقوله تعالى :" وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً " (النساء : 19) ، وقوله تعالى :" وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ " (البقرة : 228) ؛ولذلك حثَّت الشريعة الاسلامية على الإسراع في علاج أيّة مشاكل تصيب الحياة الزوجية ، وعلى عدم تركها تتفاقم وتزداد شقاقاً؛ تجنّباً للآثار السّلبيّة النّاتجة من هذا التأخّر، إن على مستقبل كلٍّ من الزّوجين وعلى سعادة وأمن الأسرة ، أو على الأولاد للأسرة ، وتفتيت لروابطها ؛ولهذا جعل الإسلام الإصلاح بين الزوجين والتوفيق بينهما أفضل من كثير من العبادات ، فكم من بيت كاد أن ينهدم ؛بسبب خلاف بسيط بين الزوجين، وكاد ينتهي بالطلاق ؛فإذا بعضو الاصلاح يتدخل بكلمة طيبة ونية صادقة في محاولة الإصلاح ، فيعيد المياه إلى مجاريها ، ويصلح بين الاثنين ، وينقذ الأسرة من التشرد والتفكك والضياع ، ويزيل سبب الشقاق ، ويرأب الصدع، وبذلك تصفو به النفوس ، وتخمد بها نيران الفتن والنزاعات .

يتبوأ الإصلاح الأسري بين الزوجين ، ومعالجة أسباب الشقاق والتوفيق بينهما ، مكانة سامية ومنزلة عظيمة في الشريعة الإسلامية ، وكثير من النصوص القرآنية والنبوية أظهرت خيرتيه وعظم منافعه على الزوجين خاصة، وعلى المجتمع عامة ، كما أنها حرصت في ذات الوقت على تبيان معالمه وحدوده الشرعية وقواعده وضوابطه المحددة التي لا ينبغي تجاوزها ، أو الحيد عنها بأي حال من الأحوال ، تماشياً مع كونه مطلب شرعي ، وأساس ديني، وضرورة ملحة لا تستقيم حياة الأسر، ولا تُعمر الأرض وتزدهر ، ولا يتحقق صلاح الأمة والمجتمع إلا بوجوده، فكيف لا وهو يرأب الصدع ويجبر الكسر ويعالج الخلل، ويقيم المعوج ، ويسعى إلى إشاعة ثقافة الحب والسلام

أعلاها، وبعضهم الأخر في أدناها ، فالذين في أدناها لا يأخذون حاجتهم من الماء إلا بالمرور من عند من كان في أعلاها ، ثم أرادوا أن يخرقوها حتى لا يمروا على من فوقهم ، فماذا يقول الحديث : روى البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ, فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا, فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا"(16)

ولتحقيق ذلك أوصت الشريعة الإسلامية بالنساء خيراً وأمر بإكرامهن والإحسان إليهن، ورتب للزوجين حقوقاً وواجبات على بعضهما البعض، وجاءت النصوص الشرعية العديدة التي نصت على إصلاح أحوال الأسر، بدءاً من العلاقات الزوجية ، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: 35)، فهذا نص ومستقبلهم ، وانعكاس ذلك على المجتمع، لأنَّ أيّ تهديد للأسرة هو تهديد للمجتمع؛ لكون الأسرة إحدى لبناته الأساسيّة، فالمجتمع هو عبارة عن تجمّعٍ للأسر المتنوّعة ؛ولذلك، كانت دعوة القرآن الكريم إلى الصّلح بين الزوجين ، حتى بلغ به أن جعله أهمّ من درجة الصّلاة والصّيام، وتتضح مكانة الإصلاح الأسري أيضاً من حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه أبو داود –بإسناد صحيح– عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ".قَالُوا: "بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ" قَالَ:" إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ ."(15) , ويتضح من هذا النص الشريف أن المجتمع إذا أهمل الإصلاح بشكل عام, والإصلاح الاسري بشكل خاص ، هلك الناس جميعاً ، وإن تصدى لهؤلاء أهل الإصلاح فمنعوهم من ذلك نجت الأسر ، ونجى المجتمع كله، وفي هذا يصف الرسول صلى الله عليه وسلم حال المجتمع بحال ركاب السفينة ، حيث يكون بعضهم في

(2) البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ، حديث رقم (2493) ، ص286.

(1) سنن ابي داود، كتاب الأدب ، باب في إصلاح ذات البين ,حديث رقم (4919) ج4/ص282، والترمذي حديث رقم (2509) في صفة القيامة، وقال الأرناؤوط: وهو حديث صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحة وأحمد، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (ج3/ص294)، انظر: جامع الأصول، (ج6/ص668).

أحسن ؛ حتى تستمر العلاقات الزوجية، والوئام والمودة في البيت، كما بين الإسلام أن خيار الناس وأكملهم إيماناً هم الطيبون في بيوتهم، ومع زوجاتهم، والذين يسيئون المعاشرة للزوجات عصاة لله، يخالفون أمره سبحانه وتعالى ويكونون في عداد الظلمة ، والبعد عن الحق ، والذي يمعن النظر في النصوص الشرعية، يجد أن هدم البيوت والأسر من أعظم مقاصد الشيطان، كما جعل النبي من يفسد رابطة الأسرة ، ويدمر العلاقة القائمة على المودة بين الرجل والمرأة من أسوء الناس، فعن أبي هريرة قال، قال رسول الله : " لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امرَأَةً عَلَى زَوجِهَا أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ" (18)

المطلب الثاني : مقاصد الإصلاح الأسري في الشريعة الإسلامية

ولا شك أن للإصلاح الأسري مقاصد شرعية سامية وغايات نبيلة تتحقق من خلاله منها : الإصلاح بين الزوجين والتوفيق بينهما هو سبب من أسباب دفع البلاء والهلاك والضنك عن المجتمعات جميعها ، وهو سبب للحصول على الأجر العظيم والثواب الجزيل من الله تعالى، كما أنه من القضايا الهامة التي تصون المجتمعات من الفرق صريح في وجوب تدخل أطراف الصلح من جهة الزوجين؛ لكي يتداركوا الخلل ويصلحوا بين الزوجين؛ وحتى لا تتدمر الأسرة ويتضرر الأبناء، ولهذا يرد النص الأخر الذي ينص صراحة على الإصلاح بينهما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:128) ، حيث وصف الله سبحانه وتعالى الصلح هنا بأنه خير ، وبأن المصلحين ينبغي إن يتدخلوا لإصلاح الأسر ، وحفظ العلاقات الزوجية في حالة الخلافات والنزاعات المستمرة .

ومن أجل صلاح الأسرة أوصى الإسلام بالنساء خيراً، وأمر بإكرامهن وعدم ظلمهن، كما أمر بالصبر عليهن وعدم كرههن، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله " لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَ آخَرَ " (17)، وفي هذا الحديث تنبيه إلى التجاوز عن الأخطاء ، ومسحها ، وتذكر الايجابيات ؛ للعفو عن الزلات والسلبيات ، فكل إنسان فيه جوانب خير وجوانب شر، وعلى العاقل أن يدفع بالتي هي

(2) ابو داود، سنن ابي داود، كتاب الطلاق، باب فيمن خبب امرأة على زوجها ، حديث رقم (2175) ،ج2/ص260

(1) مسلم، صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، حديث رقم (1469) ص367.

والشقاق بينهم (الجانب التطبيقي للإصلاح الأسري المنظم)

المطلب الأول : دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين:

ولما للإصلاح الأسري بين الزوجين والتوفيق بينهما ، وازالة أسباب الشقاق والخلاف بينهما ، والتوفيق بينهما، من مقاصد شرعية سامية، وغايات نبيلة، وأهداف مشتركة ؛وانطلاقاً من حرص الشريعة الإسلامية على متانة العلاقة الزوجية وحفظها مما قد يفسدها من المكدرات والخلافات والنزاعات التي قد تنشأ بين الزوجين ، وبعد أن تستنفذ الوسائل البديلة والمشروعة للحفاظ على العلاقة الزوجية كالوعظ والنصح والإرشاد والهجر وغيرها ؛وخوفاً من اتساع رقعة الخلافات الزوجية فقد سعت الشريعة الإسلامية إلى قطع وحسم مادة النزاع والشقاق والخلاف بين الزوجين بوسائل رضائية قبل اللجوء إلى التقاضي والترافع أمام المحاكم، ومن هذه الوسائل الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري بين الزوجين ؛وبناء على المعاني والحكم والغايات والمقاصد الشرعية للإصلاح بين الزوجين ، حرصت دائرة قاضي القضاة في المملكة الأردنية الهاشمية ممثلة بمديرية الإصلاح الأسري والوساطة والتوفيق الأسري على إنشاء وفتح مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري والاختلاف ، وتصون المجتمع من الانزلاق في مزالق الشر والفساد والتبعية والشيطان ، كما أنه يعمل على إحلال الألفة والمودة والوفاق محل النزاع والفرقة والخلاف، ويعمل على استئصال داء النزاع والشقاق قبل أن يستفحل ضرره بالأسرة، ويعمل على تجنيب الأسر الوقوع في المشاجرات والمشاكل الزوجية التي تدمر بنياها ، كما يعمل الإصلاح الأسري على تماسك الافراد والمجتمعات وتعاضدها فهي كالجسد الواحد، والإصلاحُ بين الزوجَين يُحافظُ على كِيان الأسرة من التصدُّع ومن الضياع، وتدومُ به العلاقة الأُسرية من خلاله ، وتقوَى به الروابطُ بين الزوجَين، وتستمرُّ العِشرة، ويجدُ الأولاد في اجتماع الأبوَين المحضَن الآمِن المُستقرَّ، والمأمَن من الانحِراف، والعطف الأبويّ، والنشأة الصالحة، وإذا ازداد الخلافُ بين الزوجَين، وتُرِك الإصلاح؛ تصدَّعَت الأسرة، وضاع الأولاد، وتعرَّضُوا للفساد والفشل في الحياة بعد الطلاق، وتضرَّر الزوجان، فالربط بين إبراز مقاصد الشّريعة الإسلامية في عملية الإصلاح الأسري تعد ضرورة حضارية في حياتنا المعاصرة.

المبحث الثالث :

دور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين، والتقليل من آثار الخلاف

وتوفير الجهد والوقت، وحماية الأطفال من الآثار السلبية لاستمرار الخلافات والنزاعات الأسرية .

ولا شك إن الإصلاح الأسري عبادة جليلة وخلق جميل يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو خير كله " والصلح خير " (النساء : 128) ولها ثمرات ايجابية منها : بالإصلاح تكون الأمة وحدة متماسكة ، ينصف فيها الضعيف ويقوم فيها الخلل ، ويقوى رباط الاسرة فيها ، ويسعى بعضها في إصلاح بعض ، وبالإصلاح يصلح المجتمع وتتآلف القلوب وتجتمع الكلمة وينبذ الخلاف وتزرع المحبة والمودة بينهم ، وبالإصلاح تظهر جوانب من عنوان الإيمان في الإخوان " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ " (الحجرات : 10) ، وبالتالي إذا فقد الإصلاح فسدت البيوت والأسر وتبددت الثروات وانتهكت الحرمات وعم الشر القريب والبعيد الذي لا يقبل الصلح ولا يسعى فيه رجل قاسي القلب قد فسد باطنه وخبثت نيته وساء خلقه وغلظت كبده فهو إلى الشر أقرب وعن الخير أبعد، وفي نهاية الامر يكون المصلح قلبه من أحسن القلوب وأطهرها ، نفسه تواقة للخير مشتاقة ، يبذل جهده ووقته وماله من أجل الإصلاح.

كما جاء الهدف من إنشاء هذه اللجان لحل الخلافات والنزاعات التي قد تحدث بين أفراد في جميع محافظات المملكة الأردنية الهاشمية ؛ من أجل تطبيق مبادئ الإصلاح التي حثت عليها نصوص الشرع في الكتاب والسنة ، فقد جعلت ذلك ممارسة تطبيقية وواقعاً عملياً من خلال شعارها الذي اتخذته هدفاً لها وهو (الوفاق قبل الشقاق ، والتراضي قبل التقاضي)؛ ومن أجل الحفاظ على العلاقات الزوجية من الضياع والتفكك والانحلال، والحفاظ على استقرار المجتمعات وقوتها باستقرار نواتها وهي الأسرة كانت فكرة انشاء مكاتب إصلاح ووساطة وتوفيق أسري في محافظات المملكة من شمالها لوسطها وجنوبها، والتي تهدف بالدرجة الأولى إلى الإرشاد الأسري بشقيه الوقائي والعلاجي؛ من أجل لم شمل الأسرة واستمرار قيامها على المودة والرحمة ، ومعالجة الخلافات الأسرية ، والوصول بها بشكل ودي إلى حلول رضائية دون الحاجة إلى المرور بالإجراءات القضائية في المحاكم، والحفاظ على الود ؛تطبيقياً للمبدأ الاصلاحي الوارد في قوله تعالى :" وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " (البقرة : 237) ، كما أن هذه المكاتب الاصلاحية والتي تقوم بجهد كبير في ايجاد الحلول الناجعة الرضائية البديلة للخلافات الزوجية لها دور كبير وأثر عميق في راحة الطرفين،

وهذا ما لا نجده عادة بعد الأحكام القضائية(19).

وقبل الشروع في الحديث عن دور لمكاتب الاصلاح والوساطة والتوفيق الاسري في الوصول إلى حلول رضائية توافقية من شأنها العمل على تخفيف العبء الملقى على كاهل المحاكم الشرعية ، لا بد لنا أن نقف قليلاً على أهم طرق معالجة ما قد يعترض الحياة الأسرية ، ويعكر صفو حياتها من سوء فهم – قد يتطور لاحقا لقلة الخبرة في معالجته – إلى ما لا يحمد عقباه، حيث إن قضايا الأحوال الشخصية من أعقد القضايا، فالتعامل معها يحتاج لمزيد خبرة ودراية، فالتعامل معها في حقيقته تعامل مع رغبات وأحاسيس أكثر منه تعامل مع الامور المادية الملموسة .

ومن خلال تدبر الآيات القرآنية في هذا المجال في هذا الشأن ، يمكن أن نقول أن هناك طريقة في كيفية معالجة الخلافات الأسرية، ما لو اتبعه الناس في علاقاتهم الزوجية لتمكنوا من التغلب على جُل خلافاتهم.

وهذه الطريقة تتمثل في ما يلي في حالة نشوء الخلاف الأسري :-

المجتمع بطرق ودية وإيجاد طرق بديلة سهلة وسريعة لحل النزاعات والخلافات وجعل الأحكام آخر الأمور التي يمكن اللجوء إليها في حالة تعذر الاصلاح والتوفيق بين المتنازعين .

فكان إنشاء مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري إضافة مهمة لصرح المحاكم الشرعية ، وطريقاً مختصراً للمتقاضين، وكان له دور مهم في تخفيف العبء الملقى على كاهل المحاكم الشرعية ، كما أن المرونة والخصوصية في التعامل مع القضايا لمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري ، جعلت منها رديفاً مناسباُ جداُ لتحقيق الإصلاح الأسري المنشود .

ودور هذه المكاتب واضح كل الوضوح ، ويمكن ملاحظة ذلك بمجرد الانتهاء من إبرام الصلح، فمما هو ملاحظ بشاشة وجوه المتصالحين حتى قبل توقيعهم على محاضر الصلح، وخروج الزوجين معاً فرحين بما أنجزته اعضاء المكاتب بينهما، وكذلك سرور الجار وجاره والأخ وأخيه وصاحب المتجر وعميله، ويُلاحظ فيما بعد زيادة أواصر روابط المجتمع من استقرار الحياة الأسرية وخروج الزوجين معاً سعداء مسرورين، بل إن سرور ذلك يتجاوز الزوجين إلى أولادهما وأهلهما وجيرانهما،

(1) دائرة قاضي القضاة , مديرية الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري، الأردن، الموقع على الشبكة العنكبوتية www.sjd.gov.jo/Pages/viewpage.aspx?pageID=200

(المضجع)، فلا يكون خلال النهار في داخل المنزل أمام الأولاد، بل لا يكون ذلك إلا عند النوم فقط وعلى الفراش فقط لا يعلم عنه حتى الأولاد، وإن تنفع هذه الطريقة انتقل للمعالجة بالطريقة الثالثة "وَاضْرِبُوهُنَّ" ، والمقصود بالضرب هنا هو ضرب المُحب لحبيبه لتنبيهه بوجود خلل ، أو تقصير من جانبها ، وعليها المبادرة بإصلاح الخلل ، وإذا رجعنا لقراءة الآية الكريمة مرة أخرى سنجد أن الخطاب موجه للأزواج فقط، وكأن الله تعالى لا يريد من غير الأزواج التدخل في الحياة الزوجية في هذه المرحلة، وليس للأزواج أن يُدخلوا غيرهم في حياتهم الزوجية في هذه المرحلة كذلك.

الحالة الثانية: إن خافت المرأة أن يحدث النشوز من زوجها ، وفي هذه الحالة يقول تعالى: "وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ" (النساء: 128)

نلاحظ في هذه الآية تركيزاً على ضرورة معالجة الأمر في إطار الزوجية وعدم ادخال الأخرين في مشاكلهما الخاصة ، وبالرجوع إلى الآية الكريمة نجد أن الله تعالى قد حث الزوجين على الجلوس معاً والحديث معاً ، والتحاور بالحكمة، وتقبل الآخر ، ثم يختم الله تعالى الآية الكريمة بجملة تقريرية "والصلح خير" ونفهم من ذلك أن الله تعالى الذي

الحالة الأولى: إن خاف الزوج من زوجته النشوز، وفي هذه الحالة يقول تعالى : " وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا" (النساء: 34).

إن المتتبع لهذه الآية الكريمة والمتدبر لها والواقف على معناها يجد أن الآية الكريمة وجهت الخطاب للأزواج وبدأت خطابها لهم باللاتي تخافون نشوزهن، ونلاحظ أن أول معالجة بدأتها الآية الكريمة هي الموعظة الحسنة، والموعظة هي الكلام اللطيف اللين الذي يلامس الروح ، وكما هو معلوم بأن كثيراً من الناس تؤثر فيهم الكلمة الطيبة، ولذلك لا بد من اختيار الكلمات والوقت المناسب لتلك الموعظة حتى تؤتي ثمرتها، فإن هي استجابت له فليس له أن ينتقل للمعالجة بالطريقة التالية "فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا" ، ولا يتم الانتقال للمعالجة بالطريقة التالية إلا إن تكررت الموعظة الحسنة أكثر من مرة ولم تُجدِ نفعاً، فإن هو فعل ذلك انتقل للعلاج بالطريقة التالية وهي (الهجر في المضجع) ولا بد من التقيد بما جاء في كتاب الله ، وكأن الله تعالى يريد منا أن نبقي خلافاتنا الزوجية بيننا فقط، وأن لا يعلمها أحد في البداية حتى أولادنا، فالهجر ، كما جاء في هذه الآية الكريمة يجب أن لا يتعدى موضع النوم

المطلب الثاني : دور أعضاء مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الأردن في التوفيق بين الزوجين:

وبعد هذا العرض الموجز لطرق معالجة الخلافات الأسرية نلقي نظرة سريعة على الدور الهام والمنوط بأعضاء مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في التوفيق بين الزوجين في حالة الشقاق والنزاع ، والمتمثل فيما يلي(20) :

1–مساعدة الأسر على تلافي المشكلات الأسرية ، وتوعيتها بالإدارة الموقفية الناجحة للمشكلات والخلافات الأسرية .

2–الحد من حالات الطلاق التي بها تتفكك الاسر وتنحل روابطها المتينة ، وتقصير أمد التقاضي أمام المحاكم ، وبذلك يتم توفير الجهد والوقت والكلفة على المتخاصمين من السير ومتابعة اجراءات التقاضي والترافع أمام المحاكم .

3–النظر في القضايا، التي تحال إلى المكاتب من غير طريق القضاء للاستشارات الأسرية ، أو المساعدة على حل النزاعات وتقديم الحلول المناسبة لكل حالة، واعانة الأطراف إلى الوصول الى الحلول التوافقية، أو الارشاد المطلوب ؛ وبذلك يكون هو أعلم بنا من أنفسنا ، وأعلم بما يسرنا ، وما قد يضرنا يقول لنا أن الصلح خير، وبالتالي يجب علينا ألا يبقى في أنفسنا شك في خيرية الصلح وأثره في التوفيق بين الزوجين، وإزالة سبب الشقاق .

الحالة الثالثة: خوف المحيطين بالزوجين من حدوث الشقاق بينهما، قال تعالى: " وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا" (النساء : 35)

إن سعى كل من الزوجين للمعالجة وفق ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، ولكن الطرف الآخر لم يستجب، واستفحل الأمر بينهما وبدأ في الخروج من دائرة النشوز إلى دائرة الشقاق، جاء توجيه الله تعالى للمحيطين بالزوجين بقوله: "وإن خفتم شقاق بينهما" ، فهنا لا بد من تدخل حكمين من أهله ومن أهلها ، إن يريدا الإصلاح يوفق الله بينهما .

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن من مظاهر الاهتمام الكبير في طرق المعالجة في التدرج الظاهر في الحالات الثلاث، إلا أن القرآن الكريم لم يذكر الطلاق في هذه الحالات كحل للخلافات الأسرية، وكأن خالقنا يريد أن يُبعدنا عن التفكير في الطلاق كحل من الحلول لخلافاتنا الأسرية في بادئ الأمر.

(1) دائرة قاضي القضاة , مديرية الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري, الأردن , الموقع على الشبكة العنكبوتية www.sjd.gov.jo/Pages/viewpage.aspx?pageID=200

تحقيق الرؤية الوطنية لحماية الأسرة وضمان استقرارها وديمومتها ، وتحسين نوعية العلاقة في ظلها بين افرادها ، وابقاء حبل المودة قائم بينها، والارتقاء بها ؛من خلال ايجاد حلول رضائية للبعد عن اللجوء إلى التقاضي ما أمكن .

7-تقوم مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري بإنهاء النزاعات الأسرية بأسلوب راق يحفظ كرامة الأسرة وافرادها ، كما تقوم بتقليل آثار الخلاف والشقاق على الابناء وعلى الأسر ، وعلى المجتمعات ، فتستقر الأسر والمجتمعات ، وتسود علاقات الود فيما بينها ، وتطمئن ويهدأ سكونها وقلقها .

8-تقوم مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الأردن من خلال رؤيتها الثاقبة تسعى إلى بناء وايجاد أسر آمنة ومستقرة ، ومن خلالها رسالة السامية تسعى إلى مواجهة التحديات التي تواجه الأسرة ، ومن خلال قيمها التي تجمع بين الاصالة والمعاصرة ، والسرية العائلية ، والمرونة في الوسائل والاجراءات وأدوات العلاج والوقاية، ومن خلال أهدافها النبيلة ، التي تسعى إلى توعية الأسر ، وحماية الاطفال من مخاطر الخلافات والنزاعات الأسرية ، ومن خلال شعارها التي أطلقته التراضي قبل التقاضي ، والوفاق قبل الشقاق .

لمكتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري الدور الأكبر في توفيق الزوجين على تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، والتوفيق بينهما ، وازالة أسباب الشقاق بينهما ، والتقليل من آثار الشقاق والخلاف على الأسرة وعلى الاطفال .

4-الإرشاد الأسري الوقائي والعلاجي من أجل لم شمل الأسرة واستمراريتها ، ومعالجة الخلافات الاسرية ، والاخذ بأيدي طرفي النزاع للوصول إلى حلول لنزاعهم بشكل ودي رضائي يحفظ لكل من الطرفين حقوقهما دون الحاجة إلى المرور بالإجراءات القضائية في المحاكم .

5-تقوم مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري بالنظر في القضايا المحالة إليها ، ودراستها ، وبيان أسباب الخلاف، وتقديم الاستشارات الأسرية ، ومحاولة الوصول إلى حلول ناجعة لتلك الخلافات واختبار تلك الحلول للتأكد من نجاعتها لحل مثل تلك الخلاف والشقاق والنزاع ، ثم اجراء عملية التصالح على إنهاء النزاع والخلاف باتفاقية ، أو بدون اتفاقية، أو في حالات نادرة تعذر الصلح ، والاحالة إلى المحاكم للسير في اجراءات التقاضي.

6-تقوم مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الأردن ، والتي تمثل (الجانب التطبيقي للإصلاح الأسري المنظم بدور مهم وفعال في

الوقائي ، حيث يقوم رئيس المكتب بعد الاطلاع على الحالة بتحويلها إلى المختصين من اعضاء الإصلاح، للنظر في الحالة ودراستها واعانة الأطراف الى الوصول إلى الحلول التوافقية ، أو الارشاد المطلوب، ويعطى المكتب مهلة ثلاثين يوماً للانتهاء من نظر الحالة للوصول إلى الإصلاح بين الأطراف المتنازعة، وهنا يمكن انهاء النزاع والخلاف بالتوفيق بين الطرفين ولم شمل الأسرة مرة أخرى ، وإن أصبح الصلح متعذراً ولم يكن عقد الزواج محققاً لمقصوده من السكن والمودة والألفة في حياة الزوجين فهنا تقوم مكاتب الإصلاح بإرشاد الأطراف والانتقال معهم إلى دور الوسيط الأسري ؛ للوصول الى تفريق ايجابي يحفظ لكل أفراد الأسرة من الزوجين وأولاد حقوقهم دون افراط ، أو تفريط بما يحقق معنى المحافظة على الفضل بين أفراد الأسرة وعدم نسيانه (ولا تنسوا الفضل بينكم) ، ومن خلال الوصول إلى حلول رضائية تنهي النزاع بين الطرفين من خلال تسجيل اتفاقية موقعة منهما ومصادق عليها من المكتب ، تحفظ حقوق الأولاد والزوجين ويصادق عليها من قبل المكتب والمحكمة المختصة وهي بمنزلة الحكم القضائي، من حيث القوة التنفيذية، واذا أصر الأطراف على عدم التوافق على أي حل فإن المكتب يعيد النزاع الى المحكمة للسير في الدعوى المنظورة حسب الاصول

9-تقوم مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الأردن بتقديم واعداد البرامج الوقائية لأفراد الأسرة مثل برامج إعداد المقبلين على الزواج ، والبرامج التربوية المتنوعة ، وغيرها من البرامج المستجدة في هذا المجال، وإقامة وتفعيل البرامج الأسرية والتربوية التي تساعد في حل المشكلات.

10- تقوم مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري في الأردن بالدراسات والبحوث المرتبطة بالحياة الأسرية وأبعادها النفسية والاجتماعية والتربوية ، وعوامل استقرارها ونشر نتائج هذه البحوث واقتراح التوصيات الكفيلة بتدعيم كيان الأسرة وخدمة وتطوير العمل في مجال الإرشاد الأسري، والتنسيق مع مؤسسات الدولة الرسمية وغير الرسمية لإقامة وإعداد البرامج المشتركة التي تخدم الأسرة وتعالج قضاياها .

11-اختصاص مكاتب الإصلاح وآلية عمل أعضائها : تعمل مكاتب الإصلاح على محورين اساسيين هما الوساطة القضائية، من خلال النظر في القضايا التي تحول من المحكمة إلى مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري، أو الحالات التي ترد للمكتب مباشرة من تلقاء نفسها من أجل الحصول على الارشاد ، أو البحث عن طريق حل النزاع القائم، أو من أجل المعرفة والارشاد

وأسبابه والتشخيص السليم للمشكلة، ووضع الحلول الناجعة ولتشجيع الأسرة لمراجعة هذه المكاتب وحل نزاعاتها عبرها عوضاً عن رفع الدعاوى ووضع تاريخ الأسرة في ضبوطات المحاكم وتحقيقاتها ، بالإضافة إلى المرونة في الاجراءات : حيث يتميز العمل في مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري بمرونة في الوسائل والاجراءات والآليات ، حيث إن المكاتب غير ملزمة بالأصول الاجرائية وقواعد المرافعات وهذا يعطي مكانة اضافية لعملية الإصلاح ، وأما بالنسبة إلى تقاضي رسوم تقديم الخدمة بالنسبة للمكاتب الإصلاح: فعمل الارشاد والوساطة في مكاتب الإصلاح هو مجاني ولا يتم تقاضي أية رسوم من المراجعين على عملية الارشاد ، أو الاستشارات، أو جلسات الإصلاح والوساطة ، ولكن في حال وصل الأطراف إلى اتفاق على الأمور المتنازع عليها ورغباً في توثيق هذا الاتفاق وتنظيم اتفاقية (سند نقدي) فقد أوجب نظام رسوم المحاكم الشرعية دفع رسوم على المصادقة على الاتفاقية ولكن مقدار هذا الرسم جرى تخفيضه الى النصف من الرسم الذي كان يتوجب دفعه في المحكمة ، واذا كان النزاع محالاً من المحكمة بناء على دعوى مرفوعة أمامها وكانت الرسوم قد دفعت هناك فينظم السند والاتفاقية دون دفع أية رسوم اضافية ، وأما بالنسبة ، وأما المحور الثاني فيتمثل بالوساطة الخاصة من خلال النظر في القضايا، التي تحال إلى المكاتب من غير طريق القضاء للاستشارات الأسرية، أو المساعدة على حل النزاعات وتقديم الحلول المناسبة لكل حالة، حيث يقوم رئيس المكتب بعد الاطلاع على الحالة بتحويلها إلى المختصين من أعضاء الإصلاح للنظر في الحالة ودراستها واعانة الأطراف إلى الوصول الى الحلول التوافقية أو الارشاد المطلوب، ويكون لمكتب الإصلاح الدور الأكبر في توفيق الخصوم على تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، ويمتاز عمل مكاتب الاصلاح بالسرعة والخصوصية والسرية وقلة التكاليف المالية، والمرونة والإلزامية والخبرة والحيادية، وتقدم المكاتب المساندة القضائية والمساندة الخاصة (الذاتية)، حيث يضطر العاملين في المكتب الى قضاء ساعات طويلة وأوقات متأخرة من اجل انجاز الحالة.

12-السرية والخصوصية العائلية التي تمتاز بها مكاتب الإصلاح والتوفيق الاسري في الاردن: لإدراك دائرة قاضي القضاة أن نجاح عمل المكاتب هو في المحافظة على خصوصيات وأسرار الأسرة فقد ضمنت القانون نصاً يؤكد السرية في عمل المكاتب وتحت طائلة المساءلة القانونية وذلك لإعطاء الأطراف الحرية في بحث النزاع

2–لمكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الاسري دور كبير ومهم وفاعل في التوفيق بين الزوجين والوصول إلى حلول رضائية ، والتقليل من الآثار الناجمة عن استمرار الشقاق بين الزوجين تم بيانه في ثنايا هذه الدراسة ، كما لمكاتب الإصلاح دور مهم في الارشاد الأسري بشقيه الوقائي والعلاجي من أجل لم شمل الأسرة واستمراريتها ، ومعالجة الخلافات الأسرية ، والأخذ بأيدي الطرفين للوصول إلى حلول لنزاعاتهم بشكل ودي رضائي، ووصولاً إلى اتفاق أسري يتضمن ما اتفق عليه طرفا الخلاف، بحيث يحفظ لكل طرف حقوقه دون الحاجة إلى المرور بالإجراءات القضائية في المحاكم، وحفظاً للود والفضل بين أفراد الأسرة، تطبيقاً لقوله تعالى :" ولا تنسوا الفضل بينكم " .

3– يتبوأ الإصلاح الأسري بين الزوجين ، ومعالجة أسباب الشقاق والتوفيق بينهما ، مكانة سامية ومنزلة عظيمة في الشريعة الإسلامية ، وكثير من النصوص القرآنية والنبوية أظهرت خيرتيه وعظم منافعه على الزوجين خاصة، وعلى المجتمع عامة.

التوصيات :

خلصت الدراسة إلى التوصيات التالية :

1– يوصى الباحثان بضرورة العمل على تدريب أعضاء الإصلاح الأسري على العديد من المهارات (تربوية ، نفسية، صحية، شرعية، اجتماعية ، إلى حجية الاتفاقيات المنظمة لدى مكاتب الإصلاح: فالاتفاقيات التي تنظم في مكاتب الإصلاح ويصادق عليها هي في منزلة الحكم القضائي من حيث القوة التنفيذية اذ اعتبرها قانون التنفيذ الشرعي سنداً تنفيذياً يمكن طرحه للتنفيذ مباشرة دون الحاجة الى رفع قضايا واستصدار أحكام قضائية وعند اخلال أي طرف من الأطراف بأي التزام مترتب عليه جراء الاتفاق يستطيع الطرف المتضرر اللجوء الى محاكم التنفيذ الشرعي لتنفيذ الالتزامات الواردة في الاتفاقية .

الخاتمة :

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية :

1–إن الإصلاح الأسري من أعظم أهداف الشّريعة الإسلامية ومقاصدها الكبرى في الحياة يتبين ذلك من خلال التأمل والتدبر والنظر في الآيات الكريمة والاحاديث النبوية الدالة على ضرورة الاصلاح بين الزوجين ، وانهاء سبب الخلاف والشقاق بينهما، والتوفيق بينهما ، والتقليل من آثار الشقاق على الأسر والأطفال خاصة، وعلى المجتمع عامة ، حيث نجد أن مقاصد الشريعة الإسلامية التي تتمثل بالحفاظ على الضرورات الخمسة تتركز حول مسألة إصلاح الأسرة ، وسبل رعايتها لتؤدي مهام رسالتّها في الحياة.

الأهلية ، أو الخيرية ؛ لتوسيع الاستفادة من هذه الخدمات والمساهمة في زيادة الوعي بكيفية التعامل الأمثل مع ضغوط الحياة المختلفة .

4-يوصى الباحثان بضرورة العمل على ربط مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري بعضها ببعض الكترونياً؛ لغايات تبادل الخبرات بين أعضاء هذه المكاتب، والاستفادة من تجاربهم ونشاطاتهم فيما بينهم ، والعمل على أرشفة الاتفاقيات الصادرة عن مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري الكترونياً ؛لتسهيل الرجوع إليها عند الحاجة ، ولتسهيل البحث فيها في أي وقت بأقل وقت وجهد وكلفة ؛ لتكتمل بذلك منظومة البحث الالكتروني لدائرة قاضي القضاة لتشمل كافة الوثائق الصادرة عن الدائرة ، والعمل على حوسبة جميع أعمال مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الأسري من خلال أنظمة الكترونية فعالة ذات استجابة سريعة لها مزية التعامل السلس .

المراجع :

1- إبراهيم مصطفى وآخرون ، (2004م) المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء

إدارية) ، وإخضاعهم لبرنامج تطوير المصلح والمرشد الأسري على يد خبراء ومتخصصين مؤهلين في مجال الإصلاح والإرشاد الأسري، والعمل على تبادل الخبرات بين الجمعيات والمراكز الأسرية من خلال الزيارات وورش العمل المشتركة فيما يتعلق بالإرشاد والإصلاح الأسري ، وإجراء ورش عمل شهرية للمصلحين والمرشدين لمناقشة بعض القضايا المستجدة ، وتبادل الخبرات، وتدعيم العلاقات بين المصلحين والمرشدين، وعقد لقاءات إيمانية دورية للمصلحين والمرشدين وتذكيرهم بالله وعظم المسئولية الملقاة عليهم.

2- يوصى الباحثان بإعداد دراسة علمية للخروج بإحصائيات دقيقة لنسب الإصلاح الأسري والطلاق في دائرة قاضي القضاة بالمملكة ، بالتنسيق بين مكاتب الإصلاح الأسري والمحاكم الشرعية ومأذوني عقود الزواج ، والعمل على تفعيل الشراكة مع الجامعات ومدارس التعليم العام والخاص؛ للقيام بتعريف الطلاب بدور عضو الاصلاح الأسري ، ومكاتب الاصلاح الخاصة بهذا العمل، وتفعيل دور الإعلام لتوعية المجتمع بمفهوم وأهمية ودور مكاتب الإصلاح والوساطة والتوفيق الاسري .

3-يوصى الباحثان بضرورة التوسع في افتتاح مكاتب الاصلاح الأسري سواء الرسمية منها، أو

8- علي حيدر ، درر الحكام شرح مجلة الأحكام ، تعريب المحامي فهمي الحسيني، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتب العلمية

9- العلواني، طه جابر ، (201م) سلسلة قضايا الفكر الاسلامي، كتاب أدب الاختلاف في الاسلام، ط1 بيروت، دار الهدى

10- العيني ، احمد،(1990م) البناية في شرح الهداية، ط2 ، بيروت، دار الفكر

11- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، (د.ت) لسان العرب ، (د.ط) بيروت ، دار صادر

12- دائرة قاضي القضاة ، مديرية الإصلاح والوساطة والتوفيق الاسري، الاردن، الموقع على الشبكة العنكبوتية www.sjd.gov.jo/Pages/viewpage.aspx?pageID=200

الـتراث، ط 4 ، مصـر ، كتبـة الشـروق الدولية

2- جلول دليلة، (2012م) الوساطة القضائية في القضايا المدنية والإدارية، ط1، الجزائر ، دار الهدى

3- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، (1995م) مختار الصحاح ، عنى بترتيبه محمود خاطر ، (د.ط) ، القاهرة، دار المعارف

4- الزحيلي، وهبه، (1997م) ، الفقه الاسلامي وادلته، ط4، دمشق، دار الفكر

5- القرطبي، أبو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق احمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة ، دار الكتب المصرية

6- الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب ،(2002م) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان ،ط3 ، دمشق ، دار القلم

7- ابن عابدين،(1979م) ، رد المحتار على الدر المختار، ط1 ، بيروت ، دار الفكر

Abdunasyr Abdisamatov; Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 262-276

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal

A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies "Islamic University of Minnesota /USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

البصمة الوراثية وأثرها في نفي حكم اللعان

Genetic imprinting and its impact on the denial of the rule of curse

الدكتور عبد الناصر عبد الصمدوف.

الإدارة الدينية في محافظة جلال آباد– قيرغيزستان

nasyr93@hotmail.com

Original Research Article

***Corresponding author**
Abdunasyr Abdisamatov

Article History
Received: 06.07.2023
Accepted: 10.08.2023
Published:.22.09.2023

ملخص الدراسة : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فهذه دراسة يتناول الباحث فيها تعريف البصمة الوراثية، وأثرها في كيفية نفي حكم اللعان، وأثر ذلك على المتلاعَن فيه، ذاكراً فيها اجتهادات الفقهاء في المسائل مع أدلتهم، ويبين الراجح من أقوالهم. وجاءت هذه الدراسة في مبحثين: أما المبحث الأول: فقد تناول الباحث فيه مفهوم البصمة الوراثية لغة واصطلاحاً، وفي المبحث الثاني: تناول الباحث فيه بيان كيفية اللعان، وأثر اللعان على المتلاعَن فيه، وفي المبحث الثالث: تناول الباحث فيه عن حكم نفي اللعان عن طريق البصمة، وآراء الفقهاء، والرأي الراجح. ومن أهم النتائج التي توصل الباحث بناءً على هذه الدراسة: أنه يجوز الاستغناء عن اللعان، والاكتفاء بنتيجة البصمة الوراثية، وأن العمل بالبصمة الوراثية موافق للعقل والحس. ويوصي الباحث على: ضرورة العمل على تنظيم المؤتمرات العلمية؛ وإفراد المسائل وبحثها؛ لمواكبة مسائل العصر، وكذلك: مواصلة الإنتاج العلمي في تأصيل المسائل، وتقعيدها؛ ليسهل على الباحثين البحث عن أمور جديدة. ثم ينهي الباحث دراسته بخاتمة مشتملة على نتائج البحث والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: البصمة، الوراثية، اللعان.

Summary:Praise be to God, prayer and peace be upon the Messenger of Allah and after: This is a study in which the researcher deals with the definition of genetic imprinting, and its impact on how to negate the ruling of li'aan, and its impact on the one who is li'aan in it, mentioning in it the jurisprudence of the jurists on issues with their evidence, and shows the most correct of their sayings. This study came in two sections: As for the first topic: the researcher dealt with the concept of genetic imprinting linguistically and idiomatically, and in the second topic: the researcher dealt with an explanation of how to curse, and the effect of curses on the one who curses him, and in the third topic: the researcher dealt with the ruling on denying curses through fingerprinting, the opinions of jurists, and the opinion most correct. Then the researcher finishes his study with a conclusion containing the results of the research and recommendations Among the most important results that the researcher reached based on this study: that it is permissible to dispense with li'an, and to be satisfied with the result of the genetic fingerprint, and that working with the genetic fingerprint is in accordance with the mind and sense. The researcher recommends: the need to work on organizing scientific conferences; single out issues and discuss them; to keep up with the issues of the times, as well as: continuing scientific production in the rooting of issues, and their bases; To make it easier for researchers to search for new things.

Keywords: imprinting, genetics, curse.

ويرجو من الله عز وجل أن يتقبله منه، ويجعله في ميزان حسناته، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

– صعوبات الدراسة:

– صعوبة جمع المعلومات، والوصول إلى الدراسات المتعلقة بالبحث؛ لعدم نشرها على المواقع الالكترونية بشكل متيسر.

– محددات الدراسة:

– بيان مفهوم البصمة الوراثية.

– معرفة الراجح من أقوال العلماء في ما بُحِثَ عنه في مسألة البحث، إذ تباينت آراء العلماء في ذلك.

– أسباب اختيار الموضوع:

– الحاجة المجتمعية – في قيرغيزستان – لبيان المسائل المبحوثة.

– محاول جمع الآراء في بحث واحد.

– أهمية الدراسة، ومشكلتها:

تتمثل مشكلة الدراسة وأهميتها فيما يلي:

– ما هو مفهوم البصمة الوراثية ؟

– ما هو حكم نفي اللعان عن طريق البصمة الوراثية ؟

– ما هي الأحكام المتعلقة بالولد الذي تلاعن فيه والداه ؟

– أهداف الدراسة:

– بيان مفهوم البصمة الوراثية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من ضمن المنظومة الفقهية التراثية: تلك القواعد والضوابط العلمية المأخوذة من نصوص الشارع الحكيم، والتي من خلالها يتم الحكم على مسائل جديدة، كالمسائل المعاصرة في زماننا.

ومن بين تلك القضايا: المسائل الطبية التي تتعلق بالأسرة بشكل مباشر – التي تتجدد يوماً بعد يوم – ومن بينها: البصمة الوراثية، والتي أحدثت قضايا فقهية في زماننا؛ كإثبات النسب، أو نفي حكم اللعان.

وقد اختلفت وجهات النظر بين المعاصرين حول تلك المسائل؛ لأسباب وطرق استدلال مختلفة أدت إلى اختلاف الحكم.

فيريد الباحث بيان معنى البصمة الوراثية في البحث لغة واصطلاحاً، وبيان الراجح من الأقوال بعد جمعها.

– خطة البحث:

قام الباحث بترتيب البحث وفق الخطة التالية:

المبحث الأول

مفهوم البصمة الوراثية لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: البصمة الوراثية لغة.

المطلب الثاني: البصمة الوراثية اصطلاحاً.

المبحث الثاني

بيان كيفية اللعان.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان كيفية اللعان.

المطلب الثاني: أثر اللعان على المتلاعَن فيه.

المبحث الثالث

حكم نفي اللعان عن طريق البصمة الوراثية شرعاً

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القائلون بعدم انتفاء حكم اللعان عن طريق البصمة الوراثية، وأدلتهم، ومناقشتها.

المطلب الثاني: القائلون بانتفاء حكم اللعان عن طريق البصمة الوراثية، وأدلتهم، ومناقشتها.

المطلب الثالث: القائلون بالتفصيل.

المطلب الرابع: الرأي الراجح.

الخاتمة: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم البصمة الوراثية لغة واصطلاحاً

– معرفة الراجح من الأقوال في مصير الولد المتلاعن فيه.

– جمع الآراء في موضع واحد.

– منهجية الدراسة:

– المنهج التحليلي في دراسة المسائل المتعلقة بالدراسة.

– المنهج الوصفي في توضيح المسائل.

– المنهج المقارن في معرفة أقوال العلماء في هذه الأقوال.

– المنهج الاستدلالي في معرفة الراجح من هذه الأقوال.

– الدراسات السابقة:

– البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية، الهلالي، سعد الدين، مكتبة وهبة للتوزيع، (ط2/2010م).

– المستجدات في طرق الإثبات، العمر، أيمن محمد، (ط 2003م)، أكاديمية القاسمي للتوزيع.

وهذه الدراسات وغيرها من الأبحاث الخاصة قد تناولت البصمة الوراثية وأثرها في نفي اللعان، إلا أنها لم تقم بجمع الآراء كلها في موضع واحد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: لم تقم الأبحاث المذكورة بدراسة المصطلحات من حيث التعريف اللغوي.

إنّ أول من استخدم هذا المصطلح من حيث العلم: هو عالم الوراثة (إليك جفري)، وأطلق عليها اسم (DNA) المعروفة بهذا الاسم، ضمن أبحاثه

لجينات الإنسان، عام (1985م) [7].

وقد عرفها الدكتور سعد الدين الهلالي: " العلامة أو الأثر الذي ينتقل من الآباء إلى الأبناء أو من الأصول إلى الفروع عن طريق المورثات أو الجينات الكامنة في الحيوان المنوي للأب وفي بويضة الأم" [8].

وعرفها الدكتور وهبة الزحيلي: " المادة الموروثة الموجودة في خلايا جميع الكائنات الحية "[9].

وقد عُرِّفت على أنها: " البنية الجينية نسبةً إلى الجينات، أي: المورثات التي تدل على هوية كل إنسان بعينه وأنها وسيلة تمتاز بالدقة "[10].

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: البصمة الوراثية لغة:

البصمة: أصل الكلمة من بَصَمَ، والبُصْمُ: فوت ما بين الخنصر والبنصر[1]، أي: المسافة بينهما، يُقال: مَا فارَقْتُك شِبْراً ولا فِتْراً ولا عَتَباً ولا رَتَباً ولا بُصْماً[2]، والبصمة: أثر الختم بالإصبع [3].

الوراثية: أصل الكلمة من وَرَثَ، وهو أن يكون الشيء لقوم ثُمَّ يَصِيرَ إلى آخَرِينَ بِنَسَبٍ أو سَبَبٍ[4]، وأورث الرجل ولده مالاً إيراثاً[5]، أي صار إليه بعد موته[6].

فالبصمة الوراثية لغة – كما يراها الباحث – : ما انتقل من علامة أو أكثر من الأصل إلى الفرع عن طريق التوارث، والله أعلم.

المطلب الثاني: البصمة الوراثية اصطلاحاً:

---

(7) ينظر: العمر، المستجدات في طرق الإثبات، ص370، نقلاً عن: سلامة، البصمة الوراثية، ص3، وغيره.

(8) ينظر: الهلالي، البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية، ص32.

(9) ينظر: الزحيلي، بحث: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، مقدم إلى: المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، 21–1422/10/26 هـ، ص5.

(10) ينظر: القرار السابع، البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، الدورة السادسة عشرة، المجمع الفقهي – مكة المكرمة، 21–1422/10/26 هـ.

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج50/2، الزبيدي، تاج العروس، ج290/3، إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسيط، ج80/1.

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج50/2.

(3) حيث أقر مجمع اللغة العربية لفظ البصمة بمعنى: أثر الختم بالإصبع، ينظر: إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسيط، ج80/1.

(4) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج105/6.

(5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج199/12.

(6) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج385/3.

- يؤمر الزوج بأربع شهادات أنه لمن الصادقين فيما رماه بها من الزنا، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.
- ثم تشهد المرأة أربع شهادات أنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

وأما الذي يكون لنفي الولد، فيكون أيضاً أمام القاضي، وذلك:

- أن يقوم الرجل أولاً بقذف زوجته.
- فإن أقرت بالزنا أقيم الحد عليها.
- وإن أنكرت وجب عليهما اللعان.

والرجل هو الذي يبدأ بالملاعنة؛ لما يلي:

- قوله تعالى: " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم ". (سورة النور: 6) [13].
- أن حضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – بدأ بالرجل في الملاعنة حين نزلت الآية[14].
- أن الزوجة هي تطابه؛ لأنه ألحق العار بها[15].

وعرفت أنّها: " البنية الجينية نسبةً إلى الجينات المورثات التفصيلية التي تدل على هوية كل فرد بعينه، وهي وسيلة لا تكاد تخطئ في التحقق من الوالديّة والتحقق من الشخصية "[11].

ما يلاحظ عليه في التعريفات السابقة:

- أن البصمة الوراثية تنتقل من الوالدين للأبناء عن طريق الجينات.
- أن البصمة الوراثية دقيقة.
- أن البصمة الوراثية لا تخطئ.
- أن البصمة الوراثية تدل على هوية كل إنسان بعينه، مما يدل على أنه لا يشترك اثنان في بصمة وراثية واحدة.

المبحث الثاني

بيان كيفية اللعان وأثره على المتلاعَن فيه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان كيفية اللعان.

اللعان له وظيفتان: إما لنفي الولد، أو لنفي الزنا، فالثاني يكون أمام القاضي، كما يلي[12]:

المذهب، ج54/5، ابن قدامة، المغني، ج48/8، البهوتي، كشاف القناع، ج390/5.

(13) ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ج238/3.

(14) ينظر: الماوردي، الحاوي الكبير، ج4/11.

(15) ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ج237/3، بتصرف.

(11) ينظر: ندوة الوراثة والهندسة الوراثية، الكويت، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية (ج1050/2).

(12) ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ج239/3، ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج130/4، ابن رشد، بداية المجتهد، ج133/3، القرافي، الذخيرة، ج286/4، الماوردي، الحاوي الكبير، ج44/11، الجويني، نهاية المطلب في دراية

وهل يمكن الاستغناء عن اللعان، والاكتفاء بالبصمة الوراثية في حالة أن البصمة الوراثية نفت نسب مولود لأب، فهل يكتفى بها لقطع النسب، أم لا بد من الملاعنة في ذلك؟ هذا ما سيجيب عنه المبحث القادم.

المبحث الثالث

حكم نفي اللعان عن طريق البصمة الوراثية شرعاً.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القائلون بعدم انتفاء حكم اللعان عن طريق البصمة الوراثية، وأدلتهم، ومناقشتها.

مفاد أصحاب هذا القول: أن النسب الثابت بالفراش لا ينتفي إلا باللعان فقط، ولا يجوز تقديم البصمة الوراثية على اللعان، سواءٌ في حالة إنكار الأب للابن، مع مخالفة البصمة لذلك، وسواءٌ أثبتت البصمة نسب الولد من أبيه، حيث لا تقدم البصمة، ولا بد من الملاعنة.

وهو قول لطائفة من الفقهاء المعاصرين، منهم: الدكتور علي القرة داغي[24]، والدكتور عبد

المطلب الثاني: أثر اللعان على المتلاعَن فيه.

اتفق الفقهاء من الحنفية[16]، والمالكية[17]، والشافعية[18]، والحنابلة[19] على أن: الرجل إذا قذف زوجته البالغة الحرة بالزنا أو نفى الحمل ولاعنها: لم يلحق الولد بنسبه، ولحق بنسب أمه.

واتفقوا أيضاً – الحنفية[20]، والمالكية[21]، والشافعية[22]، والحنابلة[23] – على أن: ولد اللعان لا توارث بينه وبين الملاعن، ويرث من أمه وترث منه.

هذا ملخص اللعان، لكن لو أحضرت الزوجة تقرير البصمة الوراثية – أمام القاضي – الذي ثبت فيه أن نسب الولد من أبيه، في حالة إنكار الأب لنسب الولد عنه، فهل ينفى النسب بناءً على ذلك ؟

---

(16) ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ج246/3، ابن نجيم، البحر الرائق، ج132/4.

(17) ينظر: ابن رشد، بداية المجتهد، ج136/3، القرافي، الذخيرة، ج285/4.

(18) ينظر: الماوردي، الحاوي الكبير، ج51/11، الجويني، نهاية المطلب في دراية المذهب، ج54/5.

(19) ينظر: ابن قدامة، المغني، ج68/8، البهوتي، كشاف القناع، ج402/5.

(20) ينظر: الموصلي، الاختيار، ج170/3.

(21) ينظر: ابن رشد، بداية المجتهد، ج136/3.

(22) ينظر: النووي، المجموع، ج390/17.

(23) ينظر: ابن قدامة، المغني، ج68/8.

(24) ينظر: القرة داغي، بحث: البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي – مقدم إلى: المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، 21–1422/10/26 هـ، ص36.

ويُردُّ عليه: أن ما كان مقطوعاً به حِسّاً لا يمكن أن يغفل عنه العقل في إثباته، فالبصمة الوراثية ليست زيادة على القرآن الكريم، بل هي من الأمور المحسوسة الثابتة.

2- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان عتبة بن أبي وقاص عهِد إلى أخيه سعد، أنّ ابن وليدة زمعة مني، فاقبضه إليك، فلما كان عام الفتح أخذه سعد، فقال: ابن أخي عهد إليَّ فيه، فقام إليه عبد بن زمعة، فقال: أخي وابن وليدة أبي، ولد على فراشه، فتساوقا[29] إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال سعد: يا رسول الله، ابن أخي قد كان عهد إليَّ فيه، فقال عبد بن زمعة: أخي وابن وليدة أبي، ولد على فراشه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش وللعاهر الحجر" ثم قال لسودة بنت زمعة: " احتجبي منه" لما رأى من شبهه بعتبة، فما رآها حتى لقي الله[30].

وجه الدلالة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر الشبه البيّن، وهو الذي يعتمد على الصفات الوراثية، وأبقى الحكم الأصلي، بقوله: " الولد

(29) أي: تلازما في الذهاب بحيث إن كلا منهما كان كالذي يسوق الآخر، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج12/36.

(30) متفق عليه، البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب الولد للفراش، ج8/153، واللفظ له، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الولد للفراش، ج2/180.

الستار فتح الله سعيد[25]، والدكتور محمد الأشقر[26]، والدكتور سعد العنزي[27]، بدليل:

1- قوله تعالى: " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم

فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين – والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين – ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين – والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين – ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم". (سورة النور: 6-10).

وجه الدلالة: أن الآية ذكرت أن الزوج إذا لم يملك الشهادة إلا نفسه فحينها يلجأ إلى اللعان، وإحداث البصمة هو إحداث زيادة على كتاب الله[28].

(25) ينظر: سعيد، بحث: البصمة الوراثية في ضوء الإسلام – مقدم إلى: المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، 21-1422/10/26 هـ، ص18.

(26) ينظر: الأشقر، بحث: إثبات النسب بالبصمة الوراثية – مقدم إلى: ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري، الكويت 13-1998/10/15م، ج1/496.

(27) ينظر: العنزي، بحث: البصمة الوراثية ومدى حجيتها في إثبات أو نفي النسب، مقدم إلى: ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري، الكويت 13-1998/10/15م، ج1/430.

(28) ينظر: القرة داغي، بحث: البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي ص37.

اللعان بين الزوجين، ولذلك ألغى رسول الله صلى الله عليه وسلم (دليل الشبه) بين الزاني والولد الملاعن عليه، ودليل الشبه الذي أهدره رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا يعتمد على الصفات الوراثية فهو أشبه بالبصمة الوراثية ومع ذلك لم يقوَ على معارضة الأصل الذي نزل به القرآن في إجراء اللعان" [34].

يُرد عليه: أن القرآن الكريم أمرنا بالعلم، والبصمة الوراثية من نتائج هذا العلم العقلي والمحسوس.

4- أن إبقاء حكم اللعان يتحقق فيه من المصلحة ما لا يتحقق بالبصمة الوراثية، فلو قدر أن تنكر الأب عن الحلف بعد أن ادعى على زوجته بالزنا، فإن هذا النكوص يعتبر لصالح الولد في بقاء نسبه من ذلك الأب، ولصالح بيت الزوجية ببقاء العلاقة بين الرجل وزوجته، وبذلك يتحقق الستر واتصال النسب [35].

يُرد عليه: أن تحقق المصلحة مظنونة؛ ليست بقطعية، فلا تقوى على نفي البصمة الوراثية، وحجية البصمة قد تكون الأقوى، وذلك في حال: إذا حلف الأب –كاذباً – الأب ولاعن.

للفراش " فلا ينفى النسب إلا باللعان فحسب [31].

يُردُّ عليه: أن النبي عليه الصلاة والسلام مع إثباته للحكم الأصلي، فإنه لم يمنع في الحديث غيره من الأدلة.

3- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث هلال بن أمية: " أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الأليتين، خدلج الساقين، فهو لشريك بن سحماء " فجاءت به كذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لو لا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن "[32].

وجه الدلالة[33]: أن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم للنتيجة لم يجعل ذلك سبباً لترك العمل باللعان.

ويزيد ذلك توضيحاً ما قاله الدكتور عبد الستار: " إذا نفى الزوج من زوجته ولداً على فراشه فلا يلتفت إلى قول القافة ولا تحليل البصمة الوراثية؛ لأن ذلك يعارض حكماً شرعياً مقرراً: وهو إجراء

(31) ينظر: سعيد، بحث: البصمة الوراثية في ضوء الإسلام، ص19.

(32) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب " ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين " (النور: 8) ، ج6/100، رقم (4747).

(33) ينظر: العمر، المستجدات في طرق الإثبات، ص383.

(34) ينظر: سعيد، بحث: البصمة الوراثية في ضوء الإسلام، ص19.

(35) ينظر: العمر، المستجدات في طرق الإثبات، ص383.

يكون اللعان، أما إذا كان مع الزوج بينة كالبصمة الوراثية تشهد لقوله أو تنفيه فليس هناك موجب للعان أصلاً لاختلال الشرط الموجود في الآية[40].

يُـردُّ عليـه: أن إحـداث البصـمة فيـه زيادة علـى القرآن الكريم من غير دليل، وتعيين البينة على أنّ منها البصمة زيادة – أيضاً – دون دليل.

2– قوله تعالى: " ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين – والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين – ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ". (سورة النور: 8–10).

وجه الدلالة: أن الآيات ذكرت درء العذاب، ولم تذكر نفي النسب، ولا تلازم بين اللعان ونفي النسب، فيمكن أن يلاعن الرجل ويدرأ عن نفسه العذاب، ولا يمنع أن ينسب إليه إذا ثبت ذلك بالبصمة الوراثية[41].

5– كيف يجوز إلغاء حكم شرعي بناءً على نظريات طبية مظنونة[36] ؟

يرد عليه: نسبية الظن في البصمة الوراثية تكاد لا تُذكر، فلو كان فيها احتمال هذا الظن المتصور، لما استخدمها الطب في هذا المجال.

المطلب الثاني: القائلون بانتفاء حكم اللعان عن طريق البصمة الوراثية، وأدلتهم، ومناقشتها.

مفاد قولهم: أنه يجوز الاستغناء عن اللعان، والاكتفاء بنتيجة البصمة الوراثية، وهو قول لبعض المعاصرين، كالدكتور وهبة الزحيلي[37]، والدكتور محمد المختار السلامي[38]، والدكتور عبد الله محمد عبد الله[39]، بدليل:

1– قوله تعالى: " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين "(سورة النور: 6).

وجه الدلالة: أن اللعان يكون عندما ينعدم الشهود، ولا يوجد شاهد إلا الزوج فقط، فحينئذ

(40) ينظر: السلامي، بحث: إثبات النسب بالبصمة الوراثية، ص405.

(41) ينظر: توجيه من الشيخ صديق الضرير، ضمن: مناقشات البصمة الوراثية – المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، 21–1422/10/26 هـ، ص594.

(36) ينظر: الأشقر، بحث: إثبات النسب بالبصمة الوراثية، ج496/1.

(37) ينظر: الزحيلي، بحث: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، ص6.

(38) ينظر: السلامي، بحث: إثبات النسب بالبصمة الوراثية، ص405.

(39) ينظر: عبد الله محمد عبد الله، ضمن: مناقشات ندوة الوراثة والهندسة الوراثية ص506.

وجه الدلالة[43]: إن ما تقدمه تقنية البصمة الوراثية من دقة في كشف الحقيقة ومعرفة الأب الحقيقي في نزاع النسب يفوق بدرجات كبيرة من الوسائل التقليدية الظنية.

يُردّ عليه: أن الشرع قد اعتنى بمسائل النسب، وبيّن الأحكام الإجرائية فيها، كالفراش وغير ذلك من الأدلة.

5- إن نتائج البصمة يقينية قطعية لكونها مبنية على الحس، وإذا أجرينا تحليل البصمة الوراثية وثبت أن الطفل من الزوج وأراد أن ينفيه، فكيف نقطع النسب ونكذب الحس والواقع، ونخالف العقل، ولا يمكن البتة أن يتعارض الشارع الحكيم مع العقل السليم في مثل هذه المسائل المعقولة المعنى وهي ليست تعبدية، فإنكار الزوج وطلب اللعان بعد ظهور النتيجة نوع من المكابرة[44].

6- أن الشارع يتشوّف إلى إثبات النسب رعاية لحق الصغير ومخالفة البصمة لقول الزوج في النفي يتنافى مع أصل من أصول الشريعة في حفظ الأنساب، وإنفاذ اللعان مع مخالفة البصمة لقول الزوج مع خراب الذمم عند بعض الناس في هذا

يرد عليه: أن استدلالهم يصح في حال التسليم بحجية البصمة الوراثية، لكنها محل خلاف، فلا يصح الاستدلال بها.

3- قوله تعالى: أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم " (سورة الأحزاب: **4**).

وجه الدلالة: أن قوله تعالى: أدعوهم لآبائهم هو أمر من الله بأن ينسب الولد لأبيه الحقيقي (الأب البيلوجي) فهو الصواب والحقيقة " فإن لم تعلموا آباءهم " معناه أنه تعالى يحث على البحث والتحري عن الأب الحقيقي، والبحث يكون بمختلف الوسائل والقرائن وقد كشف الله سر الوسيلة " البصمة الوراثية " التي يمكن لنا نحن البشر التعرف على الأب الحقيقي وتنفيذ ما أمر الله به " أدعوهم لآبائهم "[42].

يُرد عليه: أن هذا الأمر – البصمة الوراثية – من صنع البشر، وما أمره تعالى مقدم عليه، خاصة إن كان مما يقبل الشك والظن.

4- قوله تعالى: " إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب " (سورة البقرة: **159**).

(43) المرجع السابق.

(44) ينظر: فريد، بحث: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، مقدم إلى: المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، 21-1422/10/26 هـ، ص30.

(42) ينظر: الخياط، بحث: تقنيات البصمة الوراثية، مقدم إلى: ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري، الكويت 13-1998/10/15م، ج1519/4.

المطلب الرابع: الرأي الراجح.

يرى الباحث أن القول الراجح هو الثاني: أنه يجوز الاستغناء عن اللعان، والاكتفاء بنتيجة البصمة الوراثية، لما يلي:

- أن استدلالاتهم وأدلتهم مبنية في أصل الموضوع.
- أن قولهم أكثر ضبطاً ودقة من غيره؛ لتقدم العلوم بشتى أنواعها.
- أن ما أثبته الحس قطعاً يطمئن الإنسان عليه أكثر من غيره.
- أن قولهم قاطع للخلاف بين الأزواج، فقد يُقدِمُ الزوج على الملاعنة، والحلف دون أن يخاف من الله تعالى.

حيث إن دعوى الزوج تُرد إذا أثبتت نتائج البصمة الوراثية لحوق اللعان، لأن قوله مخالف للعقل والحس، وليس ذلك من باب تقديمه على اللعان.

والله تعالى أعلم.

الزمان وتعدد حالات باعث كيد الزوجة يوجب عدم نفي نسب الطفل إحقاقاً للحق وباعثاً لاستقرارالأوضاع الصحيحة في المجتمع[45].

يُردُّ عليه: أن هذا في حال التسليم بصحة البصمة الوراثية في إثبات أو نفي النسب، ودون ذلك فهو محل النزاع.

المطلب الثالث: القائلون بالتفصيل.

اتخذ أصحاب هذا القول: منهجاً وسطاً، بعد عرضهم ومناقشتهم لأدلة المجيزين والمانعين في أبحاثهم.

حيث قالوا: إذا ثبت يقيناً بالبصمة الوراثية أن الحمل أو الولد ليس من الزوج فلا وجه لإجراء اللعان، وينفى النسب بذلك.

لكن: يحق للزوجة أن تطلب اللعان لنفي الحد عنه لاحتمال أن يكون حملها بسبب وطء بشبهة، وإذا ثبت عن طريق البصمة الوراثية أن الولد من الزوج وجب عليه حد القذف الشرعي.

وذهب إلى هذا القول ومفهومه بعض من العلماء المعاصرين، منهم: الدكتور سعد الدين الهلالي[46]، والدكتور عباس الباز[47].

(46) ينظر: الهلالي، البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية، ص32.

(47) ينظر: الباز، بحث: بصمات غير الأصابع وحجيتها في الإثبات والقضاء، مقدم إلى: مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، تاريخ: 2002/7/5م، جامعة الإمارات العربية المتحدة، الإمارات، ص787.

(45) ينظر: فريد، بحث: البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها، مقدم إلى: المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، 21-1422/10/26 هـ، ص30.

– مواصلة الإنتاج العلمي في تأصيل المسائل، وتقعيدها؛ ليسهل على الباحثين البحث عن أمور جديدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

– قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم.

– كتب السنة:

– البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، (ط1/1422هـ)، دار طوق النجاة.

– النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

– كتب شروح السنة:

– العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (1379 هـ)، دار المعرفة، بيروت.

– الكتب الفقهية:

– البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين، كشاف القناع عن متن الإقناع، (ت: 1051هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

الخاتمة في النتائج، والتوصيات.

– النتائج:

– البصمة الوراثية لغة: ما انتقل من علامة أو أكثر من الأصل إلى الفرع عن طريق التوارث.

– أن البصمة الوراثية لها مزايا، منها: أنها تنتقل من الوالدين للأبناء عن طريق الجينات الوراثية، وأنها دقيقة فلا تخطئ، وأنها تدل على هوية كل إنسان بعينه، فلا يشترك اثنان في بصمة وراثية واحدة.

– بناءً على هذه الدراسة: يجوز الاستغناء عن اللعان، والاكتفاء بنتيجة البصمة الوراثية، لوجود الأدلة.

– العمل بالبصمة الوراثية ليس من باب تقديمها على اللعان، بل لأنها غير مخالفة للعقل والحس.

– التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

– ضرورة العمل على تنظيم المؤتمرات العلمية؛ وإفراد المسائل وبحثها؛ لمواكبة مسائل العصر.

– ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، (ط2)، دار الكتاب الإسلامي.

– النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت: 676 هـ)، المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي، دار الفكر، بيروت.

– كتب اللغة:

– إبراهيم أنيس، وغيره، المعجم الوسيط، طبعه: حسن عطية وغيره.

– الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.

– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (ط1414/3هـ)، دار صادر، بيروت.

– الكتب المعاصرة:

– العمر، أيمن محمد، المستجدات في طرق الإثبات، (ط 2003م)، أكاديمية القاسمي للتوزيع.

– الهلالي، سعد الدين، البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية، مكتبة وهبة للنشر، (ط2010/2م).

– الأبحاث:

– الأبحاث المقدمة إلى ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني

– الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، نهاية المطلب في دراية المذهب، (ط2007/1م)، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، دار المنهاج للتوزيع، السعودية.

– ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (2004م)، دار الحديث، القاهرة.

– ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، (1968م)، مكتبة القاهرة، مصر.

– القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، الذخيرة، (ط1994/1م)، دار الغرب الإسلام، بيروت.

– الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد، (ت: 587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (ط1986/2م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

– الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب، (ت: 450هـ)، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد معوض، وغيره، (ط1999/1م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

– الموصلي عبد الله بن محمود بن مودود (ت: 683 هـ)، الاختيار لتعليل المختار، (1937م)، مطبعة الحلبي، القاهرة.

– بحث مقدم إلى مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، 2002/7/5م، جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية الشريعة والقانون:

– الدكتور عباس الباز، بصمات غير الأصابع وحجيتها في الإثبات والقضاء.

– رؤية إسلامية – المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية – المنعقدة في الكويت 13–15 / 10 / 1998م:

– الدكتور محمد سليمان الأشقر، إثبات النسب بالبصمة الوراثية.

– الدكتور سعد العنزي، البصمة الوراثية ومدى حجيتها في إثبات أو نفي النسب.

– الدكتور عبد القادر الخياط، تقنيات البصمة الوراثية.

– الدكتور محمد المختار السلامي، إثبات النسب بالبصمة الوراثية.

– الأبحاث المقدمة إلى المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، 21–1422/10/26 هـ:

– الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي، البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها.

– الدكتور علي محي الدين القرة داغي، البصمة الوراثية من منظور الفقه الإسلامي.

– الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، البصمة الوراثية في ضوء الإسلام.

– نصر فريد واصل، البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها.

Zaynab Alsiri Muhamad Euthman; **Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal.; Vol-4, Iss-12 (July-September, 2023): 277-296**

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal

A Publication by "Deanship of Scientific Research and Graduate Studies" Islamic University of Minnesota /USA

ISSN: 2691-2619 (Print)
ISSN: 2691-2627 (Online)

فقه النوازل في تحديد سن الزواج

زينب السر محمد عثمان

استاذ مساعد/ كلية الدعوة الإسلامية _جامعة أم درمان الإسلامية / السودان

Original Research Article

***Corresponding author**
Zaynab Alsiri Muhamad Euthman

Article History
Received: 14.07.2023
Accepted: 20.08.2023
Published:.28.09.2023

مستخلص البحث

جاء هذا البحث بعنوان : (فقه النوازل في تحديد سن الزواج)

من رحمة الله تعالى بالخلق أن أكرمهم بهذه الرسالة المحمدية: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ 1))

فارسل الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم – رحمة للعالمين جميعاً ، ومن مقتضيات هذه الرحمة تحقيق مصالح العباد في الدنيا و الأخرة – فلا نكاد نجد مصلحة إلا دل الشارع عليها ولا نكاد نجد مضرة إلا نهى الشارع عنها و حذر منها، و قد جعل الله تعالى هذه الشريعة كاملة – قال تعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا 1)

وهذه الشريعة الكاملة استوعبت جميع ما يحتاج إليه البشر قد تكفل الله تعالى بحفظها ، تكفل الله بحفظ القرآن فقال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))1

و في الحديث قوله صلى الله عليه و سلم: ((اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقا))1

فقه النوازل هو علم شرعي يقصد به معرفة الحوادث التي تحتاج الى حكم شرعي – و هي عبارة عن مؤلفات فقهيه حرر مادتها العلمية قضاة او مفتون في موضوع أحداث واقعية رفعت إليهم للبت فيها أو لبيان الحكم الشرعي فيها.

إنّ موضوع الزواج له أهمية خاصة عند المسلمين لأن الانحراف في علاقة الرجل بالمرأة يترتب عليه انحراف في المجتمع لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع .

احتوى البحث على ثلاثة مباحث ، جاء المبحث الأول متحدثا عن مفهوم فقه النوازل وأهميته ، وتناول المبحث الثاني مفهوم الزواج وأهميته ، وتناول المبحث الثالث فقه النوازل في نازلة تحديد سن الزواج ، وجاء فيه الترغيب في الزواج من خلال الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، وحثت على الترغيب فيه، لأن الزواج أساس المجتمع إذ انّ من مصالح الزواج غض البصر وحفظ الفرج .

وتناول المبحث الأخير أقوال الفقهاء في تحديد سن الزواج ، والذي ظهر من خلال البحث أنهّ أنه لا يوجد في الشريعة الإسلامية تحديدا لسن الزواج وبينت الشريعة الإسلامية بان الشرط في الزواج هو النضج الجسدي والعقلي ، وبالتالي فإنّ العمر متغير لكل فرد .

ومن النتائج التي خرج بها البحث :

أولا: صلاح الشريعة لكل زمام ومكان .

ثانيا: عناية الإسلام الشاملة بالأسرة في جميع مراحلها .

ومن توصيات البحث :

أولا : ضرورة التصدي للدعوات الهدامة ، التي تطلب تحديدا لسن الزواج .

ثانيا لا تحديد لسن الزواج في الإسلام ,

ثالثا : على ولاة الأمور مراعاة المصلحة في زواج أبنائهم .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

بسم الله الرحمن الرحيم

الإطار المنهجي للدراسة :

إن موضوع الزواج له أهمية خاصة عند المسلمين لأن الانحراف في علاقة الرجل بالمرأة يترتب عليه انحراف في المجتمع لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع و كان من أهداف الإسلام أن يبني مجتمعاً قوياً مترابطاً يعيش أفراده سعداء فقد عني بشؤن الأسرة التي تبدأ بالزواج فوضع الأسس التي تبدأ بالزواج موضع الأسس التي يقوم عليها و أوجب على كل الأفراد في الأسرة مجموعة من الحقوق و الواجبات .

أسباب اختيار الموضوع:

1)اولاُ: معالجة فقه النزول لتحديد سن الزواج.

2)ثانياً: معرفة الحوادث التي تحتاج الى حكم شرعي.

3)ثالثاً: الجدل الكبير الذي ظهر في هذا الوقت لتحديد سن الزواج.

الاهداف:

1/إلغاء الضوء على نازلة تحديد سن الزواج وحكم الشرع فيه.

2/بيان آراء الفقهاء في تحديد سن الزواج.

أهمية الموضوع :

1/توفر أسباب دراسة فقه النوازل في العصر الحاضر.

2/ إنارة السبيل أمام الناس بإيضاح حكم النازلة حتى يعبدوا الله على بصيرة وهدى.

3/الحرص على تأدية الأمانة التي حملها العلماء

مشكلة البحث:

1/ تتلخص مشكلة البحث في الاتي:

2/ ماحكم الشرع في زواج الصغيرة ؟

3/ ماحكم الشرع في تحديد سن الزواج ؟

الدراسات السابقة :-

تطرقت الباحثة لدراستين قريبة من موضوع البحث :-

الدراسة الأولى بعنوان :-

تحديد سن الزواج في الإتفاقيات الدولية وموقف الشرع منه، بحث منشور بمجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية _العدد 79_ للباحثة د/ منيرة محمد الحديثي. بينت الدراسة حكم زواج الصغيرة في الشرع، وحكم منع الإتفاقيات الدولية له حتى مع حاجتها للزواج سواء من الناحية الإجتماعية أو المادية أو النفسية ،كما القت الدراسة الضوء على قضية سن الزواج المناسب للفتاة ، ومقارنته مع بنود الإتفاقيات الدولية ، وبينت هدف الإتفاقيات الدولية في معظم بنودها، ومصادمتها للشريعة الإسلامية ، ودعت لضرورة التصدي لهذه الدعوات .

الدراسة الثانية بعنوان :-

تحديد الزواج بسن فوق البلوغ ، الربعي عبد الله بن محمد بن صالح" دراسة فقهية _ مجلة العلوم الشرعية _ جامعة القصيم ".

تعرضت الدراسةلمنشأ تحديد سن الزواج بسن فوق البلوغ وبسطت أرآء الفقهاء المعاصرين لحكم إصدار قانون بهذا وآثاره ، كما بسطت أدلة القوانين وما يتوجه إليها من مناقشات وأجوبة ، وخلصت الدراسة إلى ترجيح التحريم بأدلة منها:-

1/ أن القول بتحديد سن الزواج قول محدث ولم يقل بمثله أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من بعدهم ، وأن النصوص الشرعية تحث على الزواج وترغب فيه .

2/ أن المصلحة في تحديد سن الزواج زعم مردود، بل هو مفتاح شيوع الزنا ،وهو من المكائد للمجتمع المسلم.

الفرق بين هذه الدراسة وغيرها من الدراسات ذات الصلة بالموضوع أنها تناولت تحديد سن الزواج بإعتباره نازلة فقهية ،بينت آراء الفقهاء ، وخلصت الدراسة إلى ضرورة التصدي للدعوات التي تطالب بتحديد سن الزواج، كما بينت صلاح الشريعة

الإسلامية لكل زمان ومكان ، وفي هذا رد على دعاوي العلمانية في عدم صلاحية الشريعة الإسلامية لمستجات العصر .

ومن النتائج التي خلصت لها الدراسة :-

1/ أن الفتوى في النوازل الفقهية مسألة عظيمة لابد للعلماء والفقهاء من الإحاطة بمعظم قواعد الشريعة الإسلامية، والعمل بالقرآن الكريم والسنة النبوية و أقوال السلف الصالح .

2/ لا تحديد لسن الزواج في الإسلام.

منهج البحث:

ستستخدم الباحثة المنهج الوصفي التحليلي

هيكل البحث:

المبحث الأول: مفهوم فقه النوازل وأهميته

المطلب الأول: مفهوم فقه النوازل

المطلب الثاني: أهميه فقه النوازل

المبحث الثاني: مفهوم الزواج و أهميته

المطلب الأول: مفهوم الزواج

المطلب الثاني: أهمية الزواج

المبحث الثالث: الفقه في نازلة تحديد سن الزواج

المطلب الأول : الترغيب في الزواج من خلال القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة

المطلب الثاني : زواج النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث : راي الفقهاء في تحديد سن الزواج .

الخاتمة : تشمل النتائج والتوصيات

المبحث الأول : المبحث الأول: مفهوم فقه النوازل وأهميته :

المطلب الأول : مفهوم فقه النوازل :

والنازِلة:. الشَّدِيدَةُ تنزِل بِالْقَوْمِ، وَجَمْعُهَا النَّوَازِل. الْمُحْكَمُ: والنَّازِلَة الشدَّة مِنْ شَدَائِدِ الدَّهْرِ تَنْزِلُ بِالنَّاسِ، يُقَالُ تَنَزَّلَت الرَّحْمَةُ. الْمُحْكَمُ: نَزَلَتْ عليهم الرحمة ونَزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ كِلاهما عَلَى المثل. ونَزَلَ بِهِ الأَمر: حلّ [1] .

أما في الاصطلاح: فهي الحادثة المستجدة التي تحتاج إلى حكم شرعي [2].

الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة المشهورة بلسان العصر باسم: النظريات، والظواهر[3]

الفقه :– هو العلم بالشيء و الفهم ، و الفطنة ، و غلب على علم الدين لسيادته ،و شرفه ، و فضله على سائر انواع العلوم [4] .

و الفقه في الأصل : الفهم ، يقال: أوتى فلانا فقهاً في الدين : أي فهما فيه [5]قال تعالى ((ليتفقهوا في الدين))[6] وقال تعالى ((قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول))[7]

يقال فقه الرجل يفقه فقهاً: اذا علم و فهم ، و فقه : اذا صار فقيها عالما .

---

[1] / محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (المتوفى: 711هـ) ، لسان العرب دار صادر – بيروت 1414 هـ ن ج11ص 659

[2] / خالد بن علي بن محمد بن حمود بن علي المشيقح ، فقه النوازل في العبادات ص 2 بلا تاريخ المكتبة الشاملة

[3] / بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى : 1429هـ)، مؤسسة الرسالة ،ط1 – 1416 هـ ، 1996 م ج1 هامش ص9 المكتبة الشاملة ، موافق للمطبوع.

[4] انظر لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور 522/13 مادة ((فقه)) و القاموس المحيط للفيروزابادي /ص1614

[5] انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة ((فقه)) 522/12

[6] سورة التوبة الآية (22)

[7] سورة هود الآية (91)

الفقه اصطلاحا له عدة تعريفات يفسر بعضها بعضا و منها العلم الحاصل بجملة من الاحكام الشرعية الفرعية ، بالنظر و الاستدلال[8]

.

المطلب الثاني :

أهمية فقه النوازل :

لفقه النوازل أهمية كبرى و هي إنارة السبيل امام الناس بإيضاح حكم هذه النازلة حتى يعبدوا الله على بصيرة وهدى ونور، في منهج إسلامي واضح فلو ترك أهل الحل و العقد وهم المجتهدون – التصدي لتلك النوازل دون إيضاح لأحكامها لصار الناس في تخبط ثم استفتوا من لا يصل إلى مرتبة الاجتهاد وهذا يفتي بغير علم فيضل ويُضل، وعلى هذا الأساس فلا بد من طرق هذا الباب و الاستعانة بالله .

كذلك من أهمية فقه النوازل بيان كمال الشريعة الاسلامية وصلاحها لكل زمان ومكان في هذا يقول: الله تعالى ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) سورة المائدة الآية (3). وفي هذا رد على دعاوى العلمانية .

ومن الأهمية أيضا كسب الأجر والمثوبة من الله عز وجلّ فإنّ الدارس " للنازلة " المتجرد الذي يريد أن يصل إلى حكمها الشرعي إذا بذل جهده ووصل إلى حكم فله أجران وإن أخطأ فله أجر ومن الأهمية الحرص على تأدية الأمانة التي حملها الله العلماء.[9]

وسد حاجة الأمة اليه لملامسة حياة الناس وواقعهم.

وكذلك انقاذ الأمة من الإثم إذ أن المعرفة والبيان لأحكام النوازل فرض كفائي إذا قام به من يكفي سقط عن سائر الأمة وإلا أثمت الأمة باسرها.

---

[8] سيف الدين على بن محمد الآمدي ، الحكام في اصول الاحكام 6/1 تعليق العلامة عبدالرزاق عفيفي

[9] فقه النوازل <ar.mwikipedia.org>wiki

ومن الأهمية قطع الطريق على المطالبين بتحكيم القوانين البشرية الأرضية وتنحية الشريعة السماوية10 وهنالك عدة نقاط تبين أهمية فقه النوازل منها:

البحث فيها يبرهن على صدق الإسلام و خلوده وصلاحيته للقيادة و الريادة في هذه الحياة .

بيان ما يمتاز به الفقه الإسلامي عن غيره من التشريعات البشرية .

إنّ النوازل الفقهية تتصف بصفة النوازل الواقعية التي تعرض لنا صوراً من المجتمع الذي وقعت فيه تلك النوازل من الناحية الفكرية والاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و التاريخية.

الأثر العلمي الذي تخلقه هذه الإجابات لأنها تحفظ لنا مسائل و اجتهادات العلماء بنصها لتكون سجلاً للفتوى و القضاء.11

الاستجابة لأمر الله وأمر رسول – صلى الله عليه وسلم – فإن دراسة هذه النوازل من تبليغ العلم والعمل به.

وتبليغ العلم أمر الله به وأمر به رسوله – صلى الله عليه وسلم – في سنته, فقال الله – عز وجل –: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً} 12.

و التعبد لله عز وجل بدراسة هذه النوازل ن لأن دراستها هذه من تعلم العلم وتعليمه، والعلم من أفضل العبادات وأجل القربات فالتصدي لمثل هذه النوازل هذا عبادة لله عز وجل يؤجر عليها الإنسان

منح المتصدي لدراسة هذه النوازل إلى ملكة فقهية[13].

المبحث الثاني :

---

[10] / عامر محمد فداء بن محمد بن عبد المعطي بهجت ، تعامل الائمة والخطباء مع فقه النوازل ، ص 9 .

[11] د. عبد الحق احمد حميش– مدخل الى فقه النوازل – د ت – د ط ص15

[12] / سورة طه الآية 114.

[13] / خالد بن علي بن محمد بن حمود بن علي المشيقح، فقه النوازل في العبادات[الكتاب مرقم آليا]

المطلب الأول :مفهوم الزواج وأهميته

اولاً : تعريف الزواج لغة :–

زواجه، مزاوجة، وزواجاً. خالطه.– و بينهما ، قرن ، ((زوج)) الأشياء تزويجهاً، وزواجاً: قرن بعضها ببعض وفلاناً زوج امرأة، وبها : جعله يتزوجها .

((وتزوج)) أمرته و بها : اتخذها زوجة .14

وجاء في القاموس المحيط 15الزوج . البعل ، و الزوجة و خلاف الفرد، ويقال للاثنين ، هما زوجان و هما زوج وزوجته ، أمرة مزوج كثيرة التزوج و كثيرة الزوجة ، أي الأزواج {كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54}))16 .قرناهم . و الأزواج القرناء.

ثانياً: تعريف الزواج اصطلاحا :

و النكاح لغة الضم و الجمع أو عبارة عن الوطء .

و العقد جميعاً و هو في الشرع عقد التزويج ، و الزواج شرعاً عقد يتضمن إباحة الاستمتاع بالمرأة بالوطء و الماشرة و التقبيل و الضم و غير ذألك .إذا كانت المرأة غير محرم بنسب او رضاع أو صهر .

أو هو عقد و صفة الشارع ليفيد ملك استمتاع الرجل بالمرأة و حل استمتاع المرأة بالرجل. أي أن أثر هذا العقد بالنسبة يقيد الملك الخاص به فلا يحل لأحد غيره وأما أثره للمرأة فهو حل الاستمتاع لا الملك الخاص بها وإنما يجوز أن تعدد الزوجات جائز شرعاً . وعرفة الحنفية بقولهم : عقد يقيد ملك المتعة قصداً أي حل استمتاع الرجل من إمراه ، لم يمنع من نكاحها مانع شري بالقصد المباشر17.

المطلب الثاني : أهمية الزواج :

---

[14] مجمع اللغة العربية – المعجم الوجيز – طبعة خاصة بوزارة التربية و التعليم سنه 1426هـ – 2005م – ص 295:

[15] سورة الدخان الآية (54)

[16] القاموس المحيط – العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي– المحقق ابو الوفاء نصر الهورين – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط2 – 2007 – ص :218 .

[17] الفقه الإسلامي و أدلته – أ.د. وهبة الزحيلي – دار الفكر – سوريا– دمشق ط4 –ج9 – ص23 .

من أهمية الزواج إعفاف المرء نفسه و زوجه عن الوقوع في الحرام ، و حفظ النوع الإنساني من الزوال و الانقراض ، بالإنجاب و بقاء النسل و حفظ النسب ، و إقامة الأسرة التي بها يتم تنظيم المجتمع ، و ايجاد التعاون بين أفرادها فمن المعروف أن الزواج تعاون بين الزوجين لتحمل أعباء الحياة وعقد مودة و تعاضد بين الجماعات ، و تقوية روابط الأمر و به يتم الاستعانة على المصالح [18].

و يمكن حصر أهميه الزواج في النقاط الآتية :-

1- يتوفر في الزواج سبب من أكبر أسباب العفة و حفظ الفرج عن الحرام .

2- جعل الله تعالى المودة و الرحمة بين الزوجين فتحصل السكينة و الاطمئنان لكل من الزوجين بصاحبه .

3- تكاثر الأمة الإسلامية لذى رغب فيه الرسول صلى الله علية و سلم حين قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ((تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة[19])) .

4- قيام كل من الزوجين بوظيفته التي تلائم طبيعته كما جعلها الله سبحانه و تعالى حين جعل مسئولية الانفاق على الرجل و جعل الانجاب على المرأة و التربية و الرعاية في الأسرة على المرأة[20].

5- وهي الأسلوب الزي اختاره الله للتوالد والتكاثر، واستمرار الحياة، بعد أن أعد كلا الزوجين وهيأهما ، بحيث يقوم كل منهما بدور إيجابي في تحقيق هذه

---

[18]

[19] / أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، في سننه ، كتاب النكاح ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، حديث رقم 2050 ، ج2،ص 220 ضمن حديث طويل ، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع . .

[20] دين الحق ، عبد الحمن بن حماد آل عمر ،ط6 – 1420– وزارة الشئون الإسلامية و الأوقاف والدعوة و الارشاد – المملكة العربية السعودية ، ص 118 .

الغاية: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) } 21 .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) 22.

6- ولم يشأ الله أن يجعل الانسان كغيره من العوالم، فيدع غرائزه تنطلق دون وعي، ويترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له.

بل وضع النظام الملائم لسيادته، والذي من شأنه أن يحفظ شرفه، ويصون كرامته فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالا كريما، مبنيا على رضاهما. وعلى إيجاب وقبول، كمظهرين لهذا الرضا. وعلى إشهاد، على أن كلا منهما قد أصبح للآخر. وبهذا وضع للغريزة سبيلها المأمونة، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة عن أن تكون كلٌ مباحا لكل راتع.

7- ووضع نواة الأسرة التي تحوطها غريزة الأمومة وترعاها عاطفة الابوة.

فتنبت نباتا حسنا، وتثمر ثمارها اليانعة 23.

المبحث الثالث : الفقه في نازلة تحديد سن الزواج :

المطلب الأول :الترغيب في الزواج من خلال القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة :

الزواج أساس المجتمع و هو مسؤولية اجتماعية مشتركة بين أفراد المجتمع و قد رغب القرآن الكريم في الزواج في قوله: تعالى ((وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) 24 .

فإن كان الشخص قادرا على الزواج صحيا وماليا، فالله تعالى يأمر الأولياء بالتزويج، تحقيقا للعفة والستر والصلاح، فإن الزواج طريق التعفف.

---

21 / سورة الحجرات الآية 13

22 / سورة النساء الآية 1

23 / سيد سابق (المتوفى: 1420هـ) ،دار الكتاب العربي، بيروت – لبنانط3، 1397 هـ – 1977 م ، ج2 ص 8.[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

24 / سورة النور الآية 32.

والصحيح أن الخطاب للأولياء، لذا قال أكثر العلماء: في الآية دليل على أن المرأة ليس لها أن تزوج نفسها بغير ولي.

وقال أبو حنيفة: إذا زوجت المرأة نفسها ثيبا كانت أو بكرا بغير ولي من كفء لها جاز.

وحكم الزواج يختلف باختلاف حال الإنسان من خوف الوقوع في الزنى ومن عدم صبره، ومن قوته على الصبر وزوال خشية الزنى، فإن خاف الهلاك في الدّين أو الدنيا أو فيهما فالزواج حتما فرض، وإن لم يخش شيئا وكانت الحال معتدلة، فقال الشافعي: الزواج مباح، وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد: هو مستحب. دليل الرأي الأول: أن الزواج قضاء لذة .

ونهى الحق تعالى عن الامتناع عن التزويج بسبب فقر الرجل والمرأة، ووعد بالغنى للمتزوجين الطالبين رضا الله والاعتصام من معاصيه، في قوله تعالى : (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ). فإن وجد متزوج لا يستغني، فلا يخل بمعنى الآية، إذ لا يلزم من هذا دوام الغنى واستمراره، بل لو كان في لحظة واحدة لصدق الوعد، فالمال غاد ورائح، أو أن الغنى مرتبط بمشيئة الله تعالى، ويكون معنى الآية: يغنيهم الله من فضله

وأما إن كان الشخص عاجزا عن تكاليف الزواج، فالله يأمره بالاجتهاد في التعفف، فقال:(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ ...) الخطاب لمن يملك أمر نفسه، لا لمن زمامه بيد غيره، فإنه يقوده إلى ما يراه، كالمحجور عليه.

والاستعفاف: طلب أن يكون عفيفا، والله يأمر بهذه الآية كل من تعذّر عليه النكاح ولا يجده بأي وجه أن يستعفف.

ولما كان أغلب الموانع عن الزواج عدم المال وعد تعالى بالإغناء من فضله

أما مكاتبة الأرقاء من عبيد وإماء فهي أمر مستحب شرعا لأن الشرع يتشوف إلى تحرير الأنفس البشرية، وإذا تحرر الإنسان ملك نفسه، واستقل وكسب وتزوج إذا أراد، فيكون الزواج أعف له. والكتابة: عقد بين السيد وعبده، وهي في الشرع: أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه منجّما عليه (مقسطا) فإذا أدّاه فهو حرّ[25]

[25] / د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر – دمشق

وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزواج وقال :«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» 26.

ويعين الله الرجل إذا تزوج يبتغي بزواجه العفة وإحصان نفسه فقال صلى الله علية وسلم : ((ثلاث حق على الله عونهم ،المكاتب الذي يريد الأداء و الناكح الذي يريد العفاف و المجاهد في سبيل الله))27

وقال تعالى ((فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا))28 .

وإن الزواج على من قدر على مؤنته ،وخاف علي نفسه من الوقوع في الحرام ،ومسنون لمن قدر عليه ولم يخشى الفتن .

ومن مصالح الزواج غض البصر و حفظ الفرج لقوله صلى الله علية وسلم :– ((اغضى للبصر وأحصن للفرج)) .

،الطبعة : الثانية ، 1418 هـ ، ج18 ص 239 وما بعدها .

[26] / متفق عليه ، واللفظ لمسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) صحيح مسلم ، ت ،محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ، المكتبة الشاملة ، موافق للمطبوع أخرجه في كتاب النكاح باب بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، ج2 ص1018 حديث رقم 1400 صحيح مسلم .

[27] / أخرجه الترمذي في سننه ت ، أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط2، 1395 هـ – 1975 م، في أبواب فضائل الجهاد ، باب سنن الترمذي ت شاكرج4/ 184 بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُجَاهِدِ وَالنَّاكِحِ وَالْمُكَاتَبِ وَعَوْنِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ

[28] / سورة النساء الآية 3.

المطلب الثاني : زواج النبي صلى الله عليه وسلم :

زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زوجاته رضي الله عنهن فيه الكثير من الحكم التشريعية و التعليمية و الدعوية فقد حرص في بعضها صلوات الله وسلامة عليه على توثيق الرابطة بين المسلمين وبعض القبائل رغبة في حوار عنهم وطمعاً في إسلامهم كما حدث عندما تزوج بجويرية بنت الحارث وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان وصفية بنت بن حيي بن أخطب مثل أم سلمة وهدف في بعضها الآخر تكريم الشهداء الذين ماتوا في سبيل الله و وتركوا أرامل لا يقدرون على تحمل متاعب الحياة وأعبائها ، وزينب بنت خزيمة ، وسودة بنت زمعة وفي بعضها الأخر زواجاً تشريعيا لإبطال نظام التبني وزواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش وكان الهدف كذألك من بعض هذه الزوجات توثيق أواصر الربط بينه صلى الله عليه و سلم وبين صاحبيه الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتكريماً لها بشرف المعاهدة به وذألك من خلال زواجه صلى الله عليه وسلم بعائشة وحفصة رضي الله عنهما :-

نذكر نماذج من امهات المؤمنين اللائي تزوجهن الرسول صلى الله عليه وسلم وهن صغيرات منهن :-

1-السيدة عائشة رضي الله الله عنها :

لا يوجد في الشريعة الإسلامية سن أدنى للزواج لأنه لا يوجد حد أدنى لسن البلوغ في الاسلام و الشروط النضج الجسدي والنضج العقلي وبالتالي فإن العمر متغير لكل فرد ويمكن أن يكون أيضا متغيرا في ثقافات مختلفة وأوقات مختلفة وفي هذا يقول :تعالى ((وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ))32 .

وجاء في تفسير الآية((وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ))أي الصغار ، الآتي لم يأتيهن حيض بالكلية فإنهن كاليائسات عدتهن ثلاثة اشهر))

ولا يدخل الرجل بزوجته الصغيرة إلا إذا كانت بحيث تطيق الجماع ، وهذا يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والبيئات وعلى ولي الفتاة المبادرة الى تزويجها إذا وجدت كفئاً متصفا بالصفات المطلوبة التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»33

تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع سنين وقد تزوجها في شوال سنة إحدى عشر من النبوة بعد زواجه بسودة بسنة وقيل الهجرة بسنتين وخمسه أشهر وكانت بكراً ولم يتزوج بكراً غيرها ، وكانت أحب الخلق اليه وأفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق.29

2- جويرية بنت الحارث تزوجها النبي صلى الله علية و سلم بعد غزوة بني المصطلق وكان عمرها في حدود الخامسة عشر وهي اعظم أمراه بركه على قومها30

3- صفية بنت بن حيي بن أخطب من بني إسرائيل كانت من سبي خيبر ، فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه لنفسه ، فاعتقهما وتزوجهما بعد خيبر سنه 7 هـ ، وكانت لم تبلغ السابعة عشر .31

المطلب الثالث : راي الفقهاء في تحديد سن الزواج

[32] / سورة الطلاق الآية (4)

[33] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان –عبد الحمن بن ناصر السعدي –مكتبة الصفا –ط1–1425هـ–2004م – ص (870) أخرجه الترمذي فس سننه، حديث رقم 1084 ج3ص 386 عن أبيهريرة رضي الله عنه بلفظه . وحسنه الألباني .

[29] الرحيق المختوم –صفي الدين المباركفوري–الجامعة السلفية – الهند ص283 .

[30] رجال ونساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم – سعد يوسف أبوعزيز ط2–1431–2010م – دار الفجر للتراث – ص 504– القاهرة .

[31] انظر الرحيق المختوم مرجع سابق 474 ،انظر ، رجال ونساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم مرجع –497

القول الأول : سن البلوغ للفتى و الفتاة هو خمسة عشر سنه ،وهو قول الشافعي و حجتهم ما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : ((عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشر سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وانا ابن خمسة عشر سنة فأجازني – قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو يؤمن خليفة فحدثته بهذا الحديث فقال إن هذا الحديث يبين الصغير و الكبير ، فكتب الى عماله أن يقرضوا لم كان ابن خمسة عشرة سنه ومن كان دون ذألك فاجعلوه في العيال))37

القول الثاني :– سن بلوغ الفتى ثمان عشرة سنة و الفتاة سبع عشرة سنة وهو قول أي حنفية والزمخشري و المالكية وغيرهم وحجتهم في ذألك أن المقصود بالبلوغ هو الكمال و التمام ولا يتحقق ذألك إلافي هذه السن فقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ((وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)) بأن بلوغ الأشد يكون ببلوغ ثماني عشر سنه. 38

ويجوز الزواج للمحصنة إذا رأى المصلحة الشرعية في ذألكم كما زوج سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ابنته عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنين ،وهذا استثناء أما اذا بلغتا تسعاً فليس له أن يزوجها إلا بإذنها أو كانت أكبر من التسع لابد من إذنها أما ما دونها اذا رأى المصلحة وليس هو من أجل المال بل لأجل المصلحة الشرعية .

واختلف الفقهاء في تفسير قوله تعالى ((وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ))34 معنى هذه الآية هو الصلاحية للزواج كما ذكر المفسرون .

إذ ان الابتلاء هو الاختيار و الامتحان وذألك بأن يدفع لليتيم المقارب للرشد الممكن رشده شيئاً من ماله ، وتصرف فيه التصرف اللائق بحاله ،فيتبين بذألك رشده من سفهه فإن استمر غير محسن للتصرف لم يدفع إليه ماله بل هو باق على سفهه ، ولو بلغ عمراً كثيراً فإن تبين رشده وصلاحه في حاله وبلغ النكاح ((فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)) كاملة موفرة 35.

واختلف الفقهاء في بالبلوغ بالسنين على قولين:– 36

---

37 / وصحيح مسلم الأمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري البيانوني المتوفي سنة 261هـ – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – حديث رقم (1868)ج3/490

38 / أبو زهرة الولاية على النفيس – الإمام محمد – دار الفكر العربي ،ص48

34 / سورة النساء البة 6 .

35 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان –عبد الحمن بن ناصر السعدي–مرجع سابق – ص(145)

36 تحديد سن الزواج –دراسة فقهية قانونية مقارنه – د عبد المؤمن شجاع الدين – مارس 2008 – ص(9)

خلاف الفقهاء المعاصرين بشأن تحديد سن الزواج :-

اختلف الفقهاء المعاصرون في تحديد السن الأدنى للزواج على قولين :-

القول الأول :- لا يجوز تحديد السن الأدنى للزواج واستدلوا بالآتي :-

1-قوله تعالى ((وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ)) 40. فقد نصت هذه الآية على أن عدة المطلقة التي لم تحض ثلاثة أشهر و المقصود بالمطلقة التي لم تحض هنا هي الصغيرة وذألك دليل على أنه يجوز تزوج الصغيرة قبل البلوغ ويكون زوجها بغير إذنها لأنها ليست من ذوات الإذن فلا عبرة بإذنها .

ويعترض هذا الاستدلال بأن الآية الكريمة لم تنص على الصغيرة فليس الآية نصاً في المسألة ، لأن النص في المسألة هو قوله تعالى :- ((حتى إذا بلغوا النكاح)) وقد ذهب العلماء الى تحديد السن الأدنى للزواج ،وذهب بعضهم الى عدم صحة زواج الصغيرة و حجتهم قوله صلى الله عليه وسلم :عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اليَتِيمَةُ تُسْتَأْمَرُ فِي نَفْسِهَا، فَإِنْ صَمَتَتْ فَهُوَ إِذْنُهَا، وَإِنْ أَبَتْ فَلَا جَوَازَ عَلَيْهَا»)) 41والأذن

وآراء المذاهب في زواج الصغيرة على النحو الآتي :- الحنفية – قالوا: قالوا يختص الأب والجد وغيرهما من الأولياء عند عدم وجودهما بتزويج الصغيرة وإن لم يرضيا بذلك سواء كانت الصغيرة بكراً أو ثيباً ولكن إذا زوجهما الأب أو الجد .

المالكية – قالوا: يختص الولي المجبر بجبر الصغيرة، والمجنونة بالغة كانت أو لا. إذا كان جنونها مطبقاً بكراً كانت أو ثيباً، أما إذا كانت ثيباً وكان جنونها متقطعاً فلا تزوج إلا في حال إفاقتها بعد استئذانها، يختص أيضاً بجبر الكبيرة البالغة العاقلة إذا كانت بكرا .

الشافعية – قالوا: يختص الولي المجبر بتزويج الصغيرة، والمجنون صغيراً أو كبيراً، والبكر البالغة العاقلة بدون استئذان ورضا بشروط سبعة .

الحنابلة – قالوا: يختص الولي المجبر بإجبار غير المكلف – وهو الصغير – بكراً كانت أو ثيباً وهي من كانت دون تسع سنين ويجوز الزواج للمصلحة، أما التي لها تسع سنين وكانت ثيباً فليس عليها جبر لأن إذنها معتبر فلا بد من إذنها 39.

39 / ، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: 1360هـ)، الفقه على المذاهب الأربعة ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط2، 1424 هـ – 2003 م ج4 ص35 وما بعدها وهوامشها .

40 / سورة الطلاق الآية 4

41 /محمد بن عيسى الترمذي المتوفي سنه 279 ، سنن الترمذي ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث القاهرة رقم الحديث

ثانيا التوصيات :-

1- ضرورة التصدي للدعوات التي تطالب بتحديد سن الزواج .

2-لا تحديد سن الزواج في الاسلام .

3-على أولياء الأمور مراعاة المصلحة في زواج بناتهم .

4-الفتوى في النوازل مسألة عظيمة فلابد للعلماء و الفقهاء الإحاطة بمعظم قواعد الشريعة الإسلامية و العمل بالكتابة و السنة النبوية و العلم بأقوال السلف القياس .

فهرس المصادر والمراجع :

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : المصادر والمراجع الأخرى:

1/أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أب داود ، ، محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع . .

2/ أبو زهرة ،الولاية على النفيس – الإمام محمد – دار الفكر العربي ، بيروت .

3/بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى : 1429هـ)، مؤسسة الرسالة ،ط1 – 1416 هـ ، 1996 م ،المكتبة الشاملة ، موافق للمطبوع.

لا يكون الأبعد البلوغ وإن تم حمله على البالغات فذألك خروج الى المجاز .

2-قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها((: تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابنه ست وبنى بي وأنا ابنه تسع)) فهذه سنة عملية ثابتة عن النبي صلى الله علية وسلم .

قال الإمام على كرم الله وجهه بتزويج ابنته أم كلثوم لعمر رضي الله عنه وكانت أم كلثوم صغيرة لم تبلغ بعد وتحديد سن أدنى للزواج يخالف ذألك.

الخاتمة وتشتمل النتائج و التوصيات :-

اولاً النتائج :-

1-صلاح الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان وفي هذا رد على دعاوى العلمانية في عدم صلاح الشريعة الإسلامية لمستجدات العصر .

2-عناية الإسلام الشاملة بالأسرة في جميع مراحلها.

3-في الزواج تحقيق العديد من العبادات و الطاعات وأهمها العفة للزوج و الزوجة ونعمة الذرية الصالحة و الحفاظ على الأنساب.

4-رغب الإسلام في الزواج لما فيه من تهذيب النفس البشرية و السكن و المودة

5-زواج الصغيرة الراي الراجح جواز :

1109ج3 ص409 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظه ، (المكتبة الشاملة وفق المطبوع ,

الأوقاف والدعوة و الارشاد – المملكة العربية السعودية .

13/ عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: 1360هـ)، الفقه على المذاهب الأربعة ،دار الكتب العلمية

14/عبد الحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـــمكتبة الصفا – ط1–1425هـ–2004م

15/محمد بن عيسي بن سورة بن موسي الترمذي، سنن الترمذي ت،أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط2، 1395 هـ – 1975 م،

16/محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (المتوفى: 711هـ) ، لسان العرب دار صادر – بيروت 1414 هـ .

17/مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي القاموس المحيط – العلامة – المحقق ابو الوفاء نصر الهورين – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط2 – 2007 .

18/مجمع اللغة العربية–المعجم الوجيز – طبعة خاصة بوزارة التربية و التعليم سنه 1426هـ – 2005.

4/خالد بن علي بن محمد بن حمود بن علي المشيقح ، فقه النوازل في العبادات، بلا تاريخ المكتبة الشاملة

5/ سعد يوسف ابوعزيز ، رجال ونساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم –ط2–1431–2010م – دار الفجر للتراث– القاهرة .

6/سيد سابق (المتوفى: 1420هـ) ،دار الكتاب العربي، بيروت – لبنانط3، 1397 هـ – 1977 م ،.[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

7/صفي الدين المباركفوري ، الرحيف المختوم – –الجامعة السلفية –الهند .

8/ سيف الدين على بن محمد الآمدي ، الحكام في اصول الاحكام، تعليق العلامة عبدالرزاق عفيفي

9/عامر محمد فداء بن محمد بن عبد المعطي بهجت ، تعامل الائمة والخطباء مع فقه النوازل .

10/عبد الحق احمد حميش– مدخل الى فقه النوازل – د ت – د ط .

11/عبد المؤمن شجاع الدين ،تحديد سن الزواج –دراسة فقهية قانونية مقارنه – د– مارس 2008

12/عبد الحمن بن حماد آل عمر ، دين الحق ،ط6 – 1420– وزارة الشئون الإسلامية و

19/محي الدين ابن المبارك / النهاية في غريب الحديث و الاثر .

20/مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) صحيح مسلم ، ت ،محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ، المكتبة الشاملة ، موافق للمطبوع

21/وهبة الزحيلي ،الفقه الإسلامي و أدلته – أ.د.– دار الفكر – سوريا– دمشق ط .

ثالثا : الموقع الالكتروني

فقه النوازل

ar.mwikipedia.org>wiki>

(Print) ISSN 2691 - 2619
(Online) ISSN 2691 - 2627

مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة

Journal of Islamic University of Minnesota USA of Scientific Researches and Academic Studies: Peer Reviewed Journal

تحت إشراف

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا / الفرع الرئيس
برئاسة الأستاذ الدكتور جراح محمد محمود الجراح
نائب رئيس الجامعة للشؤون التعليمية و الأكاديمية
مؤسس المجلة و رئيس هيئة التحرير

مجلة علمية محكمة متخصصة

تصدر عن عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا – أمريكا

المجلد - 4 ، العدد - 12 (شهر 7 – 9 ، 2023)
Vol- 4, Iss-12 (July-September, 2023)